سعيد تقي الدين

سيرته وادبه

اطروحة مقدمة للماجستير في الآداب

الدائرة العربية في الجامعة الاميركية

١٩٦٩

بيروت - لبنان

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

Thesis Title:

سعيد تقي الدين : سيرته وادبه

Said Takiyyuddin: His Life & Works

By

Mrs. Edvick Shayboub
(Name of Student)

Approved:

Prof. Nadeem Naimy — N. Naimy — Advisor

Prof. Khalil Hawi — K. Hawi — Member of Committee

Prof. Antoine Karam — Member of Committee

Prof. Muhammad Najm — M. Najm — Member of Committee

Date of Thesis Presentation: May 19,1969.

March 8, 1969

NOTICE TO GRADUATE STUDENTS

The Board of Graduate Studies in its meeting on November 1, 1968, decided that all graduate students must include the following " Thesis Release Form " to appear on a seperate page of each thesis:

Said Takiyyuddin: His Life & Works

" THESIS RELEASE FORM "
American University of Beirut

I, Mrs. Edvick Shayboub :

[ ] authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals upon request.

[X] do not authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals.

Edvick Shayboub
Signature

5/6/1969 "
Date

Emile Rubeiz
Assistant Registrar

المقدمة :

لم تدلّنا المصادر المكتوبة المتوفرة بين ايدينا، الى معلومات كافية يمكن الاستناد اليها لدى البحث عن سعيد تقي الدين، اللهم عدا لمحا عن موطنه الشوف، وجوّه العام مطلع القرن العشرين، اذ الحكم العثماني يحتضر، ولبنان يتخبط بين براثن الاقطاع والطائفية والجوع.

اما اسرة سعيد تقي الدين، وحياته (١٩٠٤ـ١٩٦٠)، فلم نعثر لهما على معلومات مسجّلة نعتمدها، سوى "سجلّ العائلة"، وهو مخطوط يرجع الى مئة سنة، سجلت فيه اخبار العائلة، مؤرخة وموقّعة، ابتداء من خبر ولادة محمود (أبي سعيد)، وسوى ما كتبه سعيد عن سيرة حياته، في مقدمة كتابيه: "نخب العدو" و "غابة الكافور"، فضلا عن اخبار متفرّقة اوردها في كتبه الاخيرة. من هنا كان لجوؤنا، مضطرين، الى المراجع البشرية، التي تلي المراجع المكتوبة اهمية، فكان اتصالنا بوجهاء الطائفة الدرزية في بعقلين، ولا سيما منهم من عاصر محمود تقي الدين، أبا سعيد، او اعمامه. وكنا في اتصالاتنا هذه، حريصين على ان نستنير، قدر المستطاع، بالعارفين الثقات من المعنيين ببحثنا، لتأتي اخبارنا أقرب ما يمكن الى الحقيقة والواقع.

ولدى تحدثنا عن طفولة سعيد ونشأته ودراسته، رجعنا الى أهله الاحياء، والى رفقائه في المراحل الدراسية المختلفة، واجتهدنا في المقابلة بين سائر الأقوال، والتحقيق في صحتها، لدى الاختلاف في الآراء.

وفي كلامنا على سعيد تقي الدين في الجامعة الاميركية، سواء أثناء دراسته الثانوية او العالية (١٩١٧ـ١٩٢٥)، او بعد عودته من الفلبين واضطلاعه بمسؤولية رئاسة جمعية المتخرجين، رجعنا الى سجلات الجامعة ووثائقها، والى مجلاتها المخطوطة والمطبوعة، عنينا بنوع خاص مجلتي "الكلية" و"العروة الوثقى"، وكذلك رجعنا الى رفقائه وزملائه في مرحلتي الدراسة والعمل.

اما سنوات الغلبين وما اكتنفها من غموض (١٩٢٥ـ١٩٤٨) ، والتي لم تسجّل وقائعها الا بقلم سعيد نفسه، فقد بذلنا جهدا كبيرا للاتصال ببعض رفقائه الاحياء الذين عادوا للاستقرار في لبنان، وقابلنا بين احاديثهم عن سعيد ، وما ورد عن لسانه هو ، في محاولة موضوعية لاستقصاء الحقيقة، ما استطعنا الى ذلك سبيلا . حسب ما تحملنا من مسؤولية ومشقة، انه السبيل الى سلامة البحث الذى نحن بصدده .

لقد مضى على وفاة سعيد تقي الدين نيف وتسع سنين، والقسم الاهم من انتاجه صدر خلال السنوات العشر الاخيرة من حياته، فهو بالتالي جديد ، لم يختمر بعد على ايدى النقاد . ثم ان المغامرات التي حفلت بها حياة سعيد ، بين لبنان والمهجر، وبخاصة قضية انتظامه في الحزب السورى القومي الاجتماعي ، جعلت موقف النقاد منه، ومن أدبه، على طرفي نقيض . بين معجب فائق الاعجاب وساخط أشد السخط ، وهو صراع ناضل سعيد على جبهاته المتعددة، منتهيا الى المرض والتشريد ، ثم الموت ، معدما ، في جزيرة بكولمبيا ، حيث يرقد الآن . ولعلّ من طبيعة حياته العنيفة هذه ، تعذّر عثورنا على مراجع اولية موضوعية تبحث في انتاجه، فانتاجه ما يزال مادة خاما لنقاد المستقبل . وليس القسم الثاني من هذا البحث سوى محاولة متواضعة لتقييم آثار سعيد الأدبية، سواء من خلال نصوصها ، او من خلال ما قيل فيها .

وفي كلامنا على انتاج سعيد تقي الدين، تناولنا تباعا ، فنونه الأدبية الثلاثة : المسرحية، الاقصوصة، والمقالة، وحلّلنا عناصر كل فنّ على حدة . بدأنا في استعراض مسرحياته، وتطرقنا الى شخصياتها ، حوارها ، وحبكتها ، ثم انتقلنا الى أقاصيصه، فحلّلنا شخصياتها وبناءها الفني ، وانتهينا الى مقالاته، وأهم ما تتميز به من خصائص، سواء منها المقالات السياسية او الادبية الاجتماعية . وكان تركيزنا في كل ذلك على الاعمال المنشورة من انتاج سعيد . اما اعماله غير المنشورة، فقد اكتفينا بتعريفها ، وبالافادة من موضوعها وجوّها العام، اعتقادا منا ، بأن سعيدا لو كان راضيا نهائيا عنها ، لكان عنى بنشرها بنفسه .

ان مردّ عنايتنا بهذا الأديب، ايماننا العميق بقيمة آثاره، وبأنه منح أدبنا العربي المعاصر نفحة جديدة وطريفة .

ا ج . ش .

فهرس البحث

الصفحة

I - حيــاتـــه

١ـ الجـوّ الذى ولـد فيـه ـ بلدته وأسرته:

ينتمي سعيد تقي الدين الى أسرة درزية من بعقلين في قضاء الشوف. والشوف من مواطن الدروز الرئيسية في لبنان، بدأ استيلاؤهم عليه أثناء توسّعهم زمن الحروب الصليبية، مطلع القرن الثاني عشر[١].

من مهدها الاول في جنوبي لبنان اخذت الدرزية بالانتشار في الجبال شمالا، متحاشية الساحل والبقاع[٢]. في هذا الموطن الجبلي، يقول حتي، "اكتسب الدروز، على مرّ الاجيال، تلك الصفات والميزات التي عرفوا بها في جميع مراحل حياتهم: ولاء صادق للجماعة، وتضامن جماعي قوى، وحب شديد للحرية والاستقلال، وصبر على تحمّل المكاره والشدائد"[٣].

وسكان الشوف دروز ونصارى، عاشوا في شبه تكتل على انفسهم نتيجة "العداوة التقليدية بين طوائف لبنان وشيعه"[٤]. فالموارنة مثلا، تمركزوا في بيت الدين ودير القمر، والدروز في الجديدة وبعقلين، في حين تعايشت الطائفتان في كل من: المزرعة، عنبال، عترين، المعاصر، والباروك، وكلها قرى في الشوف[٥].

---

(١) راجع فيليب حتي، "لبنان في التاريخ"، ترجمة أنيس فريحة، بيروت، ١٩٥٩، ص٣٢٢.
(٢) راجع المصدر نفسه، ص ٣٢١.
(٣) راجع المصدر نفسه، ص ٣٢٠.
(٤) راجع المصدر نفسه، ص ٥٣٩.
(٥) من أحاديث خاصة، في ٢٨/ ١/ ١٩٦٩، مع: الدكتور سعيد حمادة، استاذ متقاعد لعلم الاقتصاد في الجامعة الاميركية، ووزير للاقتصاد عام ١٩٦٧، وحاليا رئيس مجلس امناء مدرسة الشوف الوطنية ـ وامين خضر، احد وجهاء بعقلين في الثمانين من العمر، وام سعيد تقي الدين وسيأتي الكلام عليها.

ومما يقوله الشدياق في تعيين حدود الشوف : "انه يمتد من نهر بتدين الى سطح الجبل، ويقسم الى قسمين، الشوف الحيثي وقاعدته المختارة، والشوف السويجاني وقاعدته بعقلين. وان بعقلين هي "أول عامر في الشوف كله، وكانت اصل مسكن الامراء المعنيين في أيام الافرنج الصليبية سنة ١١٢٠"[١].

ونظرا لأهمية بعقلين، بالنسبة لهذا البحث، وفي سياق حديثنا عن الجو الذى ولد فيه سعيد تقي الدين، سنقتطف عنها بعض المعلومات المستقاة من مظانها :

ترتفع بعقلين عن سطح البحر بمعدل ٨٥٠ مترا، وتبعد عن بيروت نحو ٤٢ كيلو مترا، وهي بلدة فسيحة منتشرة على سبع تلال، وأهم مواردها الطبيعية مواسم الزيتون والفاكهة، وقديما الحرير. ونظرا لضيق هذه الموارد الاقتصادية أصاب بعقلين ما أصاب سواها من القرى اللبنانية، فهاجر قسم من سكانها الى الاميركتين، سعيا وراء الرزق[٢].

والمعروف عن بعقلين انها كانت في مطلع هذا القرن، مركزا صيفيا لقائمقامية قضاء الشوف[٣]. وبالنسبة الى سكان بعقلين، يخبرنا الدكتور سعيد حمادة، انهم في الحقبة نفسها، كانوا في حدود الاربعة الاف درزى، ليس بينهم مسيحيون سوى بضع أسر، لا يتجاوز عدد أفرادها الخمسين. أما اليوم، فان عدد سكان بعقلين يربو على الثمانية آلاف

---

(١) راجع طنوس الشدياق، "أخبار الاعيان في جبل لبنان"، بيروت، ١٨٥٩، ص ٣٠.

(٢) من أحاديث خاصة في ١٤/ ١٢/ ١٩٦٨، مع سعيد حمادة، وابنته مي حمادة مديرة مدرسة الشوف الوطنية، وزوجها الدكتور رياض حمادة، وام سعيد تقي الدين، واخته اديل علم الدين، وامين خضر، وكلهم من أهالي بعقلين.

(٣) وكان المركز الشتوى الشويفات. اما متصرفية القضاء فكان مركزها بيت الدين صيفا وبعبدا شتاء.

نسمة، ليس بينها مسيحيون سوى عائلة "الحداد"، وعدد افرادها حوالي الخمس عشرة نسمة[١].

يخبرنا المؤرخون، أن هذا التكتل الطائفي في الشوف، وسائر المناطق اللبنانية، يرجع الى القرن السادس عشر[٢]، ومع السنين، ازداد التأزم في المناطق اللبنانية، بين الطائفتين، وتطورت "العداوة التقليدية" التي أشار اليها حتي[٣]، الى حركات دموية عنيفة، بلغت اقصاها في "حركة الستين" سنة ١٨٦٠. بدأت في الشوف، وامتدت الى سائر أنحاء الجبل وسوريا، فأحرقت قرى عديدة وذبح الألوف[٤]. ونتج عن هذه الحالة المضطربة ان تزعزعت الثقة بين الطوائف، وأصبح من الحقائق المعروفة، ان الدول الغربية المتسابقة الى اقتسام ارث العثمانيين، سارعت الى التدخّل وفرض حمايتها على الطوائف المختصمة[٥]، فكان حماة الموارنة فرنسا، وحماة الدروز بريطانيا، وحماة الارثوذكس روسيا. ومع الوقت قويت العلاقة بين الدول الغربية الثلاث والطوائف اللبنانية[٦]، فصار اذا أراد درزي مثلا، الوصول الى وظيفة حكومية، او رفع ضيم، توسط له عند الحاكم العثماني قنصل انكلترا او وكيله، وكذا الحال مع الطوائف النصرانية[٧]. ومن أمثال ذلك في بعقلين،

(١) من حديث خاص مع سعيد حمادة، في ٢٩/ ٩/ ١٩٦٨.
(٢) راجع حتي، لبنان في التاريخ، ص ٣٢٢.
(٣) راجع المصدر نفسه، ص ٥٣٤.
(٤) راجع: Churchill, C.H., The Druzes and The Maronites, Under The Turkish Rule, (1840-1860), London, 1862, p.260-283.
(٥) راجع المصدر نفسه.
(٦) راجع المصدر نفسه.
(٧) من احاديث خاصة في ١٢/ ١٠/ ١٩٦٨، مع المؤرخ اللبناني يوسف ابراهيم يزبك، صاحب مجلة "اوراق لبنانية" (١٩٥٥ ـ ١٩٥٨)، ومؤلف كتابي "ثورة وفتنة في لبنان"، ١٩٣٧، و"النفط مستعبد الشعوب"، ١٩٣٥. وكذلك مع امين خضر وسعيد حمادة من اهالي بعقلين.

يروى ان الشيخ سعيد تقي الدين الجد، عزل مرة من منصبه في أيام الحكم العثماني، فكتبت أرملة سعيد جنبلاط الى قنصل انكلترا، وله الكلمة الاولى في الدولة العثمانية، فأعاده الى رئاسة قضاء الشوف(١).

ومن ذلك ما يخبرنا عنه سعيد، انه كان اذا زار قنصل دولة أجنبية قرية ما في الشوف، هبّت الجماعة المحمية من تلك الدولة لتكريمه، ولابداء عواطف الزلفى والخضوع. وانه عندما زار قنصل الانكليز سراى بعقلين عام ١٩١٢، جاء من لقن الصبي سعيد، وهو يومذاك في الثامنة من العمر، وتلميذ في المدرسة الانطونية ببعبدا، خطاب الترحيب باللغة الفرنسية، ومما قاله في ذلك الخطاب: "وكونوا على ثقة، يا سيدى القنصل، بأنني درزى انكليزى"(٢).

ولعلّ أبرز وصف لهذه الحالة ما يقوله سعيد ايضا، بعد نصف قرن من تلك الحقبة: "كنا في لبنان طوائف تخصّ دولا أجنبية، وكان الدروز من نصيب بريطانيا. واني حتى اليوم — وأدّعي أنني تحررت — ما تفوّهت بلفظة عن بريطانيا، او سطرت كلمة، الا وبي

(١) راجع "سجل العائلة"، المخطوط، والموجود في بيت سعيد تقي الدين ببعقلين. طوله ٣٨ سم. وعرضه ٣٥. غلافه كرتوني، زواياه متآكلة لقدم العهد به. عدد صفحاته نحو المئتين، وهي غير مرقمة. ويبدو أنه كان في الاصل، من نحو مئة سنة، سجلا لقيود الاحكام المذهبية الدرزية، وقد خطت ثلثا صفحاته الاولى بهذه الاحكام. اما الثلث الباقي فيتضمن اخبار عائلة "تقي الدين"، ابتداء من خبر ولادة محمود (أبي سعيد) مكتوبا بخط الشيخ سعيد الجد (أبي محمود)، ومذيلا بتوقيعه. والسجل مكتوب بدون ترتيب او نظام، سوى الترتيب الزمني الطبيعي. فكلما خط احد الاولاد أو الاحفاد فيما بعد، خبر ولادة او زواج او وفاة او سفر أو نيل شهادة، وقع وارخ الخبر بخطه. لكن قيمة هذه الاخبار، في رأينا، انها كتبت وارخت في حينها، ومن هنا يمكننا الوثوق بصحتها.

(٢) راجع سعيد تقي الدين، "رياح في شراعي"، بيروت، ١٩٦٠، ص ٢٢٧.

رعشة لا أقدر أن أصفها • مثل هذه الرعشة احسّ بها حين أقرأ حادثة اصطدام فأحس بفرح ــ وأدعي أنني تحررت ــ حين أقرأ بين الجرحى او القتلى اسماء مسيحية• رعشة تنتهي قبل ان تبدأ، ولكنها هناك•• كذا ترسّخت في نفوسنا الاحقاد"[١] •

وفي مكان آخر يقول: " نشأنا في ضياع او احياء ترضع البغضاء، ويدلنا آباؤنا على أعداء لنا من جيران ومواطنين• وصار من تفكيرنا التقليدي ان نحاول هدم هؤلاء الذين قيل لنا في الطفولة والصبا انهم اعداء"[٢] •

هذا على الصعيد الطائفي العام، اما على الصعيد الاقطاعي السياسي، فقد عرف لبنان، وبخاصة الشوف، عصبية قوية تسمت اللبنانيين الى جنبلاطيين ويزبكيين• وكان مشايخ الشوف الجنبلاطية عمدة مشايخ الدروز[٣]•

يخبرنا عيسى اسكندر المعلوف عن هذه العصبية الجنبلاطية ــ اليزبكية، انها ليست حديثة مرتجلة، وانما هي وليدة العصبية العربية، القيسية ــ اليمنية المشهورة في تاريخ العرب، جاهلية واسلاما[٤]• وقد عمّ هذا الانقسام الامراء الشهابيين واللمعيين والنصارى جميعا • وان هذه العصبية، وان تكن ضعفت بعد حلول القرن العشرين، فهي ما تزال باقية الى اليوم، بين الدروز، ولو بصورة شكلية خارجية[٥]•

---

(١) راجع "رياح في شراعي"، ص ٢٢٨•
(٢) راجع المصدر نفسه، ص ٢٢١•
(٣) راجع الشدياق، ص ٣٠•
(٤) راجع المعلوف، تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني، جونية، ١٩٣٤، ص١٦ـ ٢١•
(٥) راجع المصدر نفسه، ص ١٨•

وفي بعقلين، كسائر القرى الشوفية واللبنانية، قسمت هذ ه العصبية السكان الى قسمين. ويخبرنا اهلها، ان عائلات "حارة الفوقا" على وجه التقريب — وقوامها بيت تقي الدين، الغصيني، ابو اسماعيل، ابو شقرا، ابو عياش، نمور، ولي الدين، تنحاز الى العصبية الجنبلاطية، في حين تنحاز عائلات "حارة الوطى"، وقوامها بيت علم الدين، حمادة، خضر، مطر، برجاس، وهاب، والعيد، الى العصبية اليزبكية[١].

اما على الصعيد التربوي، فمما يروى، ان بعقلين كانت في مطلع القرن، من أهم مراكز التعليم في المنطقة[٢]، وانه كان في بعقلين مدارس تبشيرية ومدارس خاصة. فالمدارس الخاصة اثنتان:

١) "المدرسة الوطنية الدينية"، المعروفة باسم صاحبتها الست حلا[٣]. أسستها سنة ١٩٠٧، وكانت تقتصر على غرفتين يؤمها الصغار من بنات وبنين، يتعلمون مبادئ اللغتين العربية والانكليزية، فضلا عن الحساب، وعلم الصحة، والاخلاق، والدين. وكان مستوى مدرسة الست حلا بحدود الدراسة الاولية، اى اربعة صفوف ابتدائية[٤].

٢) مدرسة معلم اسعد ولي الدين، وهي المدرسة الثانية الخاصة في بعقلين، وكانت مخصصة للصبيان فقط، أسسها المعلم أسعد حوالي ١٩٠١، وكانت

---

(١) من احاديث خاصة، في ٢٩/ ٩/ ١٩٦٨، مع امين خضر، سعيد حمادة، ام سعيد وأديل علم الدين، من أهالي بعقلين.
(٢) من احاديث خاصة، في ٦/ ١٠/ ١٩٦٨، مع سعيد حمادة، امين خضر، مي حمادة والدكتور رياض حمادة.
(٣) هي السيدة حلا عطا الله من بعقلين، ولا تزال المدرسة معروفة باسمها، رغم انتقالها الى اختها بهيجة عطاالله تقي الدين عام ١٩٥٨.
(٤) من احاديث خاصة، في ١٩/ ١٠/ ١٩٦٨، مع مي حمادة، أديل علم الدين، وبهيجة تقي الدين، وجميعهن تتلمذن على الست حلا.

الدروس فيها تقتصر على قراءة مبادئ اللغة العربية، والحساب، والدين، والتاريخ. ولم تكن تدرس لغة اجنبية، كغيرها، وقد اقفلت ابان الحرب، حوالي ١٩١٦ [١].

أما مدارس بعقلين التبشيرية، في مطلع هذا القرن فقد كانت ايضا اثنتين:

١) مدرسة معلم ملحم [٢]، وكانت تنفق عليها ارسالية اميركية. كان مديرها المعلم ملحم، ومعاونه المعلم مرشد [٣]، وكلاهما من ابناء بعقلين.

يخبرنا بعض تلامذتها القدامى، ان هذه المدرسة كانت للصبيان، وذات خمسة صفوف ابتدائية، تعلم اللغتين العربية والانكليزية، فضلا عن الحساب والجغرافية والاخلاق [٤]. ويصف خليل تقي الدين مدرسته الاولى هذه: بانها "كانت اميركية الجو والمذهب والروح" [٥]. والذي عناه، ان المدرسة، فضلا عن اعتمادها اللغة الانكليزية، كانت تعلّم مبادئ الدين المسيحي [٦]. وبحلول الحرب العالمية الاولى وانقطاع الموارد عن المدرسة اضطرت الى الاقفال، وكان ذلك، على الارجح، حوالي ١٩١٦ [٧].

---

(١) من احاديث خاصة في ١٣/ ١٢/ ١٩٦٨، مع: ام سعيد، سعيد حمادة، وخليل تقي الدين، من اهالي بعقلين.
(٢) هو ملحم نعمة من دير القمر.
(٣) مرشد البستاني والد المرحوم اميل البستاني، احد اصحاب شركة المقاولات والتجارة في لبنان "C.A.T." .
(٤) من احاديث خاصة في ١٣/ ١٢/ ١٩٦٨ مع سعيد حمادة، خليل علم الدين، وخليل تقي الدين.
(٥) راجع خليل تقي الدين، "مذكرات سفير"، "الراصد"، ١١ نيسان، ١٩٦٨.
(٦) راجع المصدر نفسه.
(٧) من احاديث خاصة، في ١٨/ ١٢/ ١٩٦٨، مع سعيد حمادة، خليل علم الدين، والدكتور رياض حمادة، وجميعهم درسوا عند المعلم ملحم.

٢) مدرسة ام فؤاد [١]، هي المدرسة التبشيرية الثانية، انشئت في مطلع القرن وكانت تابعة للارسالية الانكليزية[٢]. ويبدو ان مدرسة ام فواد كانت مدرسة للبنات ، تقابل مدرسة معلم ملحم للصبيان . ولم تكن تختلف عنها من حيث المواد التدريسية، باعتبار انها كانت تدرس اللغتين العربية والانكليزية، وكذلك مبادئ الحساب والجغرافية والاخلاق والدين[٣]. وقد اقفلت، اسوة بسائر المدارس التبشيرية ، نتيجة انقطاع الامدادات المادية عنها ، حوالي ١٩١٦[٤].

وقبل ان ننهي كلامنا على بعقلين، لا بدّ ان نذكر بالضائقة الاقتصادية التي عمت لبنان في مطلع القرن . وقد كان لتلك الضائقة مظهران: الاول هجرة اللبنانيين ، وبخاصة الى الاميركتين، اما الثاني فنشاط قوافل الشجعان لتهريب القمح وتوزيعه سرا على الشعب، وكان الشوف من اوسع مسارح هذا النشاط ، وهي معلومات تاريخية ، اضحت معروفة، وقد نوهنا بها ، لأنها فضلا عن العوامل الطائفية والاقطاعية، عملت على شيوع النقمة والخوف بين طبقات الشعب. وهي اوضاع اجتماعية، نلمس اثرها البعيد في انتاج سعيد تقي الدين، كما سنرى.

عائلة تقي الدين: لم يرد ذكر عائلة تقي الدين بين الاسر الدرزية الكبيرة التي لعبت أدوارا بارزة في تاريخ جبل لبنان، ابتداء من القرن السادس عشر فصاعدا [٥] ، امثال

---

(١) من احاديث خاصة في ١٨/ ١٢/ ٦٨، مع سعيد حمادة، خليل علم الدين ، والدكتور رياض حمادة، وان ام فواد كانت مديرة المدرسة لا مؤسستها .
(٢) المصادر نفسها .
(٣) من احاديث خاصة، في ١٨/ ١٢/ ١٩٦٨، مع اديل علم الدين، ومي حمادة، مديرة مدرسة الشوف الوطنية في بعقلين، وكلتاهما درستا على ام فواد .
(٤) من حديث خاص مع سعيد حمادة.
(٥) راجع الشدياق، ص ٣٠ـ٣٥.

آل شهاب وأرسلان وجنبلاط وعبد الملك وتلحوق . ولا استطعنا ان نستقصي الزمن او الظروف التي منحت فيها عائلة تقي الدين لقب "المشيخة"، وهو لقب اجتماعي للتبجيل كان الامراء الحاكمون يمنحونه على سبيل المكافأة، او استجابة لأهوائهم الخاصة[١]. غير ان المعلوف يشير الى ان آل تقي الدين هم "من مشايخ آل عبد الله الذين سكنوا طردلا ورمطون في الشوف وانتقلوا الى قرى اخرى"[٢]. ولا يتوسع المؤرخ اللبناني في كلامه على آل تقي الدين اكثر من ذلك، وانما ينتقل الى تسمية مشاهير علمائهم، ويختم بقوله: "ومنهم (آل تقي الدين) محمود بك الذى تولى المناصب العالية في لبنان وخدم الحكومة باخلاص، وهو والد اصدقائنا الادباء والمحامين المعروفين: الشيخ سعيد، خليل، وبهيج".

<u>الشيخ سعيد تقي الدين:</u> قبل ان نتناول بالكلام والد سعيد تقي الدين، محمود، واولاده، لا بد من الوقوف عند جده لأبيه الشيخ سعيد (١٨٤٥-١٩٠١)[٣]. تفيد الوثائق المسجلة على انه شغل مراكز للقضاء، كما رئس محكمة الشوف مدة طويلة[٤]. ويجمع الذين عرفوه، بانه كان عادلا باحكامه، وقورا، نزيها، ومحدثا لبقا، ومحبوبا من

---

(١) راجع "تاريخ الامير فخر الدين المعني"، ص ١٩، حيث يحدثنا عيسى اسكندر المعلوف عن منح الشهابيين، في اول حكمهم، لقب المشيخة لبني تلحوق، نكاية بالارسلانيين، لانهم لم يكونوا على وفاق معهم.

(٢) راجع عيسى اسكندر المعلوف، "الاخبار المدونة في انساب الاسر الشرقية"، الجزء الثامن، ص ٢٦٣. وهو مصنف مخطوط، في اربعة عشر مجلدا ضخما، وفي حوزة ابن المؤلف، رياض بزحلة.

(٣) راجع "سجل العائلة" المخطوط وهو مرجعنا الرئيسي للمعلومات عن عائلة "تقي الدين"، وقد ورد وصفه في مطلع هذا البحث.

(٤) راجع سجل العائلة.

جميع الناس[١]. ولعل من هنا زعم احد احفاده، "تسمية بيت تقي الدين، منذ القدم، بيت القاضي"[٢].

وتجدر الاشارة الى انه كان للشيخ سعيد تقي الدين بيت كبير في بعقلين، لا يزال يخص العائلة، اولادا واحفادا[٣]. اما مورد الشيخ سعيد، فقد كان منحصرا في مرتبه كقاض[٤]، فضلا عن ارزاق زيتون وتوت في مزرعة الحريق في بريح قرب عين زحلتا، ومزرعة الشركاء بنمرا قرب عين الحور، ومزرعة حقلة الشركاء قرب الجاهلية، وكلها في الشوف. وعلى الرغم من ان مواسم هذه الارزاق كانت ضئيلة، تقول ام سعيد، فقد كانت اسرة القاضي تتدبّر العيش بحكمة. وقد حرص الشيخ على توفير العلم لاولاده، فتخرّج منهم طبيبان هما نجيب ورشيد، ومحام هو امين، وموظف دولة هو بكره محمود أبو سعيد. كذلك جهز البيت بنواة لمكتبة كان الاولاد والاحفاد يطالعون فيها.

رزق الشيخ سعيد تقي الدين ثمانية اولاد: خمسة منهم ذكور وثلاث بنات، وهم حسب تسلسل اعمارهم[٥]: نايفة، محمود (ابو سعيد)، الماسة، حسيبة، نجيب، امين، رشيد، وفواد.

من اولاد الشيخ سعيد تقي الدين هؤلاء، سنقصر كلامنا على الذكور - والد سعيد واعمامه، لما لهم من علاقة مباشرة بسياق بحثنا.

---

(١) من احاديث خاصة في ١٣/ ١٢/ ١٩٦٨، مع سعيد حمادة وامين خضر.
(٢) راجع خليل تقي الدين، "مذكرات سفير".
(٣) البيت الان بادارة ام سعيد، وقد رمّمته سنة ١٩٥٦، بعد الزلزال، كما ورد في سجل العائلة.
(٤) من حديث خاص مع ام سعيد، في ١٨/ ١١/ ١٩٦٨.
(٥) راجع سجل العائلة.

١) محمود تقي الدين ولد ١٨٦٧[١] : تشير القرائن الى ان الشيخ سعيد تقي الدين، كان يطمح الى ان ينال بكره محمود وظيفة حكومية مرموقة، لذا رغب الوالـد في ان يكون لمحمود المام جيد باللغة الفرنسية، فأدخله مدرسة عينطورة، ولدى تخرجـه منها، ١٨٨٦، عين مترجما في القلم الاجنبي بمتصرفية بيت الدين. اثناء توليه هـذه الوظيفة تزوج ابنة خاله زهية عبد الملك، وهي ام سعيد، وسيأتي الكلام عليها.

في ١٩١١ عيّن محمود تقي الدين مدير مال لقضاء الشوف، وكان مركزه الصيفي بعقلين والشتوى بعبدا[٢]. وقد نفي ١٩١٦ الى الاناضول، وظل في منفاه حتى تموز ١٩١٨..

التحق بعد الحرب بحكومة الانتداب، فعيّن مفتشا اداريا في بعلبك، ثـم قائمقاما ١٩٢٢. وفي السنة التالية عيّن ناظرا للمعارف في لبنان ومركزه بـيروت. فانتقلت العائلة الى بيروت[٣].

في ١٩٢٩ عزل محمود من منصبه، ثم اعيد تعيينه محافظا في زحلة، فكسـروان، فالشوف، واخيرا في بعبدا. واحيل على التقاعد نهائيا ١٩٣٦، وكانت وفاتـه فـي ٢٣/١/١٩٤٤، عن سبع وسبعين من العمر[٤]. وقد رزق محمود وزوجته زهية سـبعـة اولاد، هم حسب تسلسل اعمارهم: اديل، ولدت ١٩٠٢، وهي زوجة خليل علم الدين.

---

(١) راجع سجل العائلة.
(٢) راجع المصدر نفسه.
(٣) راجع المصدر نفسه.
(٤) راجع المصدر نفسه.

سعيد ولد ١٩٠٤، خليل ١٩٠٦، وهو شاعر واديب[١] ، ثم وزير مفوّض بين ١٩٤٦ـ ١٩٦٦، بهيج ١٩٠٩، وهو محام ونائب في البرلمان ووزير دولة حاليا، منير ١٩١٥، وهو مدير عام وزارة الدفاع[٢]، ثم وزير مفوض حاليا، بديع ١٩١٩، موظف حكومي، ونديم ١٩٢١، موظف حكومي .

٢) نجيب تقي الدين ـ (١٨٨٠ـ١٩٤٥)[٣] : اجمعت الروايات على ان نجيب تقي الدين تلقى علومه الابتدائية في مدارس بعقلين، ثم داوم عددا من السنين في الجامعة الاميركية ببيروت في دراسة الطب ، وانه هاجر ١٨٩٩ الى الولايات المتحدة الاميركية ملتحقا بكلية بلتيمور ، وتخرج فيها طبيبا سنة ١٩٠١[٤] . ويروى بعضهم ان نجيبا استحصل على الجنسية الاميركية، بعد تخرجه طبيبا ، وتطوّع في الجيش الاميركي ، وانه رافق حملته لافتتاح الفلبين[٥]، وان الحكومة الاميركية كافأت نجيبا بمنحه رتبة "كولونيل" في الجيش ، وقطعة ارض كبيرة في جزيرة " سيبوه"

---

(١) لخليل تقي الدين من المؤلفات : "الاعدام" مجموعة قصص ١٩٤٠، "خواطر ساذج" ١٩٤٣، "عشر قصص من صميم الحياة" ١٩٦١، "تامارا" ـ قصة، ١٩٥٥، "ينبوع الفن" مسرحية، ١٩٣٤، و"مذكرات سفير" ١٩٦٨ .

(٢) لمنير تقي الدين مؤلفان: "ولادة استقلال" ١٩٥٣، و "الجلاء" ١٩٥٦ .

(٣) راجع سجل العائلة .

(٤) من احاديث خاصة في ١٨/ ٩/ ٦٨، مع ام سعيد ونايفة تقي الدين زوجة اخيه فواد التي عاشت معه في الفلبين . وكذلك من احاديث خاصة في ٢٨/ ١٠/ ٦٨، مع سعيد حمادة، امين خضر ، والدكتور رياض حمادة، غير اننا لم نعثر على قيد لنجيب تقي الدين في سجلات الجامعة، اسوة باخيه رشيد وابن اخيه سعيد ، وذلك راجع، في رأى الادارة الى فوضى السجلات في تلك الحقبة .

(٥) من احاديث خاصة في ٩/ ١٢/ ١٩٦٨، مع ام سعيد واديل علم الدين، وامين خضر، وسعيد حمادة . وقد راجعنا المسؤولين في السفارة الاميركية ببيروت للحصول على معلومات ثبوتية اولية فلم يتجاوبوا معنا .

بالفلبين، عاش فيها طوال حياته يمارس مهنته بنجاح ، وتزوج "ماريا" من الفلبين، ورزق عددا من الاولاد (١).

وفي سجل العائلة، ان الدكتور نجيب زار لبنان سنة ١٩٠٥، فاستقبله قنصل اميركا على المرفأ، ودعاه للنزول ضيفا على القنصلية. ومما يروى، انه لما فضل الاقامة في بعقلين، بين أهله، امنت له الحكومة حراسة دائمة (٢).

وفي سنة ١٩٢٥، زار الدكتور نجيب لبنان ثانية، برفقة زوجته، وكان سعيد ابن اخيه قد تخرّج من الجامعة الاميركية قبل شهرين، وتعاقد مع الحكومة العراقية للتعليم في مدارسها، فاقنعه عمه نجيب بالعدول عن ذلك القرار والسفر معه الى الفلبين. ورافق القافلة فواد تقي الدين، الاخ الاصغر لنجيب ، وكان قد تزوج حديثا من نايفة عبد الملك (٣).

٣) امين تقي الدين _ (١٨٨٤_١٩٣٧) (٤): تدل سجلات مدرسة الحكمة على ان امين تقي الدين تلقى علومه الابتدائية والثانوية فيها، بين ١٨٩٣_١٩٠١. ويخبرنا سامي مكارم، ان امينا تتلمذ على الشيخ عبد الله البستاني "وأخذ عنه محافظته

---

(١) من حديث خاص في ٢/ ١١/ ٦٨، مع فواد جريديني مدير شركة "البريزيدان" للشوكولا. كان مع نجيب في سيبوه. وكذلك من حديث خاص في ١٤/ ١١/ ٦٨ مع ادما ولي الدين، من بعقلين، وقد عاشت آنذاك في سيبوه.

(٢) من حديث خاص في ٩/ ١٢/ ١٩٦٨، مع ام سعيد واديل علم الدين، وخليل علم الدين.

(٣) هي نايفة تقي الدين التي ورد اسمها، وقد أيدت الرواية ام سعيد واديل علم الدين وخليل علم الدين.

(٤) راجع سجل العائلة.

على قدسية اللغة وحبه للشعر القديم»[(١)].

ويتبين من سجلات مدرسة الحكمة، انه كان بين رفقاء امين في الصف : جبران خليل جبران، وديع عقل، موسى نمور ، وبشارة الخوري (الاخطل الصغير) .

ويروى ان امينا غادر لبنان الى مصر اواخر ١٩١٠، وأنشأ مكتبا للمحاماة في القاهرة[(٢)]، وفي ١٩١١ انضم الى صديقه انطون الجميل في تحرير مجلة "الزهـور"، التي كان قد انشأها الاخير في آذار ١٩١٠، وكانت "شهرية غير منتظمة الظهور، وعاشت حتى كانون الاول ١٩١٣، وحملت لواء النهضة الأدبية عهدذاك[(٣)].

لدى اعلان الحرب العالمية الاولى، عاد امين نهائيا الى لبنان، وعاش في بيت العائلة ببعقلين. يدلّنا على ذلك ظهور خطة ثانية في سجل العائلة، بعد اختفائه أثناء اقامته في مصر. ويبدو انه اتيح في هذه الفترة لاولاد اخيه محمود : اديل، سعيد، وخليل ، ان يتأدبوا على يديه. من ذلك ما يحدّثنا به سعيد عن عمه: "أشرف على تهذيبنا حين نبت العشب في ملاعب المدارس الاجنبية"[(٤)]... "وكم من ليلة اعوزنا الطعام فأولم لنا عمنا امين من "مختارات الزهور" و"كليلة ودمنة" عشاء فاخرا نجتره ترويقة في الصباح". وينتهي سعيد الى التصريح بأن "جريمة اتجاه ميولي الى الادب تلقى عليه"[(٥)].

---

(١) راجع سامي مكارم، "الشعر العربي في لبنان بين الحربين العالميتين"، اطروحة للماجستير في الاداب من الجامعة الاميركية، ١٩٥٧، ص ٥٨.

(٢) من احاديث خاصة في ٢١/ ١٢/ ١٩٦٨، مع ام سعيد وحافظ ووسيم، نجلي امين. ولم نعثر في سجل العائلة على خبر سفر امين.

(٣) راجع اعداد مجلة "الزهور"، وافتتاحية العدد الاول بتاريخ آذار ١٩١٠، وبتوقيع انطون الجميل. ولاحظ اسماء الذين اسهموا في التحرير، امثال شوقي، حافظ، مطران، جبران، الرافعي وسواهم.

(٤) راجع مقدمة "نخب العدو"، مطبعة الكشاف، بيروت، ١٩٤٦، ص ٢٤.

(٥) راجع المصدر نفسه.

وحوالي ١٩١٧ نزل امين الى بيروت واسّس مكتبا للمحاماة مع شريكه جبرائيل نصار[١]. ومما يروى عن هذه الحقبة، ان مكتب امين تقي الدين كان ملتقى الشعراء والأدباء، وبخاصة رفقائه القدامى: بشارة الخوري، موسى نمور، ووديع عقل، وانهم كانوا يعقدون ندوات شعرية وأدبية[٢]، اتيح لسعيد، كما سنرى، ان يتردد عليها.

والمعروف عن امين تقي الدين، ان شخصيته كانت على جانب من الدماثة والنبل والوفاء[٣].. ومما يخبرنا به رزوق فرج رزوق، ان الشاعر الياس ابا شبكة كان "يتردد عليه (امين) كثيرا، ويقرأ على مسامعه ما كان ينظمه من شعر، فلا يلقى الا الاهتمام والتشجيع"[٤].

توفي امين بسكتة قلبية في ٣١ أيار ١٩٣٧ بيروت، وأقيم له مأتم كبير في بعقلين[٥]، وفي عام ١٩٥١، وبمسعى سعيد، علق رسم زيتي لأمين تقي الدين في دار الكتب الوطنية[٦]. من آثاره: "في آداب المحاماة"، وديوان شعر جاهز للطبع[٧].

٤) رشيد تقي الدين – (١٨٨٨–١٩٥٨)[٨]: من الثابت ان رشيدا درس في الجامعة الاميركية ببيروت من ١٩٠٥–١٩١١[٩]، وبعد تخرجه طبيبا، سافر ١٩١٢

---

(١) من احاديث خاصة في ٢١/١٢/١٩٦٨، مع ام سعيد وحافظ ووسيم تقي الدين.
(٢) المصادر نفسها.
(٣) اجمع على ذلك معارفه الاحياء امثال: امين خضر، سعيد حمادة، ويوسف ابراهيم يزبك.
(٤) راجع رزوق فرج رزوق، "الياس ابو شبكة وشعره"، رسالة مقدمة للماجستير في الآداب من الجامعة الاميركية ببيروت، ١٩٥٥، ص ١٤١.
(٥) راجع سجل العائلة وفيه مجموعة كبيرة من قصاصات الجرائد، في رثائه، وقد اجمعت هذه الصحف على ان وفاة امين "مصاب لبنان واللغة العربية والاخلاق".
(٦) راجع سجل العائلة والخبر مدون بخط سعيد.
(٧) راجع المخطوط في حوزة ابنه حافظ تقي الدين.
(٨) راجع سجل العائلة.
(٩) راجع سجلات الجامعة.

للعمل في نيويورك[١]. وتجمع الروايات انه كان للدكتور رشيد موهبة خطابية وأدبية، وانه كان يكتب في جريدة "الهدى" النيويوركية، ويخطب في المجتمعات والمحافل العربية[٢]، وانه أثناء القائه احدى خطبه، وقع وأصيب بالفالج، ولم يشف منه حتى وفاته[٣].

ومما يروى، ان سعيداً، حالما سمع بما أصاب عمه رشيداً، بادر الى ارسال مبلغ من المال الى "جمعية الباكورة الدرزية" في نيويورك، لقاء ما انفقته عليه من مال، مدة سنتين في المستشفى، ولتسفيره حالا الى لبنان[٤].. وفي بيت العائلة ببعقلين، لزم الدكتور رشيد سريره، حتى وفاته ١٩٥٨.

٥) فواد تقي الدين - (١٨٩١-١٩٣٣)[٥]: وهو أصغر اعمام سعيد. عمل في التجارة، تزوج نايفة عبد الملك، وسافر معها ١٩٢٥، برفقة اخيه نجيب وسعيد الى الفلبين[٦]، حيث نزلوا في بيت نجيب بجزيرة سيبوه. ونعلم انه، بالاشتراك مع سعيد، أسس شركة تجارية، فكان هو يقيم في مخزن الاقمشة بسيبوه، وسعيد يتنقل في مركب صغير، بين الجزر، يعرض مساطر من بضائعه على التجار، ثم يشحن لهم الطلبات[٧].. لكن، يبدو ان المضاربة الشديدة وعدم الخبرة، فضلا عن طبيعة سعيد

---

(١) راجع سجل العائلة.
(٢) من أحاديث خاصة في ٢١/ ١٢/ ٦٨، مع ام سعيد وخليل علم الدين (صهره) ونايفة تقي الدين.
(٣) المصادر نفسها. وترجح ام سعيد بان الدكتور رشيد رجع الى لبنان ١٩٤٦.
(٤) المصادر نفسها.
(٥) راجع سجل العائلة.
(٦) راجع المصدر نفسه.
(٧) من أحاديث خاصة في ٢/ ١١/ ١٩٦٨، مع فواد جريديني، ونايفة تقي الدين، وادما ولي الدين، وكانوا عهد ذاك في سيبوه.

المغامرة، تسببت جميعا في افلاسه[١]. وعندما تزوج سعيد ١٩٣١، صفى الشركة لفواد، فبقي هذا مع عائلته في سيبوه، وتوفي بسكتة قلبية سنة ١٩٣٣، وعادت نايفة مع اولادها الى بيت العائلة في بعقلين[٢].

زهية تقي الدين (ام سعيد) : ١٨٨٤[٣] –

هي زهية عبد الملك، زوجة محمود تقي الدين وابنة خاله. ابوها المحامي أمين عبد الملك من بتاتر، قضاء عاليه، وامها فريدة ابو حمزة من خريبة الشوف. اخوتها : نجيب وسامي محاميان، فواد مهندس، وعارف خبير في الزراعة. والعائلة كلها معروفة بروح النكتة والفكاهة وسرعة الخاطر.

عندما بلغت زهية السابعة ارسلها أبوها الى مدرسة الشويفات، فتتلمذت على مؤسستها الانكليزية لويزا بروكتر، ومديرتها الاميرة اسما أبي اللمع، مدة ست سنين، درست خلالها اللغتين العربية والانكليزية، ومبادئ الحساب والتاريخ والجغرافية والانجيل.

تركت مدرسة الشويفات عام ١٨٩٧، وتزوجت وعمرها اربع عشرة سنة. عاشت مع زوجها محمود ستا وأربعين سنة، وتبلغ الآن الخامسة والثمانين، وهي سيدة جليلة، في كامل قواها الجسدية والعقلية.

---

(١) من احاديث خاصة في ٢/ ١١/ ١٩٦٨، مع فواد جريديني، ونايفة تقي الدين، وأدما ولي الدين، وكانوا عهدذاك في سيبوه.
(٢) المصادر نفسها.
(٣) هذه المعلومات اخذت من السيدة ام سعيد نفسها ومن ابنتها أديل علم الدين.

٢ـ طفولتـه وتحصيلـه الابتدائـي :

ولد سعيد، بكر الشيخ محمود تقي الدين من البنين، في ١٥ أيار ١٩٠٤، فاختار له ابواه، تيمنا، اسم جده، وأرخت الولادة، شعرا، في السجل العائلـي، وبخط الوالد وتوقيعه[(١)].

في مسقط رأسه بعقلين، وهو في نحو الخامسة من العمر، التحق سعيد مع اخته اديل "بالمدرسة الوطنية الدينية" خاصة الست حلا، حيث اتيح لهما تلقي مبادئ العربية والانكليزية، فضلا عن الحساب وعلم الصحة والدين. وقد دام سعيد في هذه المدرسة نحو سنتين[(٢)].

عندما بلغ سعيد عامه السابع، رافق اخاه خليلا، وكان قد تجاوز الخامسة، الى مدرسة المعلم ملحم الخاصة بالصبيان[(٣)]، وهناك تابع دروسه التي كان قد تأسس عليها في مدرسته الاولى، فضلا عن تعرفه بمبادئ الدين المسيحي[(٤)].

---

(١) "بحروف النور الفاظ بـدت كتبتها انمـل المولى الوحيـد
جملة واحـدة مضمونهـا عش طويلا يا ابن محمود السعيد
والهنا يا آله أرخ لكـم: ان روح الجدّ في هذا الحفيـد"
وتروي ام سعيد انها طرزت الابيات بخيوط الذهب على لوحة ظلت معلقة فـي الصالون ببعقلين، حتى ترميم البيت بعد الزلزال ١٩٥٦.

(٢) من احاديث خاصة في ٩/ ٨/ ١٩٦٨، مع ام سعيد واديل علم الدين، والست بهيجة، مديرة المدرسة حاليا. وقد روت لنا هذه، ان اختها، الست حـلا، طالما حدثتها عن طفولة سعيد في المدرسة، وانه كان من اذكى الاولاد وأكثرهم نكتة وسرعة بديهة. من ذلك انه ذهب مرة الى الصيد، وتغيب عن المدرسـة. ولما سألته الست حلا في اليوم التالي، عن سبب تغيبه، ولم تكن تقبـل الاعـذار الواهية، اجابها بدون ارتباك: "كنت مغسّل قنبازي".

(٣) من احاديث خاصة مع ام سعيد واديل علم الدين.

(٤) راجع خليل تقي الدين، "مذكرات سفير".

والذى نعلمه ان سعيدا لم يمكث في مدرسة المعلم ملحم أكثر من سنة دراسية واحدة، لأن أباه انتقل ١٩١٢، الى بعبدا، بحكم وظيفته كاتبا لمجلس ادارة الشوف[١] ، فكان من البديهي ان تصحبه عائلته[٢]، وسعيد يومذاك في الثامنة من عمره، لم ينه مرحلة تعليمه الابتدائي بعد.

في بعبدا، دخل سعيد واخوه خليل "مدرسة القديس يوسف الانطونية". يخبرنا يزبك[٣] الذى كان زميلا لسعيد في بعبدا، ان "المدرسة الانطونية"، معهد للرهبان الموارنة، عرف بالتسامح وبعدم التعصّب، ولو في الظاهر، وبمداراة أبناء الموظفين. وهكذا فان نجلي الشيخ محمود لقيا عطفا خاصا من جانب الرهبان.

ويخبرنا يزبك ايضا ان "المدرسة الانطونية" كانت تعنى باللغتين العربية والفرنسية، وكانت في المستوى الثانوى، وكان يدرس اللغة العربية في الصفوف المتقدمة من بيان وبديع ـ الشاعر وديع عقل.

لكن التغيير الجذرى الذى طرأ على تعليم سعيد في المدرسة الانطونية هو استبدال اللغة الانكليزية التي تأسس فيها، في مدرستي الست حلا والمعلم ملحم في بعقلين، والتي كان يسمعها، طفلا، من امه في البيت، باللغة الفرنسية. وفضلا عن ذلك فقد وجد نفسه من القلة المحمدية في معهد تطغى عليه وعلى محيطه الروح

---

(١) راجع سجل العائلة.
(٢) من حديث خاص مع ام سعيد.
(٣) من حديث خاص، مع يوسف ابراهيم يزبك في ١٤/ ١/ ١٩٦٩.

المسيحية[١]. ربما كان ذلك، مما يفسّر ما رواه رفيقه عنه، من ان سعيدا لم يكن مطمئنا الى جوّ المدرسة، ومن انه كان يتلكأ في دروسه الفرنسية، باحثا عن سبيل آخر لابراز شخصيته وتفوقه، وكان ذلك عن طريق تباهيه في لعب "الكلّة"[٢]، فقد كان السباق فيها لا يغلبه احد .

أما بصدد شخصية سعيد ، في تلك المرحلة الباكرة من حياته، فمرجعنا الوحيد ما يخبرنا هو عن نفسه[٣]، من انه، بسبب مقام جده ثم ابيه، موظفي دولة كبيرين، نشأ يحدوه الشعور بالتفوق على سائر الرفاق . ففي الضيعة لم يكن ينادى الا "بالبك او بالشيخ".

ويعترف سعيد ، بأنه "لم يكن بالغلام الصلب ، كما اوحت هامته، او كما تتوقعه ممن ربي في الشوف"، وانما كان "محميا"، وانه بفضل تلك الحماية نشأ وديعا حتى الجبن[٤].. ولعلّ هذا ايضا ما يعلل قلة اختلاطه برفقائه، وانصباب ميوله الاجتماعية والتربوية، ضمن الاطار العائلي الضيق : بين ابويه، وعمه أمين ، واخواله[٥].

وتشير القرائن الى ان سعيدا كان شديد الشغف بعمه أمين، وتراه يصفه لنا

---

(١) راجع خليل تقي الدين، "مذكرات سفير". وكذلك راجع مقدمة "نخب العدو " ، ص ٢٥ .
(٢) من حديث خاص مع يزبك .
(٣) راجع مقدمة "نخب العدو"، ص ٢٥ .
(٤) راجع مقدمة "غابة الكافور"، ص ٢٥ . دار العلم للملايين، بيروت ، ١٩٥١، ص ٦ .
(٥) راجع المصدر نفسه ، ص ٦ .

بتلك "الطوفة من الشاعرية والخلق الرفيع"[١] ، وبأنه كان كالواحة، يفيء اليها سعيد مع اخته أديل ، ثم مع أخيه خليل ، ليسترشدوا بآرائه وتوجيهاته الأدبية. ومما ترويه اديل، وهي كبرى اخويها، ان عمهم كان يباريهم في حفظ الشعر ، او يدعهم يقرأون عليه ابياتا من مختاراته الشعرية، ويطالبهم بتحليلها او بوضعها نثرا، من سبيل التمرّن على الكتابة وتهذيب الاسلوب[٢].

بالاضافة الى ذلك، يحدثنا سعيد واخواه، انهم كانوا يتثقفون من مكتبة البيت في بعقلين. من أبرز الكتب التي تداول الاخوة قراءتها: "كليلة ودمنة"، "مجاني الأدب"، (للاب شيخو) ، "ديوان الحماسة"، (لأبي تمام) ، "ديوان المتنبي"، "ألفية ابن مالك"، وكذلك القرآن والانجيل وسواهما[٣].

ويزعم خليل ان عمهم الشاعر كان "لا يفضل على "كليلة ودمنة" كتابا آخر. كان يقرأ فيه ويحث الصبيان على القراءة ويقول لهم: من قرأ "كليلة ودمنة"، وادمن قراءته ، فقد تعلم العربية وأتقنها"[٤].

ومما يقوله خليل عاطفا على ذلك: "كان معلمنا واحدا، عمنا امين تقي الدين، صاحب قصيدة "الله يا لبنان ما اجملك !"، فنشأنا يهدر في جوانحنا حبّان، حبّ

---

(١) راجع مقدمة "غابة الكافور"، ص ٦.
(٢) من حديث خاص مع اديل علم الدين، في ١٥/ ٦/ ١٩٦٨. وكذلك راجع سعيد تقي الدين، "انا والتنين"، دار المجاني، بيروت ، ١٩٦١، ص ٣٨.
(٣) من حديث خاص مع اديل علم الدين، و "انا والتنين"، ص ٣٨، و "مذكرات سفير".
(٤) راجع مذكرات سفير .

للادب وشغف بلبنان"[١]. فتأثير امين تقي الدين على اولاد اخيه، كما يبدو، تعدى الناحية الادبية والشعرية، الى بث روح الوطنية في صدورهم، ويتجلى ذلك واضحا في انتاج سعيد وحبه الشديد للبنان.

وبالاضافة الى عمه امين، يخبرنا سعيد ايضا، انه في صغره، مرح مع اخواله، "في مهرجان من الفكاهة والسخرية والدعابة"[٢]. ولعلّ سعيدا، بنتيجة معاشرته لأخواله، الذين عرفوا بروح النكتة والظرف، كما سبق وأشرنا، تفتّح في نفسه ميله الفطري الى الأدب الفكاهي الساخر. وهكذا نرى، انه اتيح لسعيد، وهو طفل ثم يافع، ان يتلقح بميول عمه الأدبية الشعرية، وبنكتة اخواله.

عندما نفي ابو سعيد الى الأناضول عام ١٩١٦، ترك ام سعيد واولادا خمسة في الحدث[٣]. من أحاديث ام سعيد، انها لبثت مكانها مع اولادها، حتى إذا بدا لها ان غياب زوجها سيطول، انتقلت الى بيت العائلة في بعقلين، لتكون قريبة من الاهل، يعينونها على اعالة اولادها. لم يكن لسعيد، اذن، سوى اثنتي عشرة سنة، عندما خبر نوعا من تحمّل المسؤولية في غياب أبيه.

وكان من اضرار الحرب الكونية الاولى على عائلة محمود تقي الدين، عدا الضائقة الاقتصادية وغياب رب البيت، ان المدارس التبشيرية اقفلت، وكان سعيد قد اضحى يافعا يضيع اثمن سنوات تحصيله خارج المدرسة ... فقررت الوالدة، بالتشاور مع

---

(١) راجع خليل تقي الدين، "الجريدة"، ٢٨ شباط، ١٩٦٠.
(٢) راجع مقدمة "غابة الكافور"، ص ٧.
(٣) هي حدث بيروت قرب بعبدا، مقر وظيفة ابي سعيد في ذلك الحين.

أعمام سعيد وأخواله، بان سعيدا يجب ان يستأنف دراسته، مهما كلفهم ذلك من تضحيات، هم في أمسّ الحاجة اليها[١]. وكانت الجامعة الاميركية ببيروت بين المعاهد القليلة التي ظلت ابوابها مفتوحة في تلك الحقبة، فأرسل سعيد اليها.

٣ـ في الجامعة الاميركية :

أ ـ تحصيله الثانوى في "الاستعدادية" : في خريف ١٩١٧[٢]، توجه سعيد الى المدرسة الاستعدادية[٣]، وكان يشترط على الراغبين في الالتحاق بها ان يخضعوا لامتحان دخول، في اللغتين العربية والانكليزية، فضلا عن المواد الاساسية الاخرى، كالحساب والعلوم الطبيعية[٤]. والذى نعلمه ان سعيدا امضى في الاستعدادية اربع سنين، قبل الارتقاء الى صف "الفرشمن"، او "العلمي الاول"، في خريف ١٩٢٠[٥].

ولا بد اولا، من الرجوع الى الوراء، ووصف التغيير الذى طرأ على شخصية سعيد لدى نزوله الى الجامعة، مما يحدثنا عنه هو[٦]، او احد رفقائه في الصف[٧]،

---

(١) من حديث خاص، مع ام سعيد، في ٩/ ٨/ ١٩٦٨.
(٢) راجع سجلات الجامعة.
(٣) راجع "كتالوج" الجامعة لسنة ١٩٢١ـ١٩٢٢، وفيه اشارة الى ان "الاستعدادية" هي احدى المدارس السبع التابعة للجامعة الاميركية، وكانت قد تأسست سنة ١٨٨٠، وتهيء الطالب لدخول صف الفرشمن.
(٤) راجع المصدر نفسه.
(٥) راجع المصدر نفسه، لعام ١٩٢٠ـ١٩٢١.
(٦) راجع مقدمة "نخب العدو"، ص ٢٦ ـ ٢٧.
(٧) ميشال ساحة، مهندس ورجل اعمال، من حديث خاص معه في ١٧/ ٨/ ١٩٦٨، وهو جبلي كسعيد، وكان رفيقه طيلة السنوات الثماني في الجامعة (١٩١٧ـ١٩٢٥).

من أن هذا الانتقال اثّر على سعيد، فشعر فجأة ان "الحماية" التي خبرها في بعقلين ارتفعت عنه فجأة، فاذا هو وحيد مستوحش وسط زمرة من الشباب البيروتي المتهكم[١].

ويخبرنا سماحة، انه اصبح من عادة الطلاب البيروتيين، في الصف وخارجه، ان يتحدّوهما، كجبليين، بأفانين السخرية والدعابة السمجة، كمناداة سعيد مثلا، "يا جبلي" او "كيف جناب الشيخ !"[٢].. وان سنة كاملة انقضت قبل ان يكتسبا شيئا من صلابة العود، ويخرجا من طور الانطواء السلبي الى المقاومة العنيفة[٣]. ويخبرنا سماحة ايضا، انهما سرعان ما انصرفا الى ممارسة فنون الرياضة البدنية، ولم يلبث سعيد ان برع في السباحة، وأمسى قائدا لفرقة كرة السلة[٤].

في المرحلة الاخيرة من دراسته الثانوية، حسب تقديرنا، بدأ اهتمام سعيد الجدى في الكتابة. فبعد نزول عمه أمين الى بيروت، لممارسة المحاماة، وجعله مكتبه بمثابة "ندوة" يجتمع فيها الادباء والشعراء، وفي مقدمتهم رفقاؤه القدامى في مدرسة الحكمة[٥]، اكثر سعيد من التردد الى مكتب عمه، حيث تسنى له التعرف بـرواد

---

(١) من حديث خاص مع ميشال سماحة في ١٧/ ٨/ ١٩٦٨. وراجع مقدمة "نخب العدو"، ص ٢٦.
(٢) راجع "نخب العدو"، ص ٢٧.
(٣) من حديث خاص مع ميشال سماحة في ١٧/ ٨/ ١٩٦٨.
(٤) المصدر نفسه، وقد امسى سماحة ايضا قائدا لفرقة كرة القدم، وكذلك من حديث خاص مع الدكتور متى عقراوى استاذ التربية في الجامعة، في ١٢/ ١٠/ ١٩٦٨، وقد كان مع سعيد في فرقة كرة السلة.
(٥) راجع الكلام على امين تقي الدين في هذا البحث.

الندوة، اذ ان اول مقال نشر لسعيد، ظهر في جريدة "البرق" عدد ١٢ حزيران ١٩٢١، وكان يصدرها صديق عمه، الشاعر بشارة الخوري[١]. كان لسعيد عامذاك سبع عشرة سنة، وقد انهى للتو، مرحلة دراسته الثانوية التي تخوّله الدخول للصف العلمي الاول "الفرشمن".

عنوان المقال: "رياضياتنا ورياضياتهم"[٢]، وهو لا يتعدى كونه محاولة لتلميذ مجتهد في المرحلة الثانوية. انه مقارنة بيننا وبين الغربيين - تقدمهم في ممارسة الرياضة البدنية، وخمولنا نحن وجهلنا اصولها. ونلاحظ ان الكاتب جدّي، وانه مصلح اجتماعي بالفطرة، ومندفع نحو غايته بحماسة واخلاص، وان نفسه في الكتابة تصير، يفضل الاختصار على الاسهاب - وهي خصائص لزمت كتاباته جميعا، طوال سنيه اللاحقة، كما سنلاحظ[٣].

بعد هذه الخطوة الاولى، يقول سعيد، تعددت مقالاته "في صحف بيروت

---

(١) في تصريح صحفي لسعيد الى مندوب "الجريدة"، بتاريخ ١٨/ ٥/ ١٩٥٣، قال: ان اول مقال نشر له كان في جريدة "البرق"، عام ١٩١٩. وقد تحرينا عن هذا المقال فعثرنا عليه في عدد ١٣ حزيران ١٩٢١.

(٢) راجع "رياح في شراعي"، بيروت، ١٩٦٠، ص ١٧، حيث يحدثنا سعيد بانه بعث بالمقال الى "البرق" بتوقيع مستعار "حماد"، "فلما ظهر افتتاحية، رحت احاول ان اقنع كل من أعرف انني انا صاحب المقال فلم يصدقني احد".

(٣) راجع المقال في مصدره، ولاحظ كيف ان "البرق"، اذ توجت المقال بعبارة "بين الجد والكسل"، فاتها تصحيح العنوان: "رياضياتنا ورياضياتهم". فالذي عناه سعيد، كما يتضح من النص، "رياضتنا ورياضتهم"، لا العلوم الرياضية.

ودمشق، وفي بعض مجلات مصر"، وأكثرها موقّع : "حماد او بشار"[١]، وقد عثرنا منها على مقال، ادرج ايضا افتتاحية في "البرق"، وبتوقيع "حماد"، تحت عنوان: "يا حملة الاقلام تعالوا نتحاسب"[٢]، ومما يقوله فيه مخاطبا الكتاب :

"تعالوا نستعرض الاخطار التي تهددنا، ونرى موقفكم ازاءها: الصهيونية، المهاجرة، وعدم رجوع المهاجرين" — ثم يمضي يعالج كلا من هذه الاخطار الثلاثة، على حدّ زعمه، ويركز على ترغيب المهاجرين في العودة الى لبنان.

ب — تحصيله العالي في الجامعة : في تشرين الاول عام ١٩٢١، ارتقى سعيد الى الصف العلمي الاول "الفرشمن" في الجامعة الاميركية[٣]، للحصول على درجة "ب.ع." في "الفرع العلمي"، والذى من شأنه ان يوفر للطلاب، خلال أربع سنين متتالية، ثقافة عامة في اللغات والاداب والتاريخ، والاقتصاد والعلوم وسواها[٤]. وسنحاول ان ندرج بعض الدروس الادبية التي عني بها سعيد، في الصفين العلميين الثالث والرابع[٥].

١) في الانكليزية : مقدمة للادب، دراسة القصة، مسرحيات شكسبير، النهضة الرومنسية والعصر الفكتورى، تعريب الروائع الأدبية الغربية، وتاريخ الأدب الاميركي.

---

(١) راجع مقدمة "نخب العدو"، ص ٢٨. وقد اثبت هذا الادعاء الدكتور جبرائيل جبور، في حديث معه بتاريخ ٥/١٢/٦٨.
(٢) راجع النص في "البرق"، عدد ٢٠ تموز ١٩٢١.
(٣) راجع سجلات الجامعة.
(٤) راجع "كتالوج" الجامعة للسنين ١٩٢١—١٩٢٥.
(٥) راجع المصادر نفسها.

٢) في العربية : البحث في أنواع النثر وأساليب الكتابة في العصور المختلفة. كتابة الرسائل الوافية والتمرن على النقد الأدبي . درس البلاغة. درس شعر المتنبي (او المعرى) وكتابة المقالات العلمية والادبية[١].

من الواضح، ان هذه الملاحظات لا تفي بالغرض، ولكنها، على الاقل، تعطينا فكرة عامة عن الدروس التي عني بها سعيد في الجامعة.

عدا ذلك، يحدثنا بعض رفقاء سعيد آنذاك[٢]، بأنه كان يمضي الساعات يطالع في مكتبة الجامعة الاميركية. اما سعيد نفسه، فيصف، فيما بعد، مطالعاته تلك، وبأسلوبه المعهود في تضخيم الامور المتعلقة بشخصه، فيقول: "لقد قرأت، بل درست الادب الكلاسيكي في أيام الشباب. قرأت أطنانا منه. وبعد ذلك قرأت كتبا أميركية عديدة، اذكر منها مؤلفات جاك لندن واو. هنرى. وأعتقد اني قرأت كل كلمة كتبها طاغور وغاندى نهرو"[٣].

أما على صعيد النشاط الخارجي، فتدل القرائن، بانه كان لسعيد فيه مجال أوسع، وهو موضوع يسوقنا الى رسم جوّ الجامعة في العشرينيات، خارج نطاق الدروس فقد كان لطلاب الجامعة، منطلق فكرى وثقافي واحد، هو جمعية "العروة الوثقى" . .

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن الدروس التي عني بها سعيد في سنواته الجامعية الاربع، راجع "كتالوجات" الجامعة للسنين ١٩٢١ــ ١٩٢٥.

(٢) من أحاديث خاصة، في ٥/ ١١/ ١٩٦٨، مع جبرائيل جبور، ميشال سماحة، متى عقراوى، والدكتور فريد زين الدين وزير دولة سورى، ووزير مفوض، ومندوب الى الامم المتحدة سابقا، ومستشار قضائي، حاليا في بيروت.

(٣) راجع "الجريدة"، عدد ١٨/ ٥/ ١٩٥٣.

حدثنا فريق من هؤلاء[١]، ان "العروة" ضمت الطلاب ذوى الميول القومية والأدبية، فكانت منبرهم ومنتداهم لتنظيم المباريات الخطابية والتمثيليات الاجتماعية والوطنية.

ويصف احدهم "العروة الوثقى" بقوله: "كان يدير الجمعية فئة من خيرة الطلاب، يحيون حفلات خطابية جماهيرية، وتشتد فيها الحماسة... وكنا نخرج منها ونحن نحسّ بروح جديدة تلتهب فينا "..." وتدعونا الى الاعتزاز بلغة العرب وثقافة العرب"[٢].

ويروى احد اعضائها البارزين يومذاك، انه كان من نشاط العروة في تلك الفترة، مناوأة الفرنسيين، وكان الاعضاء يغتنمون المناسبات القومية الحساسة، كذكرى الشهداء، او كذكرى وعد بلفور، لاقامة المهرجانات الخطابية، وان شباب العروة، كثيرا ما كانوا يخرجون في السادس من أيار الى جبانة الشهداء، على الرمل، ويخطبون في الجماهير[٣].

ويضيف سعيد الى ذلك، بان احتفالات العروة لذكرى الشهداء، توسعت في عهد رئاسته ١٩٢٣–١٩٢٤، حضرتها الألوف من وفود المدن السورية واللبنانية جميعا[٤].

ويخبرنا الدكتور جبور، ان الرقابة الفرنسية على نشاط "العروة الوثقى"، وبالتالي على الجامعة، لم تكن من الخارج مباشرة، وانما من الداخل. بمعنى انه كان

---

(١) من احاديث خاصة، في ١٢/٥/ ١٩٦٨، مع جبرائيل جبور، فريد زين الدين، متى عقراوى وميشال سماحة.
(٢) راجع مقال متى عقراوى، مجلة "العروة الوثقى"، عدد حزيران، ١٩٣٦.
(٣) من حديث خاص مع جبرائيل جبور.
(٤) راجع "انا والتنين"، ص ١٢٦–١٢٧.

ثمة اتفاق حبي بين الحكومة من جهة وادارة الجامعة من جهة ثانية، لمراقبة نصوص الخطب ، والتخفيف ما أمكن، من لهجة التطرف والعنف[١].

يخبرنا رفقاء سعيد ، بأنه كان من البارزين في ارتجال الخطب الحماسية الوطنية[٢]، ويروى لنا سعيد نفسه، ان أول الدروس في المناورات السياسية "تلقيتها على الاستاذ عبد الله الحاج ، وكانت نتيجتها في النهاية رئاستي لجمعية "العروة الوثقى"، بعد ان دحرنا محور" نصولي ــ مشنوق"[٣]..

ولم يقتصر نشاط سعيد في العروة على القاء الخطب، وانما يخبرنا رفقاؤه بأنه كان للجمعية مجلة خطية ظلت تكتب باليد حتى ١٩٣٦[٤]، وانه كان لسعيد شأن في تحريرها . ولدى تحرينا عن ذلك في مكتبة الجامعة ــ قسم المحفوظات ، عثرنا فقط على عددين، يرجع عهدهما الى السنة الدراسية ١٩٢٣ــ١٩٢٤، فترة رئاسة سعيد للعروة، وهو آنذاك في عامه الجامعي الثالث. وسنأتي على وصف العددين بايجاز، لنعطي فكرة عن المجهود الفذ الذى كان يبذله اعضاء العروة، سواء من حيث التحرير او الاخراج ، في سبيل مبادئهم القومية والثقافية[٥].

---

(١) من احاديث خاصة مع جبور و زين الدين وعقراوى .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) راجع "رياح في شراعي"، ص ٢١٨، ويعني سعيد "بنصولي ومشنوق"، أنيس النصولي وعبد الله المشنوق .
(٤) من احاديث خاصة مع جبور ، زين الدين، وعقراوى .. وراجع اول مجموعة مطبوعة لمجلة "العروة الوثقى" لعام ١٩٣٦، في مكتبة الجامعة، حررها قسطنطين زريق .
(٥) راجع العددين المخطوطين المشار اليهما في مكتبة الجامعة، قسم المحفوظات.

١) العدد الاول: ظهر في اعلى الغلاف بخط كبير: "مجلة العروة الوثقى، السنة الاولى، تشرين الثاني[١]، العدد الاول".

أ‌- لجنة التحرير - برئاسة سعيد تقي الدين، وعضوية متى عقراوى وأنيس النصولي.

ب‌- جاء في الافتتاحية التي وقعتها لجنة التحرير: " هذه المرة الاولى التي تصدر فيها "العروة الوثقى" مجلة "..." ولقد قطعنا على انفسنا عهدا أن لا ننشر فيها غير كل طيب نفيس..."

جـ- قدم رئيس التحرير (سعيد) للمقالات الرئيسية، وقد تميز العدد بدسامة المواد، وبالاخراج الفني الجميل، وهو يسجل اول محاولة جدية لجعل نشرة "العروة الوثقى"، مجلة محترمة، وهي خطوة تحققت في عهد رئاسة سعيد للجمعية.

٢) العدد الثاني: المخطوط، هو عدد حزيران للسنة الدراسية ١٩٢٣-١٩٢٤.

أ‌- رئيس التحرير، جبرائيل جبور.

ب‌- ومن مواد العدد ريبورتاج مصوّر (فوتوغرافيا) للنشاط الرياضي على ملاعب الجامعة - فرقة كرة القدم وقائدها ميشال سماحة، وفرقة كرة السلة وقائدها سعيد تقي الدين[٢].

---

(١) لقد فات الخطاط "تسجيل "١٩٢٣" على الغلاف، لكننا استطعنا التأكد من التاريخ بعد تتبع حوادث العدد بتواريخها.

(٢) هذا الريبورتاج يثبت ما ورد عن تفوّق سعيد الرياضي، في حديث رفيقه ميشال سماحة.

وعدا مجلة "العروة الوثقى" الخطية، يخبرنا الدكتور جبور، بأنه كان للجامعة في سنوات العشرين مجلة "الكلية"، تنطق بلسان المتخرجين، وتصدر باللغتين: عدد بالانكليزية وعدد بالعربية، ولا يفسح المجال امام الطلاب لتقديم مواد لها، ما لم يكونوا من المجلسين، ومن الصف المنتهي[1].. ولما كان سعيد من البارزين في صفه، فقد نشرت له "الكلية" ترجمته لاقصوصة "قهوة سوراط" لتولستوى[2].

ولم تنشر "الكلية" لسعيد، في المرحلة الجامعية تلك، غير الخطاب الذى ألقاه في مأدبة المتخرجين عام ١٩٢٥، وعنوانه: "بنو بكر وبنو شيبان"، نسبة الى طلاب الصفين: صف ١٩٢٤ وصف ١٩٢٥، والى النزاع التقليدى بينهما. ويتجلى في هذا الخطاب روح النكتة والدعابة[3].

وعلى الصعيد الثقافي الفني، كان من عادة الجامعة الاميركية، في ذلك العهد، تقديم مسرحيات عربية يتولى اخراجها وتمثيلها جمعية "العروة الوثقى"، على غرار ما كان يحدث في معاهد الارساليات الاخرى[4]. ومما يقوله الدكتور نجم عن هذه المسرحيات، انها كانت، على الغالب، تقام في نهاية العام الدراسي، وانها كانت "ترمي الى اهداف تربوية وثقافية ودينية"[5].

---

(١) راجع اعداد "الكلية" (العربية) لسنتي ١٩٢٤–١٩٢٥، في مكتبة الجامعة. وتجدر الاشارة، الى انه في عام ١٩٤٨، عندما صدر لسعيد "حفنة ريح"، ومعها أقاصيص "موجة نار"، ضمت "قهوة سوراط" الى المجموعة.

(٢) راجع "الكلية"، عدد نيسان، ١٩٢٥، ص ٢٤٩–٢٥٥.

(٣) راجع الخطاب في "الكلية"، عدد تموز، ١٩٢٥، ص ٤٢٦– ٤٢٨.

(٤) راجع محمد نجم، "المسرحية في الادب العربي الحديث"، بيروت، ١٩٥٦، ص ٦١.

(٥) راجع المصدر نفسه.

وفي الجامعة، يخبرنا الدكتور جبور[١]، كان الاستاذ فريد مدوّر يشرف على اخراج التمثيليات ويتولى توزيع الادوار. ويبدو انه نظرا لنشاط سعيد، ولمكانته في جمعية "العروة الوثقى"، كان يعهد اليه بأحد الادوار الرئيسية[٢].

لولا المحامي: في عام ١٩٢٣، وسعيد في سنته الجامعية الثانية، حدث له ما كان بمثابة نقطة تحوّل في حياته الأدبية[٣]. فقد اختارت العروة رواية "الفارس الاسود"[٤]، لتمثل ربيع ذلك العام. وكان سعيد واثقا انه سيظفر بدور رئيسي، كالسنين السابقة، لكن الاستاذ مدوّر، بعد استماعه الى تجارب في الالقاء، وزّع الادوار الرئيسية، وعهد بأقصر الادوار — "الفارس الاسود" — الى سعيد، فما كان منه الا أن رفض الدور معتبرا البادرة اهانة. واعتذر ميشال عن التمثيل، تضامنا مع صديقه[٥].

يخبرنا سماحة، انه جلس مع سعيد وأحمد طوقان، عصر ذلك اليوم، يتداولون في الحادث. وصاح الصديقان بسعيد: "لماذا لا تكتب انت تمثيلية، فأنت من سنتين تكتب وتنشر، وتلاقي كتاباتك صدى مشجعا؟".

راقت الفكرة لسعيد فأجاب دون تردد: "ليش لأ"؟".

في تلك الليلة بدأ سعيد يخطط، ولم يلبث ان وقع على موضوع الرواية: قصة

---

(١) وقد اتفق معه كل من عقراوي، سماحة ومدوّر.
(٢) من حديث خاص مع جبرائيل جبور في ١٠/ ١٢/ ٦٨. وراجع كذلك مقدمة "لولا المحامي"، ص ٢.
(٣) من حديث خاص مع رفيقة ميشال سماحة، في ١٧/ ٨/ ٦٨، وقد وردت الحادثة في مقدمة "لولا المحامي"، ص ٢.
(٤) لم نعثر في المراجع على اسم مؤلف "الفارس الاسود"، ولا استطاع احد ان يفيدنا عنه.
(٥) من حديث خاص مع ميشال سماحة.

مهاجر قروي وابن شيخ ضيعة٠٠ وتم الاتفاق، منذ البدء، ان يكون دور المهاجر لميشال، ودور ابن الشيخ لسعيد[١] ٠٠٠

وحلّت العطلة الصيفية، وكان الشيخ محمود تقي الدين قائمقاما في بعلبك[٢]، فوافى سعيد اسرته الى هناك، وأكبّ على اوراقه يكتب٠٠٠ ويروي سماحة ان سعيدا، كان كلما انتهى من كتابة مشهد ارسله اليه بالبريد، الى عين الجوار بالمتن، ليقرأه ويعيده اليه مع ابداء الملاحظات٠ وعندما حان تشرين وعاد الطلاب الى الجامعة،كان ينقص الرواية فصل واحد، انهاه سعيد خلال الشهرين التاليين[٣]٠

في ربيع ١٩٢٤، كانت "لولا المحامي" جاهزة للتمثيل، وقد وزّعت الادوار على الرفقاء، وكانت اسماؤهم معروفة سلفا، وحوارهم، واحدا واحدا، مطابقا لما ينطقون به في حياتهم اليومية٠ ومن بين الذين اسندت اليهم أدوار رئيسية، عدا سعيد وميشال سماحة، عزمي النشاشيبي، جبرائيل جبور، متى عقراوي، احمد الاسعد، وأمين خليفة[٤]٠٠ وقد جرى تمثيل "لولا المحامي" في الوست هول، لأول مرة، في ١٢ نيسان ١٩٢٤، ثم اعيد تمثيلها في ٢٤ أيار من السنة نفسها[٥]، وذلك "نظرا للنجاح الكبير الذي لاقته"[٦]٠ وقد ورد في أخبار مجلة "العروة الوثقى" (المخطوطة)، حول

---

(١) من حديث خاص مع ميشال سماحة٠
(٢) راجع سجل العائلة٠
(٣) من احاديث خاصة،في ٥/ ١١/ ٦٨، مع سماحة، عقراوي، وجبور٠
(٤) المصدر نفسه٠ وراجع "لولا المحامي"،بيروت، ١٩٥٠، ص ٩١٠
(٥) راجع مجلة "الكلية"، عدد شباط، ١٩٢٥، ص ١٩٢٠
(٦) راجع المصدر نفسه، وقد أثبت الخبر كل الذين راجعنا ممن اشتركوا في التمثيل٠

"لولا المحامي"، ان ريعها قدّمته الجمعية الى الانسة مارى كساب، لتسديد ديون المدرسة الأهلية التي كانت رئيستها[1]..

وفي السنة التالية ورد في مجلة "الكلية"، انه نظرا للنجاح الذى أحرزته "لولا المحامي"... "طبعتها جمعية "العروة الوثقى"، بعد ان صدّرها مؤلفها بمقدمة.. "للشاعر الكبير خليل بك مطران، وأردفها بمقالة مشبعة في التمثيل"[2]. والذى يراجع هذه المقالة[3] التي نوهت بها "الكلية" يتضح له ان سعيدا كان في تلك السن، جيد الاطلاع على حركة التمثيل في البلاد العربية، وعلى أسباب تأخرها عن نهضة الغرب.

ويبدو ان من نتائج نجاح "لولا المحامي"، اعادة تمثيلها مرات عديدة، في لبنان والبلاد العربية، طوال الربع القرن اللاحق لظهورها على المسرح[4]. ولعل هذا النجاح الذى أصاب سعيدا وهو بعد في العشرين من عمره، قد فعل فعله الايجابي في نفسه، وحفزه على المزيد من الانتاج، فسارع الى وضع تمثيليته الثانية "قضي الأمر"، وذلك في مطلع عام ١٩٢٥.

---

(١) راجع مجلة "العروة"، عدد حزيران، ١٩٢٤، ص ٠٣٥ وراجع "لولا المحامي"، ص ٠٩٠، وفيها ان ريع الحفلة الاولى للتمثيلية، رصد "للمدرسة السورية الاهلية"، والريع الثاني لطبع "لولا المحامي".

(٢) راجع مجلة "الكلية"، عدد شباط، ١٩٢٥، ص ١٩٢.

(٣) تقع المقالة في ٣٢ صفحة وتتناول المشكلة من مختلف نواحيها.

(٤) راجع "لولا المحامي"، ص ٤-٦، وفيها ان شباب دمشق مثلوا "لولا المحامي"، عام ١٩٢٤ بحضور الدكتور عبد الرحمن شهبندر، فضلا عن اخبار اشخاص معروفين مثلوا "لولا المحامي". ويقول الدكتور جبور انه أشرف على اخراجها في حمص ١٩٢٦، واشترك مع الدكتور قسطنطين زريق في تمثيلها بالجامعة ١٩٣٦.

اخبرنا اثنان [١] قاما بدورين رئيسيين في "قضي الامر"، ان الرواية مثلت في الوستهول بالجامعة، ربيع ١٩٢٥، اخراج المؤلف. وانه تولى الادوار الرئيسية رفقاء سعيد: جورج خضر، كنعان الخطيب، انيس ناصيف، وتقي الدين الصلح [٢]. وقد أكد لنا تقي الدين الصلح، بأن "قضي الامر"، لاقت نجاحا باهرا، مما حدا بالمسؤولين الى اعادة تمثيلها بعد اسبوعين، وكانت قاعة الوست هول ترتج من تصفيق الجمهور.

غير ان جمعية "العروة الوثقى" التي تبنت طبع "لولا المحامي"، لم تطبع "قضي الامر". وبعد سنوات، عندما اعاد سعيد النظر في انتاجه القديم، قرر أنها (قضي الامر) غيرجديرة بالطبع، فأتلف مخطوطتها [٣].

يمكننا الاستنتاج، مما تقدم، ان سعيدا احرز نجاحا في التأليف المسرحي، وهو بعد طالب جامعي، غيران زخم حماسة خفّ في سنته الجامعية الاخيرة [٤]، ولم يلبث، بعد تخرجه في حزيران ١٩٢٥، ان اصابه ردّ فعل معاكس، فأهمل الكتابة، واتجه بعقله وقلبه نحو السفر ليصبح رجل أعمال.

---

(١) من أحاديث خاصة، في ١٨/ ١٠/ ٦٨، مع تقي الدين الصلح، نائب في البرلمان ووزير دولة سابقا، وانيس ناصيف، خبير في المحاسبة والتجارة ورفيق سعيد في الجامعة (توفي في ٧/ ٤/ ١٩٦٩).

(٢) من طريف ما رواه الاستاذ الصلح، انه كان رفيق خليل تقي الدين اخي سعيد في الكلية العلمانية، وصدف ان رآه سعيد مرة يقلد (استاذه في المدرسة، فما كان منه الا ان وضع دور الاستاذ له (لتقي الدين الصلح). وكان محظورا على غير طلاب الجامعة التمثيل على مسرح الوستهول، فاستحصلت "العروة"، الداعية الى المسرحية، اذنا خاصا لتقي الدين، يخوله الاشتراك في التمثيل.

(٣) راجع مقدمة "نخب العدو"، ص ٤٠.

(٤) لم نعثر على انتاج جديد لسعيد، في اعداد مجلتي "الكلية"، و "العروة الوثقى" لسنة ١٩٢٥.

عوامل كثيرة تفاعلت في رأس سعيد، متعاونة على احداث هذا التحول الجذري في حياته، وهجره الكتابة. اولها العامل النفسي. من ذلك ما يحدثنا عنه مارون عبود، بأن سعيدا، "بعد تغزته الموفقة جدا، من مقعد المدرسة الى المسرح، يسمع في مخزن أمين أبي ياغي، كلمة "أهلا بالنابغة"، من أمين الريحاني [١]، فكان لهذه العبارة، على حدّ قول سعيد نفسه، "فعل المورفين، أنامني سنة كاملة من غير انتاج" [٢].

وهكذا، يقول مارون عبود، "نام سعيد على اكليل الغار، وصدّق أنه أصبح أديبا مرموقا، فخمدت جذوة طموحه".

وكان للعامل الاقتصادي الاثر الأهم في توقف سعيد عن الكتابة. لعله شعر بأن دراسته في الجامعة مدة ثماني سنين، استنزفت معظم دخل العائلة. وما دام هو كبير أخوته، فكيف يحدد مسؤوليته تجاههم جميعا؟ لقد ورث الطموح عن أبيه [٣]، وأدرك انه اذا مكث في لبنان، مخدرا بالشهرة المعنوية التي اقترنت باسمه، فانه لن يصل الى أبعد مما وصل اليه أبوه ـ وظيفة حكومية لا يمكن ان تطرد ذئب الفاقة عن بيتهم [٤]. وتذكر سعيد كم كان يتردد في نفسه قول أبيه، وهو يهزّ قبضته ويتطلع الى القمة: "ان لم أكن قد بلغت الذروة، فسأرى أحد أبنائي يدقّ بيرقنا هناك" [٥]. ومن

---

(١) راجع مارون عبود، "جدد وقدماء"، بيروت، ١٩٥٤، ص٢٦٨. وقد سبق لسعيد ان أورد هذا الخبر في مقدمة "نخب العدو"، ص ٣١.
(٢) راجع مقدمة "نخب العدو"، ص ٣١.
(٣) راجع المصدر نفسه، ص ٢٩.
(٤) راجع المصدر نفسه، ص ٢٤.
(٥) راجع المصدر نفسه، ص ٢٣.

اولى منه هو يدقّ ذلك البيرق، أليس هو الأكبر والحائز على الشهادة الجامعية؟

وأية "ذروة" كان أبوه يقصد؟ الذروة المعنوية، ولهم منها الاسم الطيب والمشيخة والأدب والشعر؟ كلا . ان الذى عناه الشيخ محمود تقي الدين هو المجد المادى . لكم كان يتوق الى بحبوحة مادية مشروعة يترع منها اولاده ويعيشون في سعة دائمة[١]. ولم يكن سهلا على الوالد، كمبدأ، ان ينفصل كبير صبيانه عن العائلة، ويسافر ليعمل ويحصل على المال، لكنه بارك هذا السفر، على كره، انه خطوة لا بد منها[٢].

ان هجرة سعيد للعمل وكسب المال، لم تكن عملا مرتجلا، وانما ظلّت تراود رأس الشاب، حتى اذا تهيّأت لها الظروف المؤاتية، في زيارة عمه الطبيب الناجح، واصطحابه اخاه فواد، سارع سعيد الى اتخاذ القرار الأخير، وأبحر مع القافلة الى جزر الفلبين، في الشرق الأقصى[٣].

٤ـ هجرته الاولى الى الفلبين :

في ٩ أيلول ١٩٢٥[٤]، أبحر سعيد، برفقة عمّيه: الدكتور نجيب وفواد الى جزر الفلبين في الشرق الأقصى، يحدثنا الذين عرفوا سعيدا ورافقوه في تلك المرحلة

---

(١) من احاديث خاصة في ١٠/ ١/ ١٩٦٩ مع ام سعيد واخته اديل . وكذلك راجع "لولا المحامي"، ص ١١٧ .
(٢) المصادر نفسها .
(٣) راجع ما ورد في هذا البحث عن الدكتور نجيب وفواد تقي الدين، عمي سعيد، وظروف سفره معهما الى الفلبين .
(٤) راجع سجل العائلة .

من حياته[١]، ان أول جولة له كانت في جزيرة "سيبوه"، حيث كان للدكتور نجيب بيت وعقارات وأملاك، كما ورد لدى الكلام عليه. وهكذا لم تمض أسابيع، حتى أسس سعيد، بالاشتراك مع عمه فواد، وبمساعدة الدكتور نجيب، شركة تجارية، اتخذت مقرها في سيبوه[٢]، وكانت تستخدم المراكب الصغيرة تتجول فيها بين الجزر الكثيرة حول سيبوه، تعرض فيها مساطر من البضائع على التجار وتسجّل طلباتهم، لتعود وتشحنها فيما بعد. وقد لزم فواد سيبوه، على الغالب، وكان نصيب سعيد التنقل بمركبه، بين الجزر، واجراء الاتصالات مع التجار. اما نوعية البضائع فكانت من الأقمشة[٣].

ويحدثنا فواد جريديني، الذى كان صديقه في تلك الحقبة، كيف كان سعيد فوار العزيمة محبا للشغل، لا يتذمر ولا يعرف التعب. لكنه كان محبا للمغامرة، يتاجر بوحيها، لا على ضوء التحسّب والاختبار... ثم ان المضاربة كانت شديدة في سيبوه، لذا يبدو، ان جهود سعيد لم تكلل بالنجاح، وكفاحه ذهب سدى. لأننا نعرف من الروايات المتطابقة، انه بعد ست سنين من التعامل الواسع مع تجار سيبوه والجزر المحيطة بها، أعلن افلاسه[٤]، وانتقل الى مدينة "دافاو" في جزيرة مندناى، وهي جزيرة سكانها مسلمون[٥].

---

(١) من احاديث خاصة مع فواد جريديني في ١٧/ ١١/ ٦٨، ونايفة تقي الدين زوجة عمه فواد في ٢٠/ ١١/ ٦٨.
(٢) من حديث خاص مع فواد جريديني.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه، وراجع اعتراف سعيد بذلك، "رياح في شراعي"، ص ٦٤-٦٦.
(٥) المصادر نفسها، وكذلك من حديث خاص في ٢٠/ ١٢/ ٦٨، مع ادما محمد ولي الدين، وكانت مقيمة في سيبوه يومذاك.

قبل مغادرة سيبوه، ١٩٣١، وسعيد عامذاك في السابعة والعشرين من عمره، أحب بياتريس جوزف وتزوجها[(١)]، وهي مسيحية، أبوها توماس جوزف من أصل عراقي (موصلي)، وكان تاجرا في سيبوه، وأمها نجيبة باصيلا من زحلة[(٢)] وتوكد احدى صديقات العائلة[(٣)]، بأن والدة بياتريس كانت امرأة فاضلة ومحافظة، ربّت اولادها على الصلاح ووفرت لهم قسطا جيدا من الثقافة، وان بياتريس كانت تتردد الى مدرسة للراهبات، وتعزف على البيانو ببراعة، وتغني بصوت شجي مقاطع من الاوبرا[(٤)].

وهكذا، كما سبق وأشرنا، انتقل سعيد، بعد زواجه، من سيبوه الى دافاو، وبدأ عمله هناك بافتتاح محل تجارى للبيع بالمفرق[(٥)]. ويحدثنا بطرس عواد، ان سعيدا كان دائم الاقامة في المحل بدافاو، وكان يرسله هو (اى عواد) الى مانيلا لشراء الطلبيات وشحنها الى الجزيرة، مرة كل ثلاثة أشهر.

وفضلا عن المحل التجارى، افتتح سعيد في دافاو محطة للبنزين، ومن ايرادها، وارباح المحل، استطاع ان يعدّل وضعه المالي ويفي ديونه من تفليسة سيبوه[(٦)].

---

(١) راجع مقدمة "غابة الكافور"، ص ٨.
(٢) من احاديث خاصة في ٨/ ١١/ ٦٨، مع بياتريس تقي الدين، وفواد جريديني وأدما ولي الدين، ونايفة تقي الدين.
(٣) من حديث خاص مع ادما ولي الدين في ٨/ ١١/ ١٩٦٨.
(٤) المصدر نفسه، وقد اكده فواد جريديني في ١٧/ ١١/ ١٩٦٨.
(٥) من احاديث خاصة في ١٢/ ١٢/ ٦٨، مع فواد جريديني، وبطرس عواد الذى كان يشتغل معه في دافاو، ثم اصبح قنصلا فخريا للبنان في الفلبين من ١٩٥٤ — ١٩٦٧.
(٦) من حديث خاص مع بطرس عواد.

في سنة ١٩٣٦، رغب سعيد في الانتقال الى مانيلا . ربما شعر ان تقدمه يسير سيرا بطيئا . ويخبرنا فواد جريديني انه هو الذى كان قد سبقه الى العاصمة ورغبة في اللحاق به . وهكذا صفّى سعيد المحل، تاركا بطرس عواد فيه، ومع زوجته وطفلته ديانا التي ولدت ١٩٣٣، ولم يرزق غيرها، انتقل سعيد الى مانيلا حيث مجالات التجارة والمغامرة اوسع .

يخبرنا اصحابه الذين تتبعوا خطاه في مانيلا ، من قريب او بعيد[١]، ان سعيدا تشارك مع مواطن ثان في انشاء محل تجارى ، لكن الحظ هنا ايضا لم يؤاته. ثم جرّب حظه بالبورصة واشترى أسهما فيها، فسقطت الأسهم، وكانت خسارة سعيد الفادحة سببا في اعلان افلاسه الثاني ، الذى نزل عليه ضربة شديدة، الى درجة ان حدثته نفسه بالانتحار[٢]، لكن يخبرنا بعض العارفين[٣]، انه جاء من توسط له لدى كامل حمادة، وهو زوج السيدة وديعة الجميل (سابقا) ، صاحبة شركة "حنا الجميل وشركاه"، للتجارة وبيع الأراضي والأسهم . وكان كامل حمادة رئيسا لمجلس ادارة الشركة، فرحب بانضمام سعيد اليهم، وسلمه مسؤولية فرع الأقمشة[٤]، فصار سعيد، بما له من خبرة في هذا الصنف ، ومعرفة جيدة بالانكليزية، يستورد البضائع من الولايات المتحدة الاميركية، فانتعش العمل على يديه، ولاقى ازدهارا ملحوظا حتى

---

(١) من احاديث خاصة في ١٢/ ١٢/ ٦٨، مع بطرس عواد ، فواد جريديني وسعد الدين الجارودى الذى كان زميله في العمل، بمانيلا .
(٢) من احاديث خاصة مع فواد جريديني وبطرس عواد . راجع "رياح في شراعي "، ص ٧٧ .
(٣) من احاديث خاصة، في ١٢/ ١٢/ ٦٨ مع فواد جريديني ، بطرس عواد ، وسعد الدين جارودى، وهو زميله لدى كامل حمادة . وراجع "انا والتنين"، ص ٧٨ .
(٤) من حديث خاص مع سعد الدين جارودى .

بدء الحرب عام ١٩٤١[١].

يخبرنا الجريديني ان سعيدا اشترى بيتا في مانيلا ، وبدأ يتمتع بشيء من الاستقرار ، حتى اذا دخلها اليابانيون ١٩٤٢، اعلنها الاميركيون مدينة مفتوحة فأحرقوا مستودعات ذخائرهم الحربية، وشرّعوا عنابر الجمارك لمن يشاء من المواطنين ، لئلا يستولي عليها اليابانيون[٢]، واضحت العاصمة الفلبينية في حالة من الفوضى ، فألقى القبض على مئات المواطنين، وبخاصة الذين كانوا يتعاملون مع الاميركيين ، وزجوا في سجن "فورت سانتياغو"، حيث تعرّضوا للتعذيب والتنكيل، وبعضهم لاقى حتفه... وفي تشرين الاول ١٩٤٢ اشتدّت حملة الفوضى والعنف ، وسيق الى السجن تباعا: كامل حمادة، سعد الدين الجارودى، ثم سعيد ، الذى امضى في "سانتياغو" نيفا و٥٣ يوما[٣]...

عندما استتب للاميركيين احتلال مانيلا في شباط ١٩٤٥، رجع سعيد الى العاصمة، وقد كان هاربا مع عائلته من الغارات اليابانية، في جبال باغيو الكثيفة الغابات. باع بيته، وأنشأ تجارة مستقلة به، مستأنفا اتصالاته السابقة ، مع الشركات الاميركية التي كان يتعامل معها قبل الحرب[٤].

---

(١) من احاديث خاصة مع الجريديني ، عواد والجارودى.
(٢) وقد ايد الجريديني كل من عواد والجارودى.
(٣) المصادر نفسها. ويصف سعيد ايام سجنه وصفا رائعا في "دروب موحشة"، رياح في شراعي، ص ٤٢ ــ ١٢٤.
(٤) من احاديث خاصة في ١٩٦٨/١٢/٣٠، مع الجريديني، عواد والجارودى ، وكذلك مع انطون الغريب وحسني الحلبي وكانا تاجرين في مانيلا آنذاك.

تدل القرائن التي بين أيدينا، على أن سعيدا لم يبلغ الهدف الذى هاجر في سبيله، الا في هذه الحقبة (١٩٤٥ـ١٩٤٨) . ويجمع رفقاء غربته الذين حدّثونا عنه، بأن تجارته الجديدة عرفت ازدهارا كبيرا . ومع البحبوحة المادية ـ حلمه الذهبي ـ ارتفعت معنوياته وقويت علاقاته مع ذوى السلطة، ومع الناس. وكان من نتائج ذلك ان عينته الحكومة اللبنانية قنصلها الفخرى في الفلبين[١]، وكان ذلك في ٦ آب ١٩٤٦، وبنتيجة مساعي الدكتور شارل مالك وزير لبنان المفوّض في واشنطن يومذاك[٢]. وظل سعيد متوليا هذا المنصب، حسب وثائق وزارة الخارجية اللبنانية، حتى أيار ١٩٤٩[٣].

يتحدث رفقاء سعيد في مانيلا، بكثير من الحماسة، عما حققه من خدمات وطنية مدة توليه مهامّ القنصل الفخرى للبنان . ويؤيدون ما ذكره هو عن نفسه، من أنه استطاع ان يقنع رئيس جمهورية الفلبين، لكونه صديقه الشخصي، بتغيير موقف بلاده في الامم المتحدة من تقسيم فلسطين[٤]، وان ما جمعه من تبرعات لقضية فلسطين، على حدّ زعمه، بلغ نحو عشرين الف دولار، ارسلت الى المسؤولين في لبنان[٥].

---

(١) من احاديث خاصة في ٣٠/ ١٢/ ١٩٦٨، مع الجريديني، عواد، الجارودى، الغريب والحلبي . وراجع "انا والتنين"، ص ١٨٥.

(٢) راجع "انا والتنين"، ص ١٨٦ ـ ١٨٨.

(٣) راجع المرسوم رقم ٦٦٧٧ في وزارة الخارجية.

(٤) راجع "انا والتنين"، ص ١٨٨، وقد اكد الخبر الجريديني وعواد والجارودى والغريب والحلبي جميعا .

(٥) من احاديث خاصة مع الجريديني، الجارودى وعواد . ولم نعثر في وزارة الخارجية على معلومات عن هذه التبرعات، ولعلها ارسلت الى المنظمات الخاصة التي كانت تعمل يومذاك لهذه الغاية.

لقد امتدت السفرة اكثر مما شاءها سعيد ـ اثنتين وعشرين سنة ونصفا[(١)]. الشطر الاهم من عنفوان شبابه سلخه في جزر الفلبين. يصف سعيد كفاحه هناك فيقول:

"كان سلاحي في كفاحي الشباب والجد والطموح والذكاء. وكانت اعدائي الذكاء والجد والطموح، متحالفة مع غدر الايام وغدر الناس، وهوس الشباب وغلوّ التفاؤل، والاسراف، وائتمان الناس من غير روية، والانحراف في الطموح الى تطلب المليون بالمجازفة بالالوف. فصعدت في عالم التجارة كاني راكب منطادا، واهويت كأني قافز من طائرة. وانا اليوم اصعد الجبل الف ذراع في اليوم، وازلقه الف ذراع في لحظة. عيناى في الذروة، وقدماى في الوادى، مهشّم الجسد، سليم الروح. اعتاض عن نشوة الظفر، بلذة الجهاد والاماني. اهل التجارة يعتقدون اني أديب كبير، وبنو الأدب يتوهمون اني تاجر ماهر، وأنا واثق ان الاثنين على خطأ وصواب" [(٢)].

هذا، وقد اجمع رفقاء سعيد على انه لم يخلق للتجارة، لأن طموحه يسوقه الى المجازفة التي لا ترتكز على أسس ادارية حكيمة. فقد كان يحكّم عاطفته وأريحيته في تقرير الصفقات الكبيرة التي يلزمها روية ودراسة وتحسب للعواقب [(٣)].

اما قضية الكتابة التي طلقها سعيد نيفا وعشر سنين، فيخبرنا هو، انها في الحقيقة، لم تغب عن خاطره اثناء انصرافه الى الاعمال التجارية ومتاعبها الكثيرة[(٤)].

---

(١) راجع "غاية الكافور"، ص ٧.
(٢) راجع "نخب العدو"، ص ٣٢.
(٣) من احاديث خاصة في ٣٠/ ١٢/ ١٩٦٨، مع الجريديني وعواد والجارودى والغريب والحلبي.
(٤) مقدمة "نخب العدو"، ص ٥.

ولا يخفي سعيد ما كان يؤلمه، من ان غيابه الأدبي محا اسمه من أذهان الجماهير في لبنان، "فصاروا اذا عرفه احدهم في احدى حفلات تمثيل "لولا المحامي"، يقـول : مؤلفها ابن فلان او شقيق فلان"(١)، وهكذا يبدو ان سعيدا الفى نفسه يواجه موقفا من التحدى شبيها بذاك الذى حفزه على وضع "لولا المحامي"، وشعر بحاجة ملحـة الى استعادة ثقته بنفسه(٢)، فرجع الى اوراقه، وقد صفّرها الخباء، وحلا له ان يكحل عينيه برؤية صورته في قصاصات الجرائد القديمة، حولها عبارات التقريظ(٣).

ويخبرنا سعيد ايضا، ان شيئا واحدا كان مواظبا عليه في غمرة تجارتـه ومشاغله هو الدرامة، وان مخيلته كانت تضجّ بعشرات القصص ومئات المشاهد وأنـه عندما جمع اوراقه وجد بين يديه ثروة من مذكرات دوّنها في احلامه النهارية، وفـي أسفاره. وقرّر سعيد بأنه لن يجازف بأدبه، كما جازف بماله، بل "الواجب يقضـي بأن يكون صادقا لفنه، ويتوجه الى الناس بنهاية النهاية من مقدرته"(٤).

لدى تعرّضنا للعوامل التي حثّت سعيدا على العودة الى الكتابة، لا بد من الاشارة الى غريزة "حب الظهور"، التي، يخبرنا هو، بأنها كانت وراء تأليفه "لـولا المحامي"، وكل ما خطه قلمه بعدها(٥).

واذا اجتهدنا في تحديد الفترة التي استأنف فيها الكتابة، ترجّح انها كانت

---

(١) مقدمة "نخب العدو"، ص ٥.
(٢) راجع المصدر نفسه.
(٣) راجع المصدر نفسه، ص ٤.
(٤) راجع المصدر نفسه، ص ٥.
(٥) راجع المصدر نفسه، ص ٢٣. وكذلك راجع "رياح في شراعي"، ص ١٥.

على اثر زواجه، وانتقاله من سيبوه الى دافاوه اى بين ١٩٣١ـ١٩٣٧. وتدلّ القرائن المختلفة الى انه كان لزواج سعيد من بياتريس جوزف تاثير فعّال عليه، فقد أجمع رفقاؤه[١] على أنه كان يبادل زوجته ذات الثقافة العالية والمواهب الفنية، الحب والتقدير والاحترام. ويؤيد سعيد نفسه هذه الاقوال في اهدائه زوجته الكتابين اللذين وضعهما في الفلبين. فمما يقوله في اهداء "نخب العدو": "الى المقدسة الحكيمة والجميلة، ب.ج .د."[٢]، وهي الحروف الاولى لاسم زوجته الكامل. وقد اشرك معها في الاهداء ايضا الجامعة الاميركية ببيروت. اما "حفنة ريح"، فالاهداء واضح صريح ومخصص لزوجته وحدها، وفيه الدليل القاطع على ان بياتريس اعادت الى زوجها ثقته بنفسه وبقدرته على الابداع والتأليف[٣].

هذا، وقد أكدت ديانا تقي الدين[٤]، نقلا عن ابيها، بأنه كان لأمها، قبل أى انسان آخر، الفضل في عودة سعيد الى الكتابة.

"نخب العدو": في عام ١٩٣٧[٥] نفض سعيد يده من مسرحية "نخب العدو". لكنه لم يدفع بها الى الطبع، الا بعد تسع سنين، نرجح انه انصرف خلالها الى وضع مجموعة أقاصيص "الثلج الاسود"، الحقها بالمسرحية. وقدم المؤلف لكتابه

(١) من احاديث خاصة مع الجريديني، عواد، الجارودى، الغريب، والحلبي.
(٢) انتهى سعيد من كتابة "نخب العدو"، ١٩٣٧، بعد زواجه بست سنين.
(٣) راجع الاهداء في مطلع "نخب العدو".
(٤) هي وحيدة سعيد عازفة البيانو المعروفة، من حديث خاص معها في ١٢/٨/١٩٦٨.
(٥) راجع "نخب العدو"، ص ٤.

بدراسة مسهبة عن الدرامة وشروطها عامة، و"بسيرة المؤلف، بقلم المعجب به حتى العبادة، سعيد تقي الدين". والسيرة، كما دونها، غريبة في أسلوبها وروحها، وعلى جانب كبير من الطرافة.

"حفنة ريح" وبعد "نخب العدو" بأقل من سنتين صدر لسعيد كتابه الثالث، "حفنة ريح"، وقد الحق به مجموعة اقاصيص "موجة نار"، ومراسلات أدبية بينه وبين سهيل ادريس حول كتابيهما "نخب العدو"، و"اشواق" [1].

كان صدور "حفنة ريح"، وما ضمت من اقاصيص ومراسلات، بمثابة نقطة تحوّل في حياة سعيد. لقد كان في تلك المرحلة من عمره، اكثر من اى وقت مضى، بحاجة الى من يضع النقاط على الحروف، ويشير بقوة الى نواحي ابداعه في الأدب. ألم يتهمه سهيل ادريس، في مراسلاتهما، بالغرور، فيجيبه سعيد: صدقت. أتدرى لماذا؟ "كان ذلك الغرور من قبيل تشجيع نفسي والبهورة، وأصارحك انه لم يستقر الغرور بي الى ثقة بالنفس، حتى رأيت اجماع الناس على الاعجاب بالكتاب" [2].

يبدو، ان ما شعر به سعيد من نجاح، اثر صدور كتابيه، وبخاصة "نخب العدو"، فضلا عن النجاح المادى الذى لم يستقم له الا في تلك المرحلة من حياته في الفلبين، تفاعلا معا، وأوحيا اليه بالعودة الى الوطن. لقد ارضى غريزة "حب الظهور" المتأصلة في نفسه، ما نشرته احدى كبريات الصحف من تبخير لشخصه واطراء

---

(١) كانت هذه المراسلات قد سبق نشرها في جريدة "بيروت المساء"، بين آذار وآب عام ١٩٤٧، وقد رفعت شأن سعيد الأدبي الى الاوج.

(٢) راجع "بيروت المساء"، ١٢ ك ٢، ١٩٤٧.

لانتاجه[١]. ويخبرنا رفقاؤه، انه بدأ يستعيد ثقته بنفسه، وينزع القناع الذى تنكر به نيفا وعشرين سنة كرجل اعمال، وقرر ان ينصرف الى الكتابة[٢].

ويخبرنا فؤاد جريديني، بأن سعيدا، عندما عزم على تصفية اعماله، كان قد جنى ارباحا لا بأس بها، واودعها في مصارف اميركية[٣]..

ثم، اما قال له سهيل ادريس في ختام رسائله: "عد الينا، فان لك بيننا المقام المرموق، وان لك في الأدب لشأنا"؟[٤]

٥ ــ <u>عودته الى لبنان:</u>

في الثالث من شباط ١٩٤٨ ابحر سعيد مع عائلته عائدين الى لبنان[٥]. يخبرنا هو، ان رصيده المالي في مصارف نيويورك يومذاك بلغ ٢٢٨ الف دولار[٦]. عدا النقد في جيبه ويبلغ نيفا وثلاثة آلاف دولار، وعدا الارساليات التي كانت تزيد عن الثمانية والاربعين ألف دولار[٧].

---

(١) راجع المراسلات المذكورة في "حفنة ريح"، ص ٢٢١ ــ ٢٧٧.
(٢) اجمع رفقاء غربته، الجريديني، عواد، والجارودى، في ٣٠/ ١٢/ ٦٨، بانه كثيرا ما ردد مثل هذه العبارات قبيل مغادرته مانيلا.
(٣) من حديث خاص معه في ٣٠/ ١٢/ ٦٨، وقد ايد الارقام التي اوردها سعيد عن ثروته، والتي سنأتي على ذكرها.
(٤) راجع "بيروت المساء"، ٢٥ آب، ١٩٤٧. وراجع "حفنة ريح"، ص ٢٧٧.
(٥) راجع "انا والتنين"، ص ١٢٥. وأيد الجريديني ذلك وقد ودعه على المركب.
(٦) راجع "انا والتنين"، ص ١٢٥. وقد ايد ذلك، في ١٢/ ١١/ ٦٨، فواد الجريديني، وأنيس بيي الذى كان يومذاك مديرا للبنك العربي ببيروت وحسن الاطلاع على اوضاع سعيد المالية.
(٧) المصادر نفسها.

قبل وصوله الى بيروت، مكث في القاهرة نحوا من شهر. ويبدو ان بعض الصحف البيروتية مهدت لقدومه، وبخاصة "بيروت" و"بيروت المساء". نظرا لزمالته الجامعية القديمة مع الاستاذين محيي الدين النصولي وعبد الله المشنوق من جهة، والى مراسلاته الادبية مع الدكتور سهيل ادريس من جهة ثانية.

يخبرنا بعض الذين استقبلوا سعيدا في بيروت، بأنه، لشدة فرحه بالعودة، راح يتفقد أهله ورفقاء الصبا، يستفهم عن احوالهم، ويسعف المحتاجين منهم بكف سخية الى درجة لا تصدق[١]. لكن يبدو، ان هذه الخدمات الفردية لم تكن تمنح سعيدا الرضى والاكتفاء. كانت في نفسه، على حدّ قوله، "فكرة مبهمة عن خدمة عامة اقوم بها، ومن المعقول ان أتعاون فيها مع رفقائي في الجامعة الاميركية، وبعضهم برز في الحياة العامة"[٢].

ومن ذلك أيضا قوله: "رجعت الى بيروت، وبي تحرّق لعمل شيء، وفي نفسي من القوة، ومن بخار الكهرباء، ما لو تذف جبلا لأوصله الى المريخ"... "ولو تقدم مني أحد حينئذ، مقترحا انضمامي الى الحزب السوري القومي الاجتماعي لفعلت فورا. كذا كان قلقي وشوقي لعمل شيء"[٣].

---

(١) من احاديث خاصة في ٢٨/٦/٦٨، مع ام سعيد واخته اديل واخيه خليل، وكذلك مع سعيد حمادة وامين خضر.
(٢) راجع "انا والتنين"، ص ١٢٥.
(٣) راجع "المصدر نفسه، ص ١٢٨.

أ ـ في رئاسة جمعية متخرجي الجامعة الاميركية :

بهذه النفسية المتحفزة كان سعيد يدرس الاوضاع ويترقب ، واتجه اهتمامه نحو "جمعية متخرجي الجامعة الاميركية"، وقد كانت في حالة من الركود، "ينحصر نشاطها في ملعب التنس، وحفلة شاي مختصرة تقام مرة بالسنة"[(١)] .

يحدثنا بعض المطلعين على الوضع ، في تلك الحقبة، بأنه كان بين جمهور المتخرجين امتعاض عام، وتوق الى القفز بالجمعية وجعلها شيئا فعالا محترما[(٢)] .

وهكذا، عندما رشح سعيد نفسه للرئاسة، وأصدر بيانا بالانكليزية، ايده جمهور الشباب المتحمس[(٣)]، وشهدت الجمعية، يوم الانتخاب في ١٧/ ١٢/ ١٩٤٨، حركة لا عهد لها بها في الانتخابات السابقة[(٤)].

امتدت رئاسة سعيد لجمعية المتخرجين، نحوا من ثلاث سنين ونصف، في دورتين متتاليتين، عمل خلالهما بديناميكية، ليدفع عن هذه المؤسسة وصمة الجمود[(٥)]. وكانت النتيجة ارتفاع مبنى نادى الخريجين . ولم يقلّ ما انفقه الرئيس على النادى، من حسابه الخاص، كما يزعم، عن خمسين الف ليرة[(٦)]. وتعكس هذه

---

(١) راجع "انا والتنين"، ص ١٢٩ . وكذلك من احاديث خاصة في ٢٠/ ١١/ ٦٨، مع جبور، بيبي ، وسماحة، وفي ١٥/ ١٢/ ٦٨، مع محمد شقير، مدير "شركة الاعلانات الشرقية". وكان عهذذاك حركة فاعلة في اوساط الجامعة .
(٢) من احاديث خاصة في ١٥/ ٢/ ٦٩، مع بعض الذين قادوا الحملة الانتخابية : محمد شقير، انيس بيبي ، واندريه طابوريان مدير "شركة الطيران الاميركي في الشرق الاوسط".
(٣) المصادر نفسها .
(٤) راجع سجلات جمعية المتخرجين لسنة ١٩٤٩ــ١٩٥٢ .
(٥) راجع المصدر نفسه .
(٦) راجع "انا والتنين"، ص ١٢٩، وقد ايد ذلك، في ٢٣/ ٨/ ٦٨، الدكتور فريد حداد، رئيس جمعية المتخرجين ١٩٦٠، ونقيب الاطباء حاليا .

البادرة ناحية من طبيعة سعيد السخية بغير حساب٠

وجنبا الى جنب مع تشييد نادى المتخرجين، انصب اهتمام سعيد، مدة رئاسته للجمعية، على مجلة "الكلية"، وكانت هي ايضا تصدر بقوة الاستمرار٠ ويفسر سعيد اهتمامه قائلا : انه أراد، بواسطة "الكلية"، ان يستغل اسم الجامعة العالمي٠ ان يمسك "بآذان الدنيا لتنصت الى صوت العالم العربي المثقف الممثل كل الاقطار والاحزاب والطوائف"[(١)]٠ لقد اراد المجلة منبرا حرا باللغة الانكليزية، توضح قضية فلسطين وملابساتها، وتدافع عنها أمام الرأى العام العالمي ٠ ولقد استطاع سعيد بالفعل ان يحقق بعض ما أراده للكلية من الانتعاش وسعة الانتشار[(٢)]٠

غابة الكافور[(٣)]: لم يله سعيدا انشغاله في مهام جمعية المتخرجين ومجلتها عن التأليف٠ اول كتاب صدر له، بعد عودته الى لبنان، "غابة الكافور"٠ عرفه المؤلف، ب"مجموعة اقاصيص عاشها سعيد تقي الدين"٠ وقدمه الى "من هي كل حياتي" ـ وحيدته ديانا٠

كل مواطن خفير: ومن نشاط سعيد، في مطلع الخمسينيات، تأسيسه، بالتعاون مع الدكتور بشارة الدهان، لجنة "كل مواطن خفير"[(٤)]، غايتها مكافحة النشاط الصهيوني، شعبيا، بأساليب عملية٠

---

(١) راجع "انا والتنين"، ص ١٢٩٠
(٢) راجع اعداد "الكلية"، للسنين ١٩٤٩ـ١٩٥٢٠
(٣) صدر "غابة الكافور" عن دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥١٠
(٤) ليس للجنة "كل مواطن خفير" وثائق محفوظة يمكن الرجوع اليها لتحديد تاريخ تأسيسها، لكن نرجح ان ذلك كان في اواسط عام ١٩٥٢، لدى تحوّل نشاط سعيد عن جمعية المتخرجين ومجلتها٠

يقول سعيد: "ان نشوء "كل مواطن خفير" جاء تلبية لحاجة قومية ملحة"... "فالسلطات لا تستطيع وحدها القضاء على الجاسوسية والتهريب ان لم يعاونها جهد شعبي منظم"[(١)]... ويخبرنا سعيد عن هذه اللجنة، انها انتشرت في لبنان، ومنها الى البلاد العربية لمحاربة الخطر الداهم[(٢)]، وتطوع لبث الدعاية لها، ولضرورة التعاون معها، مختلف وسائل الاعلام، من صحافة واذاعة، ثم وتلفزيون[(٣)]... وبأنه تعرّض للتهديد بالقتل، بسبب كشفه اسماء اشخاص يتعاملون مع اسرائيل، غير ان التهديد لم يثنه عن متابعة نشاطه وتوسيع اتصالاته مع المخبرين، والتشهير بالخونة والجواسيس، لكن الذى صدمه حتى الخيبة، التجاوب السلبي من بعض المواطنين، أو ذوى السلطة، ومحاربتهم اياه في السرّ والعلن[(٤)].

ب ـ في الحزب السورى القومي الاجتماعي :

بعد عودة سعيد الى لبنان، ورغم انتخابه رئيسا لجمعية متخرجي الجامعة، وانهماكه في بناء النادى وتحرير مجلة "الكلية"، يبدو انه ظل يحس بشيء من القلق وعدم الاكتفاء، وبضرورة تركيز جهوده الفردية في هيئة او منظمة قوية. ويقول سعيد عن الفترة التي سبقت انضمامه الى الحزب:

"لقد انفقت بعد عودتي من المهجر، ما يقرب من سنوات اربع ادرس الناس"...

---

(١) راجع "غبار البحيرة"، ص ٥٠، من خطبة القاها سعيد في دمشق لمناسبة تأسيسه فيها لجنة "كل مواطن خفير"، وذلك، على الارجح، في مطلع ١٩٥٣.
(٢) راجع المصدر نفسه، وكذلك راجع "انا والتنين"، ص ١٦٤.
(٣) راجع "انا والتنين"، ص ١٦٥.
(٤) راجع المصدر نفسه، ص ١٦٤.

وأنه استعرض المنظمات والاحزاب، من عروبية ولبنانية واشتراكية، حتى اهتدى الى العقيدة القومية الاجتماعية[(١)].

وعن ظروف تعرفه الى الحزب، يروى لنا سعيد انه كان في عام ١٩٤٩، قد باشر وضع مسرحية "المليون الضائع"، وانها ظلت بين يديه نحو سنتين، يقرأها فيحس انها "تعرض مشكلة ولا تحلها"... الى ان جاءته رسالة من سجين[(٢)]، هو من اعضاء الحزب يقول له فيها: قرأت مقدمة كتابك "غابة الكافور"، وفيها تقول: "ان اكبر همي في الحياة ان اقنع امي اني لم أعد طفلا". وزاد السجين معلقا: "ليس من الصعب على المرء ان يقنع امه انه لم يعد طفلا، بل الصعوبة العظمى هي ان يقنع امته انه صار رجلا"[(٣)].

ويقول سعيد: ان هذه الرسالة اوحت اليه بتغيير موضوع مسرحية "المليون الضائع" الى "المنبوذ"... "وكان ان استحالت حياتي من جهود فردية مبعثرة الى نظامية نشاط في مؤسسة"[(٤)].

والذى نعرفه، ان سعيدا، بعد عودته الى لبنان، كان ينشر في الصحف أقاصيص ومقالات و"رفات جناح"[(٥)]. وكذلك كان يدعى الى القاء خطب في مناسبات

---

(١) راجع "تبلغوا وبلغوا"، بيروت، ١٩٥٥، ص ٩.
(٢) السجين المذكور هو شاعر الزجل عجاج المهتار صاحب "مطعم البيت"، في شارع جان دارك. وفي حديث خاص معه في ١٩/ ٢/ ١٩٦٩، اطلعنا على رسالة جوابية بعثها اليه سعيد في حينه تقع في ثماني صفحات.
(٣) راجع "تبلغوا وبلغوا"، ص ١٣٣.
(٤) راجع المصدر نفسه. وتجدر الاشارة الى ان "الحزب السورى القومي الاجتماعي" كان حزبا منحلا في لبنان منذ مقتل انطون سعادة ١٩٤٩.
(٥) راجع "بيروت المساء"، "بيروت"، "البيرق"، و"النهار"، سنة ١٩٤٨-١٩٥١.

مدرسية او سواها [(١)]، وكان يتطرق، في معظمها، الى معالجة الافات التي تفتك بالمجتمع اللبناني من اقطاعية وطائفية وفردية، وجبن وميوعة واتكالية، وهي المواضيع ذاتها التي عني بها في مسرحياته وأقاصيصه السابقة [(٢)]. ويبدو ان مقالاته وخطبه، حتى وكتبه، لفتت اهتمام بعض المسؤولين في الحزب. من ذلك ما يخبرنا به سعيد، من ان عبد الله قبرصي [(٣)]، اتصل به واطلعه على مبادئ الحزب، وان هذه المبادئ لاقت تجاوبا حارا في نفسه، فمضى يدرسها ويدرس استعداداته الخاصة بشأنها [(٤)].

قبل ان ينتظم سعيد في الحزب، يخبرنا انه اراد ان يتثبت من امور ثلاثة [(٥)]: "اولها ان الحزب لا يحاول هدم لبنان، والامر الثاني "ان لا يكون العنف من بعض اساليبكم"، وثالثا، "الا اؤمر بكتابة شيء، او بالكف عن كتابة شيء". ولدى اطمئنانه الى اجوبة عبد الله قبرصي، يخبرنا سعيد بأنه اعلن انتظامه في الحزب ببيان [(٦)] وزعته جريدة "الاحد" على الصحف، احدث ضجة كبرى في الاوساط اللبنانية: السياسية والاجتماعية، وتصدى له الكثيرون، منددين بالدوافع التي حدت به الى اتخاذ هذه الخطوة [(٧)]. لكن سعيدا قابلهم برباطة جأش، مؤكدا انه اصبح من الحزب في نقطة

---

(١) راجع كتابه "سيداتي سادتي".
(٢) راجع مسرحيتي "لولا المحامي"، و"نخب العدو"، واقاصيص "الثلج الاسود" و"موجة نار".
(٣) هو محام ومسؤول كبير في الحزب يومذاك.
(٤) راجع "تبلغوا وبلغوا"، ص ١٣٣.
(٥) راجع المصدر نفسه، ص ١٣٤.
(٦) راجع نص البيان في "تبلغوا وبلغوا"، ص ٩، وهو بعنوان: "حين استجبت النفير".
(٧) راجع صحف: "بيروت المساء"، "الانباء"، "البيرق"، "العمل"، و"الصحافي التائه"، لشهري ت ٢ وك ٢ ١٩٥١.

اللارجوع[١]، وكان الشاهد على يمينه حسن الطويل[٢].

حصل تحويل جذري في كتابات سعيد تقي الدين، بعد دخوله الحــزب، ويلاحظ ان انتاجه تطعم بالعقيدة القومية الاجتماعية، وتناول في معظمه الدفاع عــن مبادئ الحزب وايضاح فضائله والرد على التهم التي الصقت به، وهي مجموعة ضخمــة من المقالات، معظمها نشر في: "الاحد"، "صدى لبنان"، "النهار"، و"كل شي"[٣].

ويلاحظ ان سعيدا، بعد انتظامه في الحزب، ظل يعمل ويناضل على جبهات عدة، حتى اذا تنحّى عن رئاسة جمعية المتخرجين[٤]، وما رافقها من نشاط، ســواء نحو انجاز بناء النادي، او نحو تحرير "الكلية"، تحوّل بكامل زخمه وحماســه الــى النشاط الحزبي، فعين ١٩٥٣ منفذا لفرع بيروت، ثم عميدا للاذاعة[٥]. ويخبرنــا بعض امناء الحزب الذين رافقوه في تلك الحقبة[٦]، انه، بحكم نفوذه ومسؤولياته الحزبية الاعلامية، فضلا عن طبيعته المندفعة، اعطى انتاجا غزيرا متواصلا، ولا سيما بعــد

---

(١) راجع "تبلغوا وبلغوا"، ص ١٥ـ ١٨.

(٢) راجع المصدر نفسه، ص ١٣٤. ونفهم من سياق حديث سعيد عن حسن الطويل، ان عائلته في بعقلين، من الغرضية اليزبكية، وان بينها وبين عائلة "تقي الدين" الجنبلاطية عداء تقليديا.

(٣) من احاديث خاصة في ٦٩/٢/١٧، مع جورج عبد المسيح، رئيس الحزب يومذاك، وكذلك في ٦٩/٥/٧، مع الدكتور منير خوري، الشاعر محمد يوسف حمود، وعجاج المهتار، من امناء الحزب وكبار مسؤوليه في تلك الحقبة. وقد افادنا هؤلاء، ان بعض مقالات سعيد الحزبية، كانت تنشر بدون توقيعه،غير ان معظمها ضم الى مجموعاته لدى صدورها تباعا، كما سنرى.

(٤) في أواخر ايار ١٩٥٢، حسب سجلات نادي المتخرجين، خسر سعيد جولته في الانتخابات لصالح اميل البستاني.

(٥) من احاديث خاصة، في ٦٩/٥/٧، مع منير خوري، عجاج المهتار، ومحمــد يوسف حمود.

(٦) المصادر نفسها.

مقتل عدنان المالكي عام ١٩٥٥، ومحاولة تصفية الحزب في دمشق، وتزايد الضغط عليه، وانه لم يتوقف عن الكتابة والرّد على التهم الموجهة اليه والى الحزب، وشرح الملابسات ودعم آرائه بالحجج[١]. وكان ينسق انتاجه بنفسه ويعده للطبع، فصدر له بين ١٩٥٣ و ١٩٥٦ ستة كتب، هي حسب تسلسل صدورها:

١ـ "المنبوذ"، ١٩٥٣ ـ مسرحية في فصل واحد.

٢ـ "ربيع الخريف"، ١٩٥٤ ـ مجموعة اقاصيص و "رفات جناح".

٣ـ "سيداتي سادتي"، ١٩٥٥ ـ مجموعة خطب القيت بين ١٩٤٨ـ١٩٥٤.

٤ـ "تبلغوا وبلغوا"، ١٩٥٥ ـ مقالات عن الحزب السوري القومي الاجتماعي.

٥ـ "غبار البحيرة"، ١٩٥٦ ـ مجموعة مقالات منوعة.

٦ـ "غدا نقفل المدينة"، ١٩٥٦ ـ مجموعة مقالات ومذكرات.

كان واضحا للذين عرفوا سعيدا في تلك المرحلة من حياته، انه كان، كلما تقدم حزبيا، تراجع ماديا وصحيا[٢]. فالثروة التي كان قد جناها في الفلبين تبخّرت بأسرع مما قدر لها، وموارده التجارية من شركة المقاولات التي انشاها مع صديقه المهندس ميشال سماحة انقطعت حال اعتناقه الحزب[٣]، ولم يبق لسعيد من مورد منتظم ينفق منه على بيته وعائلته[٤].

---

(١) راجع مقالاته التي نشرت في كتبه، وبخاصة "تبلغوا وبلغوا"، و"غدا نقفل المدينة".

(٢) من احاديث خاصة، في ٢٠/ ١٢/ ٦٨، مع ام سعيد، وميشال سماحة، والدكتور فريد حداد. وفي ٧/ ٥/ ٦٩، مع عجاج المهتار، محمد يوسف حمود، واسعد المقدم المدير الاداري للمجلس الوطني لانماء السياحة، وكان ملازما لسعيد في الحزب.

(٣) من حديث خاص مع ميشال سماحة نفسه في ٢٠/ ١٢/ ٦٨. وراجع سجلات نادي المتخرجين وفيها وثائق تثبت ذلك.

(٤) من احاديث خاصة في ٢٣/ ١٢/ ٦٨، مع ام سعيد وزوجته وابنته، وميشال سماحة، وفريد حداد.

وعلى الصعيد الشخصي الخاص، تخبرنا ابنته ديانا، ان أباها، مني، بعد عودته الى لبنان، بخيبة أمل، ازدادت تفاقما بعد دخوله الحزب، واصطدامه بالواقع، فهو المثالي كان يشلح مثاليته على اهله واصحابه، حتى اذا تبين له انهم خلاف لذلك، ثار غضبه... ونتيجة لتلك الخيبة، تقول ديانا، عمد ابوها الى مجموعة الرسائل التي بعثها الى اهله من الفلبين فمزقها جميعا(١).

يبدو لنا ان سعيدا، في غمرة ذلك الصراع: العاطفي، النفسي، المادي، اهمل صحته وكان يكثر التدخين والسهر ويرهق نفسه عملا متواصلا وعيشا لا نظاميا، بل فوضويا، فانهارت صحته وانعطب قلبه(٢). وبدا واضحا للذين رافقوه في تلك الحقبة، ان حياته من جهة ثانية اضحت في خطر، بعد ان طالبت به حكومة دمشق(٣)، فاذا هو حذر، يحتاط للطوارئ، لا ينام ليلتين تحت سقف واحد، خصوصا بعد اغتيال صديقه غسان جديد(٤)، ثم بعد نشوب الثورة صيف ١٩٥٨، وتأزم الوضع اكثر فاكثر. وهكذا يبدو، ان حياة سعيد، وما يحف بها من اخطار، اصبحت ضربا من الانتحار، فقرر الابتعاد عن لبنان، ريثما تعود الاوضاع الى حالتها الطبيعية الاولى...

---

(١) من حديث خاص مع ديانا تقي الدين، في ١٠/ ٧/ ٦٨، وتعتقد ان الرسائل كانت ثمينة.

(٢) راجع "غبار البحيرة"، ص ٨٩.

(٣) من احاديث خاصة في ٧/ ٥/ ٦٩، مع منير خوري، عجاج المهتار ومحمد يوسف حمود من امناء الحزب عهدذاك، ان سعيد تقي الدين، اتهم ١٩٥٦، وبالاشتراك مع الضابط السوري الجنسية غسان جديد، بتدبير محاولة انقلاب في الشام، وانهما، نتيجة محاكمة عسكرية استمرت في دمشق نحو ستة أشهر، حكما بالأعدام، غيابيا، واصبح عرضة للملاحقة والاغتيال.

(٤) راجع سجل العائلة وقد ورد بخط سعيد وتوقيعه، ان غسان جديد اغتيل في ١٧ شباط ١٩٥٧.

٦ـ **هجرته الثانية الى المكسيك وكولمبيا، وموته :**

في ١٩ ايلول، ١٩٥٨، استقل سعيد الطائرة الى المكسيك[١]، حيث للحزب منفذيه نشيطة[٢]٠٠ وربما خطر لسعيد، بأن وقته وظروفه هناك، قد يكونان مهيئين للانتاج ٠٠٠ يجب ان يسجل خواطره عن صيف الدم[٣]٠

كانت اول محطة نزل بها روما، حيث اجتمع بزوجته وابنته[٤]، وأبحر في ١١ أيلول الى نيويورك، وهناك امضى اسبوعين اجتمع خلالهما ببعض الاصحاب القدامى، منهم جو سلامة وهشام شرابي وجوزف توماس اخو زوجته٠ ثم استأنف سعيد سفره بحراً الى المكسيك، حيث كان في استقباله لدى وصوله عدد من القوميين الاجتماعيين والاصدقاء، منهم الكولونيل الاميركي تشارلز اوسبون، والتاجر الصناعي نجيب دبغي[٥]٠

يخبرنا السيد اميل دبغي[٦]، ان اخاه نجيبا، استضاف سعيدا صديق صباه، الاسابيع الاولى من وصوله الى المكسيك، ومهّد له سبل التعرّف الى الاوساط التجارية، لكن الحظ لم يحالفه، ويبدو ان مناخ المكسيك لم يلائمه، بدليل ما اطلعتنا عليه

---

(١) من احاديث خاصة في ١٥/ ٢/ ٦٩، مع ديانا، واسعد المقدّم الذى ودعه في مطار بيروت، بأن من بين اصدقاء سعيد الذين مهدوا له سبيل السفر الآمن، الجنرال فواد شهاب قائد الجيش يومذاك٠

(٢) راجع مقال انعام رعد، احد اركان الحزب، "البناء"، عدد ١٠ شباط، ١٩٦١٠

(٣) راجع "انا والتنين"، ص ٢٥٠

(٤) من احاديث خاصة في ٢٠/ ٢/ ٦٩، مع بياتريس وديانا تقي الدين، ان سعيدا سفّرهما الى ايطاليا في ١٥/ ٥/ ١٩٥٨، حيث كانت ديانا تتابع دروسها الموسيقية في اكاديمية كيجانا، وتحيي حفلات خاصة٠

(٥) من حديث خاص مع ديانا، مستقى من رسائل ابيها اليها في ذلك الحين٠

(٦) من حديث خاص معه في ١٩/ ٢/ ١٩٦٩، وهو تاجر في بيروت٠

ديانا، من ان اباها اصيب بفالج نصفي، في الجانب الايمن من جسمه، واضطر، نزولا عند رغبة الاطباء، للانتقال الى كولمبيا(١).

في اوائل ايلول ١٩٥٩ سافر سعيد الى بارانكيا في كولمبيا(٢)، ومكث في الفندق يدرس الاوضاع ويستشير اصدقاءه هناك. وعلى ضوء استشاراته ودراساته، قرر التوجه الى جزيرة سان اندرس(٣).

تخبرنا باسمة ابو انطون(٤)، ان سعيدا استرد بعض عافيته في جزيرة سان اندرس، وانه أسس تجارة بالاشتراك مع انطونيو الشيخ. ونظرا لسعة اختباراته التجارية ولوفرة معلوماته عنها، مضى يخابر البيوتات الصناعية والشركات التجارية في اميركا والمانيا وانكلترا وفرنسا، فتدفقت عليه العروض المغرية والنماذج والمساطر من الاقمشة والبضائع على انواعها. وانه لو امهله القدر عاما واحدا، لجنى من تجارته ثروة طائلة، لكن نوبة قلبية قضت عليه، وهو يستحم في البحر، في ١٥ شباط ١٩٦٠، فقرأ عليه الفاتحة شيخ مسلم من البقاع، ودفن في مقبرة البروتستانت، ولم يزد عدد الذين شيعوا جثمانه عن العشرين شخصا(٥).

---

(١) من حديث خاص مع ديانا.

(٢) راجع "انا والتنين"، ص ٩.

(٣) من حديث خاص في ٢/١٧/ ٦٩، مع باسمة ابو انطون التي كانت قد سبقت سعيدا الى سان اندرس، ان سكان الجزيرة كانوا عبيدا، وقد دخلها البيض ١٩٥٩، على اثر اعلانها مرفأ حرا.

(٤) من حديث معها في ٢/١٧/ ٦٩، وقد التقت باسمة سعيدا في بارانكيا (كولمبيا) وهي يومذاك عروس صديقة انطون ابو انطون، وبعد ذلك عرفته في جزيرة سان اندرس طوال مدة اقامته هناك، الاشهر الاربعة الاخيرة من حياته.

(٥) المصدر نفسه، وقد حضرت باسمة ابو انطون المأتم. وتقول ان الطبيب كان قد نهاه عن السباحة مخافة عليه مما انتهى اليه..

عام وخمسة اشهر امضاها سعيد، بعد مغادرته بيروت، في سباق مع الموت، يمارس الاعمال التجارية ويحبر الصفحات مستعجلا تسجيل افكاره وخواطره ومذكراته. لم يكن يخاف عليه بأن الخطر يهدده بين ساعة وساعة[(١)]، لكنه كان جبارا مكابرا، لم يعترف بالوهن حتى وهو يتعثر في مشيته[(٢)]، ولم ينقطع عن الكتابة، فأعطى الوانا من الادب الانساني والاجتماعي والسياسي.

بعد وفاة سعيد تقي الدين صدر له كتابان:

١) "رياح في شراعي"، ١٩٦٠ — مجموعة مقالات كتبت قبل سفره الى المكسيك ١٩٥٨.

٢) "انا والتنين"، ١٩٦١ — مجموعة مقالات كتبت في المكسيك وكولمبيا.

وتجدر الاشارة الى ان بعض انتاجه الاخير باق بين مخلفاته، غير كامل[(٣)]، في حوزة ابنته ديانا، ينتظر التنسيق والنشر، حالما تتوافر له الظروف المؤاتية[(٤)].

لقد كان لموت سعيد تقي الدين وقع مؤلم في المحافل الادبية: اللبنانية والعربية والمهجرية جميعا، فنعته الصحف الموالية منها والمعارضة. وقبل مرور

---

(١) من حديث مع باسمة ابو انطون، في ١٧/ ٢/ ١٩٦٩.
(٢) راجع مقال انعام رعد، جريدة "البناء"، ١٠ شباط ١٩٦١، وكان قد اجتمع به في المكسيك.
(٣) من ذلك مقالات كان في نية سعيد ضمها الى "انا والتنين"، لكن الكتاب صدر قبل وصول اوراقه من كولمبيا. راجع ما ورد عن هذه الاوراق في كلامنا على "المقالة"، بآخر هذا البحث.
(٤) ايدت ديانا تقي الدين ما اذاعته "دار النهار"، من انها بصدد اصدار مجموعة كاملة لأعمال سعيد تقي الدين.

عام على وفاته، تشكلت لجنة لاحياء "اسبوع سعيد تقي الدين"، في الصحافة والاذاعة والتلفزيون[١]، على ان يختتم الاسبوع في ١٢ شباط ١٩٦١، بحفلة خطابية في قاعة الاونسكو، يتكلم فيها : سعيد عقل، فواد صروف، جبران حايك، عبد الله سعادة، عبد الله العلايلي، امين نخلة، وخليل تقي الدين. وتعزف ديانا على البيانو[٢].

وفي ١٠ شباط ١٩٦١، ازيح الستار في نادى خريجي الجامعة، عن لوحة تذكارية لسعيد تقي الدين، وقد تكلم رئيس الجمعية يومذاك، الدكتور فريد حداد. وفي رسالة منه ترجع الى التاريخ نفسه[٣]، يطالب رئيس الجمعية بأن يرصد مبلغ خمسة وعشرين الف ليرة لبنانية، كمنحة جامعية باسم سعيد تقي الدين.

---

(١) راجع النشرة التي صدرت في تاريخه بتوقيع رئيس اللجنة سعيد عقل.
(٢) راجع بطاقة الدعوة، وقد منعت الحكومة اقامة الحفلة لاسباب قيل انها سياسية.
(٣) راجع سجلات نادى خريجي الجامعة.

II- انتـاجـــــه

١ـ في المسرحية :

صدر لسعيد تقي الدين بين ١٩٢٥ـ١٩٦١ اثنا عشر مصنّفا، تتنـــاول فنونا أدبية عديدة، اهمها: المسرحية، الاقصوصة، والمقالة. اما المنهاج الـذى سنعتمده لدى الكلام على هذه الفنون، فمستمدّ من التتابع الزمني لكل فن، فمـا صدر اولا تكون له الاولوية في البحث، ومنه نتقدم الى ما يليه. ومع التسـلسل الزمني نشير الى التغيير المتفاعل في اسلوب الاديب، وما كان لتطوّر شـخصيتـه ومبادئه من تأثير على انتاجه.

انطلاقا من هذا النظام، نبدأ كلامنا على انتاج سعيد تقي الديـــن، بالمسرحية، وقد صدر له منها أربع مسرحيات: ١) "لولا المحامي"، ٢) "نخب العدو"، ٣) "حفنة ريح"، ٤) و"المنبوذ".

١) لولا المحامي(١): مسرحية جدية في خمسة فصول. موضوعها ثورة على الاقطاع في القرية اللبنانية. يقوم الصراع في الظاهر بين شابين: سليم ابن عزيز بك الاقطاعي الغني الذى يطمع في الزواج من ليلى، وخالد النجار الذى سبـــق

---

(١) صدرت الطبعة الثانية من "لولا المحامي"، عن دار الاحد، بيروت، ١٩٥٠، (راجع الكلام عليها في هذا البحث).

وتعاهد معها على الحب قبل سفره الى اميركا ٠

يعود خالد في الفصل الاول، بعد غياب سنوات سته، ويعلم من ليلى ان أهله قضوا جوعا خلال الحرب ، عدا اخاه الذى هجر القرية الى مكان مجهول ٠ يثور خالد غضبا، لأنه كان قد ارسل مالا كثيرا الى اهله، عن طريق عزيز بك ، وعندما يتحقق بأن هذا قد استأثر بالمال وأخفى امره، يجن جنونه ويتوعده بالقتل على مسمع من القرويين ٠

في الفصل الثاني يستغل سليم هذا الحادث ، وقد كان يكره اباه ويطمع في ماله، فيقتله، وتقع التهمة على خالد، فيهرب من القرية ، ويترأس عصابة من الأشقياء ٠

يتطور الصراع في الفصل الثالث بين القوة المسيطرة المتمثلة في سليم ، والقوة المدافعة المتمثلة في خالد ٠ وتلتقي عصابة خالد السيدة عفيفة وتسلبها مالها ، فيشفق هو عليها ويسترد لها المال ٠ وعندما يعلم منها ان حبيبته ليلى عندها في بيروت ينفصل عن العصابة وينتقل الى بيروت ليعيش ويعمل تحت اسم مستعار ٠ ونعرف في الفصل الرابع ان سليما الذى هدر ثروة ابيه على الخمر والقمار، يتردد على بيت السيدة عفيفة ويبتز اموالها ٠ وعندما يكتشف سرّ خالد الهارب، يشي به الى الشرطة فيلقى القبض عليه ٠

ونفاجأ في الفصل الخامس بأن حبيبا ، اخا خالد المهاجر هو محام في القاهرة، ويقرأ في صحف بيروت عن محاكمة اخيه بتهمة قتل عزيز بك، فيحضر الى بيروت ويدافع عن خالد ويربح الدعوى، ويتزوج خالد ليلى وتتم الافراح ٠٠٠ فالصراع

بين القوتين المتنازعتين في الظاهر على ليلى ، وفي الباطن على السلطة والنفوذ ، انتهى الى احقاق الحق ودحر القوى الرجعية الجاهلة، وانتصار عناصر الخير في المجتمع القروى اللبناني .

٢) "نخب العدوّ" : بعد نيف واثنتي عشرة سنة على صدور "لولا المحامي"، كتب سعيد "نخب العدو"[(١)] ، وهي كوميدية ذات ثلاثة فصول . موضوعها الصراع الطائفي في القرية اللبنانية، وبث روح الالفة والمحبة بين أبنائها .

تبدأ القصة في قرية "وادى الارز" اللبنانية المزعومة، حيث العداء مستحكم بين عائلتي الحموى والحمصي ، وقد قتل آل الحمصي ابا وسيم الحموى . وفي موقف دفاع عن النفس يقتل وسيم طعّان الحمصي ، ويهاجر مع صديقه البيروتي راجي الى غرانيلا حيث يتنكران باسمين مستعارين ويعملان في التجارة . وهناك يلتقيان بهدى الحمصي ، ام طعّان وعدوة عائلة الحموى، وقد هددت ام وسيم بقتلها خنقا بغدائرها ، ويحب وسيم بنتها سارة ويتزوجان سرا ، وقد تربى كل منهما على كره "الجماعة" او الطائفة الثانية[(٢)] .

في الفصل الثاني ، في غرانيلا ، يبحر وسيم في مركب وتقذفه العاصفة ويفقد بصره . يقول له الدكتور نجيب، وهو صديق قديم للعائلة : تستعيد بصرك على أثر فرح او غضب اوحزن عظيم .

---

(١) لكن "نخب العدو" صدرت عن مطبعة الكشاف، بيروت ، ١٩٤٦ . وقد الحق بها المؤلف مجموعة اقاصيص "الثلج الاسود" . اما المسرحية "نخب العدو"، فهي من ص ٣٧-٢٠٧ .

(٢) وقد طالما رددت ام وسيم على مسمع من ابنها المثل القائل : "من جدّه عادى جدك، مستحيل ان يودك" . وعن صديقه راجي قالت : "لا تأتمنه . ليس من طائفتنا . سيخونك" . راجع "نخب العدو"، ص ١٠٧ .

في الفصل الثالث يعود وسيم الى وادى الارز مع زوجته سارة وطفلهما وأمها هدى الحمصي ، وبعد مناورات عدائية من قبل ابناء الطائفتين [(١)] المقيمين، تصطلح العائلتان ويتم الوفاق وتزول الضغائن، ويقدم ابو مرعي (الناطور الحموى) عصا النوطرة لآل الحمصي رمز المصالحة، لكن وسيما لا يسترجع بصره الا عندما يسمع بنعي الدكتور نجيب٠٠

٣) "حفنة ريح" [(٢)]: مهزلة في فصل واحد ، موضوعها نقد المجتمع البيروتي عام ١٩٥٠ [(٣)] ، والسخرية من العادات والتقاليد التافهة المسيطرة على عقول الناس، في تمسّكهم بالقشور دون اللباب٠

تدور حوادث المهزلة حول البطل وجيه، وهو صحافي وأديب موهوب لكنه عاطل عن العمل٠ يحب خطيبته عايدة لكن امها مدام زعرور لا توافق على الزواج بدون قائمة مصاغ طويلة تضعها بين يدى وجيه٠ وهو مفلس، مدين بأجرة غرفته لأم ظريف ، ومدين للّحام، ولا يملك مشطا او منشفة او سيكارة، ولم يشتر صابونة منذ اشهر٠

وتحصل مفارقات عديدة مع تطور الحدث المتصاعد، ويتأزم الصراع كلما زجّ المؤلف شخصية جديدة، وتنصب الويلات كلها على رأس وجيه٠ ولكنه يتخلص منها

---

(١) راجع "نخب العدو" ص ١٨، حيث يخبرنا سعيد انه تعمّد اخفاء مذهب آل الحموى وآل الحمصي ، ايهما المسلم وايهما المسيحي ، باعتبار "ان من بحث الاديان في لبنان، وجب عليه ان يمشي على الاخمصين، ويضع المخمل في الكفين٠٠٠ فأين التسامح اين؟"

(٢) صدرت "حفنة ريح"، عن دار العلم للملايين، بيروت، كانون الثاني ، ١٩٤٨ ٠ وتضمنت مجموعة اقاصيص "موجة نار"، ومراسلات ادبية بين المؤلف والدكتور سهيل ادريس حول كتابيهما "نخب العدو" و"اشواق"٠ اما مهزلة "حفنة ريح"، فتقع بين ص ٢٩ـ١٠٩ من الكتاب ٠

(٣) راجع "حفنة ريح"، ص ٢٩٠

جميعا، ويخرج ببدعة سحرية من اساليبه، مفادها ان " بالتسامح تعود الارواح الى شبابها"، فيسامحه اللحام بدينه ويعود شابا، وتسامحه ام ظريف باجار الغرفة وتعود صبية تتزوج اللحام. وتسامحه مدام زعرور بالمصاغ لبنتها وتعود صبية يتزوجها الصائغ، ويتنازل له الشيخ نسيب عن وظيفته بالجمرك.. ويتزوج وجيه عايدة، وتنتهي المهزلة بهذا الموقف العاطفي المهرّج، والمتكلف، والكل راض سعيد.

٤) "المنبوذ"[١]: مسرحية في فصل واحد. موضوعها: لتحرير المجتمع اللبناني من عبوديته يجب تحويل جهوده الفردية المبعثرة الى نظامية موحدة[٢].

يدور الصراع في المسرحية بين جبهة شريفة جائعة، وتتمثل في جواد الصافي وهو شاب متعلم يعيش في بيروت ساهيا على كرسيه في جمود وقرف، لأنه عاطل عن العمل ويائس من ايجاده وزوجته فهيمة تشتغل بالخياطة لسد رمق العائلة وجبهة ثانية غنية متهتكة تعيش من طرق غير مشروعة تتمثل في عارف ابن عم جواد الموظف الأمي، وجماعته ـ هؤلاء يهزأون من المثل التي يتمسك بها جواد وفهيمة، غير ان الجبهة الشريفة المحرومة لا تستجيب لمغرياتهم القوية المضللة، وتظل صامدة... ويبقى جواد، ساهيا على كرسيه، رغم زيارة ابيه الحافزة والمشجعة، حتى يزوره "رفيق" سائق الاوتوبيس من الضيعة، وقد التحق بحزب سياسي وسجن

---

(١) ليس على المسرحية ذكر لمكان صدور "المنبوذ" وتاريخه، لكن نعلم انها صدرت في بيروت ١٩٥٣ ـ راجع غلاف "انا والتنين".

(٢) راجع ما ورد في هذا البحث عن قصة "المنبوذ"، وكيف كان عنوانها أولا "المليون الضائع".

وشرد [١] ... يصغي جواد الى حديث رفيق، ويحس انه اكتشف نفسه، فينفض عنه الشعور بالوحشة والقرف واليأس، وينضم الى حزب رفيق [٢].

"المنبوذ"، هي الوحيدة بين مسرحيات سعيد، التي لم تهدف فقط الى النقد الساخر للمجتمع اللبناني قصد تطهيره، وانما تجاوزت ذلك الى طرح قضية وطنية، وفيها يتجلى، لأول مرة، تأثره بالعقيدة القومية الاجتماعية [٣].

بعد استعراض مسرحيات سعيد الاربع. نود ان نشير الى امرين :

١) ان نعيد الى الاذهان مسرحية "قضي الامر" [٤]، وهي نقد للمجتمع البيروتي، وحوار بين الجيلين، القديم والجديد، حول حق البنين في الزواج ممن يحبون، بصرف النظر عن المستوى الاجتماعي [٥]. خلاصة "قضي الامر" ان شابا من عائلة بيروتية وجيهة احبّ فتاة تعمل في عيادة طبيب، فيعارض والد الشاب بشدة، منكرا على ابنه حقه في الزواج ممن يحب، ويقول له: "انا تزوجت امك بدون حب وها نحن

---

(١) راجع حديث رفيق ص٢٠، ومما يقوله لجواد: "انا بعض هذا النهر.. والمعلن بهديره ودويه عن وجوده، وعن البحر الذى يقصد اليه... اما انت يا جواد. انت كومة ترابة وحصى ورمال. كومة مبعثرة لا قيمة لها. يعوزك الايمان يا جواد. عقيدة تلم اجزاء نفسك وتفولذها، فاذا انت... قطعة من باتون مسلح لا تحترق ولا تموع في النار.."

(٢) راجع ص٣١-٣٢، عندما يعترضه ابوه مخافة ان تجره عشرة رفيق الى الخراب والسجن، تقول له فهيمة مهدئة من روعه: "لا باس يا عمي. كل شيء له ثمن، لا يهم السجن والخراب، والموت ... الحرية لها ثمن. كل شيء له ثمن" وبهذه العبارة تنتهي المسرحية.

(٣) تلون مسرحية "المنبوذ" انتاج سعيد بمبادئ الحزب السورى القومي الاجتماعي، فاذا كل ما كتبه بعد ذلك التاريخ مطعم بها.

(٤) وضع سعيد "قضي الامر" ١٩٢٥، بعد عام من "لولا المحامي". راجع الكلام في هذا البحث حول النجاح الذى صادفه تمثيلها.

(٥) ونذكر ما ورد في هذا البحث، بان سعيدا، عندما اعاد النظر في مسرحيته "قضي الامر"، اتلف مخطوطتها.

سعيدان معا كما ترى...".[1]

٢) وان سعيد تقي الدين ترك بين اوراقه غير المنشورة[2]، ملهاتين شبه كاملتين، ومخططا لمسرحية جديدة، سنوجز افكارها، قبل ان نقول كلمتنا في مسرحياته:

١ـ "الدرب الموحشة":[3] وهي ملهاة اجتماعية ذات فصل واحد تضرب على الثرثرة وحب المال والسخرية من بخل الأغنياء. تدور القصة حول مهاجر لبناني يدعو الى وليمة ليؤسس ناديا للمهاجرين. وتحدث ملابسات محورها منى مرعي التي سترث عن أبيها أربعة ملايين دولار، وتودّد الشبان اليها من أجل مالها. أما أبوها المليونير فبخيل جدا، يحضر الى الوليمة مع عائلته مشيا على الأقدام...

٢ـ المخطوطة الثانية بدون عنوان[4]، وهي ايضا ملهاة اجتماعية تسخر من تقاليد الزواج في لبنان، وتفضيل الغني المجهول الأصل على الجبلي الفقير. تدور حوادثها حول مهاجر يطلب يد فتاة للزواج، فيرضى به أبوها المختار، رافضا ابن عمها الذي يحبها.

---

(١) من حديث خاص، في ١٨/ ١١/ ٦٨، مع أحد أبطال "قضي الامر"، الاستاذ تقي الدين الصلح.

(٢) راجع هذه الاوراق على شكل ملفات، في حوزة ابنته ديانا، وقد ارسلت اليها من كولمبيا، بعد وفاة ابيها بنحو عام.

(٣) "الدرب الموحشة" مؤرخة بخط سعيد: ٢٤/ ٨/ ١٩٤٤، وهي كاملة تقع في ٥٧ صفحة. المكان: جزائر كفر قطرا في الاوقيانوس الباسيفيكي حيث الطقس حار على مدار السنة، والزمان: ليلة رأس السنة.

(٤) كتب سعيد في أعلى الصفحة الاولى (برولوج) ـ وتقع في احدى عشرة صفحة، لعلها هيكل الملهاة. ومن المرجح ان سعيدا كتبها في الفترة نفسها التي كتب فيها "الدرب الموحشة"، عينت ١٩٤٤، لدى عودته الى التأليف. والملهاتان مكتوبتان على دفتر واحد، وبحبر نيلي، وهما قريبتان جدا من "حفنة ريح"، سواء من حيث الموضوع او طريقة معالجته...

٣ـ "أقدام عارية"[1]: مسرحية في ثلاثة فصول، سمّاها المؤلف "مدرسة سعيد تقي الدين للتأليف المسرحي"، ومما يقوله: "نحن في هذه المدرسة نعالج تعلّم الحروف الأبجدية من قاموس الفن المسرحي"[2].

يقتصر النص على وصف المشهد الأول للمسرحية[3]، يليه ملاحظات ورؤوس أقلام متفرقة في غير نظام[4]، من شأنها ان تلقي اضواء على المنهج الذى كان سعيد يسلكه في تأليفه المسرحي، والخطوات التي كانت تسبق ولادة مسرحياته.

---

(١) لم يؤرخ سعيد مسرحية "أقدام عارية"، ولكننا نرجح انه كان يشتغل عليها في سنواته الأخيرة، بعد صدور "المنبوذ"، وذلك للأسباب التالية:
١) لانها مكتوبة بحبره الاخضر الذى درج على الكتابة به بعد عودته الى لبنان ١٩٤٨، والمخطوطات القديمة بالحبر النيلي. ٢) يخبرنا سعيد في المقدمة ان حوادث المسرحية "طيّعة من السهل ان تصبح طياتها دعاية عقائدية او سياسية"، وهذا يشير الى انه كتبها بعد انضوائه في الحزب السورى القومي الاجتماعي، لانه، قبل ذلك، لم يكن يعنى بالموضوعات المماثلة.

(٢) ينصّب سعيد نفسه، في "أقدام عارية"، استاذا في الفن المسرحي بلغ مرحلة النضج، وهي المرحلة التي أشرت اليها.

(٣) ويقع في خمس صفحات: امام النظارة مصبغة فهد الحيفاوى، وصاحبها يغني العتابا... وعن اليمين على الرصيف بويجي امامه عشرات الاحذية، وهي لرجل واحد ولامرأة واحدة هما صاحبا القصر المجاور... أخو البويجي فياض (زهير) بائع جرائد، يوزع مناشير سرية ويتهامس مع بعض الناس، ومنهم معاون الشرطة سمير، وقد جاء لاخلاء الحي من السكان لان صاحب القصر (والاحذية) شفيق الاسطنبولي اشتراه...

(٤) مثال ذلك: تتروجه بويجي ونورى ـ بائع الجرائد يبيع الجريدة للأمي (ويدعوه استاذ) ـ كل حزبي يأخذ جريدته ـ تشلحه صباطه ـ في الحياة يجب ان تسحق شيئا، تهدم شيئا، تتعرى عن شيء ـ فلسفة النور الهرب: اهرب من البوليس، من المختار، من صاحب البيت. لولا الناس حفاة ما كنت مساح بويا (مع الرأسمالية) ـ الفاشل ينظف سرامي والناجح يبوس سرامي (عنب في شباط) ـ بائع الجرائد (عباس حمية، زلمة عادل عسيران).
وبعض رؤوس أقلام بالانكليزية ومقابلها ترجمتها..

الشخصيات : لما كانت مسرحيات سعيد تقي الدين، انعكاسا لجوانب من الواقع اللبناني ، في النصف الاول من القرن العشرين، وثورة على الاقطاعية والطائفية ، في محاولة لتطهير المجتمع اللبناني منهما، ومن العادات والتقاليد السخيفة المسيطرة على عقول الناس، فان شخصياته بمعظمها لبنانية، قروية او مدنية. بعضها هاجر طلبا للمال، وبعضها بقي يمارس الصراع على السلطة، بين الفئة الرجعية المسيطرة والعصرية المدافعة. وسعيد ، كمسرحي كوميدى، يضفي على شخصياته الصفات والمزايا، الجسدية والعقلية، التي يريد ان يستغلها في تطور الحبكة، لصالح النهاية التي رسمها لمسرحيته، وهي دائما مرضية.

١) عزيز بك في "لولا المحامي"، زعيم اقطاعي قروى لا ضمير له. يستمد وجاهته العمياء ونفوذه التقليدى الموروث ، جيلا عن جيل ، بأساليب البطش والظلم وفرض السطوة على الفلاحين الضعفاء المساكين الذين تربوا على الذل والخضوع للبكوات والاغاوات..

سليم ابن عزيز بك ، شاب مغرور وقصير النظر. طامع بثروة ابيه التي جمعت من طرق الحرام، لينفقها على الخمر والقمار. وهو سافل ، احمق ونذل ، يريد الزواج من ليلى بأى ثمن، رغم صدّها له. يقتل اباه ويتهم خالدا بالجريمة ليقضي عليه فيخلو له الجوّ مع ليلى [1].

---

(١) راجع في هذا البحث الظروف التي وضعت فيها "لولا المحامي" وكيف رسم سعيد مخططها وعين الادوار، سلفا ، لرفقائه في الجامعة. وقد مثل هو دور سليم – عنصر الشر الذى ينتهي الى الاندحار، وهي ابرز شخصيات "لولا المحامي"، لان المؤلف نجح في استثارة النقمة على سليم، من اجل صفاته بالذات ، ربما لانه كان، في سنه المبكرة تلك ، وهو الشيخ ابن الشيخ ، أشدّ إلماما بشخصية "ابن البك" من سواها .

وخالد عصامي طيب، مستقيم وشجاع . ينتقم من عزيز بك الذى تسبب في موت أهله جوعا ، واستولى على مالهم ورزقهم . لكن عنصر الخير فيه لا يبقيه طويلا على رأس عصابة، ويفضل العمل، ولو متخفيا، بقرب حبيبته ليلى في بيروت. أما ليلى فهي فتاة قروية مخلصة وشريفة، وقد علمتها الحياة القاسية كيف تتدبر الامور بحكمة وتداري سليما بعد ان افلس وأصبح مدمنا على الخمرة، بتلقيمه بعض الدراهم لتكمّ فمه فلا يفضح أمر خالد .

والسيدة عفيفة ـ غنية متزوجة في بيروت لا اولاد لها ، وهي عنصر خير لم تفسدها حياة المدينة، بل استجابت لضميرها ، فحضنت ليلى وقدّرت لخالد نخوته فكافأته بأن يسّرت له الزواج ممن يحب.

وحبيب أخو خالد المهاجر في القاهرة، وهو محام استخدمه المؤلف لحلّ عقدة المسرحية وتخليص خالد من الموت، ليقاضي المجرم الحقيقي ، وييسّر للزوجين الشابين حياة سعيدة(١).

ان شخصيات "لولا المحامي"، عدا سليم، سطحية، يتلاعب فيها المؤلف كالدمى ، ولا نشعر بانها حقيقية تحيا، وموقف القارئ منها تحصيل حاصل(٢).

---

(١) وتحفل "لولا المحامي" بعدد من الشخصيات الاضافية، كزوج السيدة عفيفة، ومجموعة القرويين والخدم وهيئة المحكمة ... فزوج عفيفة الذى نعلم انه كان معها في السيارة لدى التقائهم بعصابة خالد ، وانه يعيش معها في بيروت لا نسمعه ينطق بكلمة . اما مجموعة القرويين والخدم حول عزيز بك ، وهيئة المحكمة في الفصل الاخير، فقد يكون في وجودها ضرورة فنية، ولكن ظهورها على المسرح كان مختصرا جدا وشخصياتها باهتة المعالم .

(٢) ففي تصرف خالد البطل ، مثلا، وتقلبه السريع: من شاب مخلص شجاع ، الى رئيس عصابة قتل ، الى عامل متخف في بيروت .. وهارب من وجه العدالة ، ثم مستسلم لرجال الامن ـ كل هذا وهو مظلوم برئ ، يجعل القارئ يعطف عليه، لكن ليس من باب الاعجاب بشخصيته .

في المسرحيات الثلاث اللاحقة لـ" لولا المحامي "، نلاحظ بان المؤلف بات اكثر الماما بالفن المسرحي ، واقدر بالتالي على ابراز شخصياته لتلائم النمط المسرحي الذى اختاره ولا يفوتنا الملاحظة ايضا ، بان شخصية البطل في هذه المسرحيات هي صورة للمؤلف[١]، وتعكس صفاته ومزاياه الشخصية .

٢) " نخب العدو"، بطلها وسيم الحموى: شاب متعلم طموح ، يمارس كتابة الروايات[٢]. يهاجر ويفشل في تجارته ولكنه متفائل ينكّت على نفسه واثقا من النجاح[٣]، ومتسامح[٤]، ومغامر من الدرجة الأولى[٥].

وتقسم باقي شخصيات " نخب العدو"، التي رسمها المؤلف بدقة لتعكس الصراع الطائفي العنيف في القرية اللبنانية، الى فئتين: فئة رجعية متعصّبة جاهلة تتمثل في ام وسيم وابي مرعي الحموى وهدى الحمصي وجماعتها ، ونبهان آغا وابنه، وفئة متفتحة متحررة ناقمة على الوضع المخزى في قريتهم الجميلة، وقوامها ، عدا وسيم، راجي وسارة ، والدكتور نجيب .

---

(١) راجع الفصل الاول حيث يصف سعيد البطل وكيف يكتب وكم يحب الخلوة والكتابة، على غرار ما كان يفعل هو في بعقلين .
(٢) راجع الفصل الثاني حيث وسيم وراجي ، مشرفان على الافلاس ومع هذا يدعوان المهاجرين الى " سهرة كيف " لبنانية .
(٣) راجع الفصل نفسه حيث تزوّج سارة الحمصي بنت هدى عدوة امه الاولى . واتخذ صديقه الاول راجي " من الجماعة الثانية " ليدحض النظرية الراسخة في عقول اهل القرية . والقائلة بعدم ائتمان من ليس من طائفتك .
(٤) ونعلم ان المؤلف أحبّ فتاة مسيحية وتزوجها ، غير مبال بالتقاليد .
(٥) راجع الفصل نفسه اذ يقتحم وسيم البحر العاصف ، في عمل تجارى، رغم تحذير الجميع ، فيغرق وينجو باعجوبة ، انما يفقد بصره .

ام وسيم : عجوز جبلية صلبة، تبغض بيت الحموى قبل الشيطان، وتتسلّح سرّا ليوم "الانتقام"، وتتحمّل فراق وحيدها وسيم خوفا عليه من ان يغدروا به، كما فعلوا بابيه. عدوّتها اللدودة هدى الحمصي[١]، ام طعّان، التي هاجرت مع بنتها سارة الى غرانيلا بعد "واقعة السنديانة" التي قتل فيها ابو وسيم. وهي تحمل من الحقد والكره لأم وسيم أضعاف ما تحمل تلك لها[٢].

نبهان آغا : مختار "وادي الارز"، وهو الاقطاعي اللئيم الذى لا همّ له سوى اشعال نار الفتنة بين أفراد عائلتي الحمصي والحموى، ليبقى نفوذه سائدا، تمشيا على مبدأ "فرّق تسد"[٣].

أما راجي البيروتي ، فصديق وسيم الوفي رغم انه من "الطائفة الثانية"، يلزمه في السرّاء والضرّاء. وهو شخصية مهرّجة، يحب المزاح والتنكيت والسخرية ويشكل العصب الكوميدى في "نخب العدو"، يسلّط نكاته ودعابته على شخصيات ساذجة

---

(١) راجع "نخب العدو" ص٣٨، وقد حلفت ام وسيم "ان تخنق هدى الحمصي بغدائرها، ولو رجعت هدى غير مقصوصة الشعر، لماتت على وصفة ام وسيم".

(٢) راجع المصدر نفسه الفصل الثاني، وقد جنّ جنون هدى الحمصي عندما علمت ان خطيب بنتها سارة ليس سوى وسيم الحموى، وكيف صممت على قتله...

(٣) راجع ص١٠٤ ـ ١٠٥، حيث يزور الآغا ام وسيم، على اثر عزل ابي مرعي من النوطرة فيزرّك له محرّضا اياه على الثأر :
الآغا ـ اذن فقد عزلوك يا ابو مرعي ! ـ الدنيا دولاب !
ـ عزلوك يا ابو مرعي . من غير بيت للحمصي، ونائب المنطقة منهم ؟ ـ انا كنت أهمّ بالاستعفاء. انا لا أحب النوطرة. المشي يتعبني ـ عزلوك يا ابو مرعي !!
فالمؤلف، عن طريق ترداد هذه العبارة، يشعل نار الحقد في صدر ابي مرعي فيهبّ للانتقام، كل ذلك بسبب الآغا..

بلهاء كرليخة خادمة ام وسيم ـ او تهكماته اللاذعة على شخصيات ناقصة العقل ومريضة الادعاء الفارغ كالآغا، أو محدودة الادراك، كرشيد وشمدص جهجاه"[١] وسواهما .

أما سارة الحمصي ، فشخصيتها باهتة متقلّصة بين زوجها وسيم وامها هدى . انها كدمية بين يدى المؤلف ، ينطقها بما يريد ويسيّرها حسب خطته، كوسيلة ميكانيكية الى غايته الاصلاحية وحسب .

وأخيرا الدكتور نجيب[٢]، وهو البطل الحقيقي في "نخب العدو". انه شيخ طيب من "وادى الارز"، عاش حياته يمارس الطب في غرانيلا وحاز على سمعة ممتازة . "يعمل الخير بدون مباهاة كانما فعل المروءة، كتنظيف الاسنان، شيء ضروري مألوف"[٣]... همه التوفيق بين القلوب المتنافرة : وبث رسالة المحبّة والسلام، وبخاصة في قريته... والمؤلف، لفرط اجلاله اياه وتقديره لشخصه ينتدبه لحلّ عقدة النزاع الطائفي المستعصي بين عائلتي الحمصي والحموى، كما سنعرض .

---

(١) هي شخصية ابتدعها المؤلف في "نخب العدو"، واستخدمها بعد ذلك في اقاصيصه ومقالاته، ومن اوصافها التي حددها سعيد ما يلي: "ليس له في الدنيا عدو، ولا صديق . صاحب مروءة اذا كانت المروءة لا تكلف عملة. لا يقرض ولا يستدين . هو اللبناني الوحيد في مهاجر الدنيا الذى لا يدعي أمام الافرنج انه من بيروت وان عائلته ذات أملاك واسعة، وان رئيس الجمهورية ابن عمه، شمدص من المهاجرين الذين يرجعون الى بلادهم بعد عشرين سنة هجرة وليس في حديثهم ولا طريقة تفكيرهم انهم ابتعدوا عن وطنهم اكثر من عشر دقائق! .. "الشمادصة" هم هيكل عظام الامم وفلاسفتها الصامتون".

(٢) راجع المقدمة وقد كرس المؤلف دور الدكتور نجيب "الى رجل العلم النابغة والانساني العظيم الذى عطر الاسم اللبناني والسورى في الشرق الأقصى ، الدكتور نجيب مترى الصليبي". ويخبرنا المؤلف ايضا انه الشخصية الوحيدة في كوميديته، التي استوحاها من شخص حقيقي بكامل اوصافه.

(٣) راجع "نخب العدو"، ص٤٠ .

٣) بطل مهزلة "حفنة ريح"، الاستاذ وجيه، هو الشخصية المسيطرة عقليا، وباقي الشخصيات نماذج ممسوخة من المجتمع البيروتي . ونلاحظ ان المؤلف يطلّ علينا من خلال بطله، فهو مثله اديب موهوب مجتهد، لكن سبل الرزق سدّت في وجهه[١]. يشعر بتفوّقه على باقي الشخصيات، ويستغل ذلك التفوق للتلاعب بها، والسخرية منها والتهكّم عليها، فلا يسلم من لسانه أحد[٢].

ام ظريف، أرملة متبرّمة بعيشها، لا همّ لها سوى أن يحصل وجيه على مال ليسدّد اجار غرفتها المتراكم، وهي حشرية تتدخّل في كل صغيرة وكبيرة مما له علاقة بحياة وجيه الخاصة والعامة[٣]، وهي صديقة مدام زعرور، الام السخيفة التي تشترط لترويج ابنتها ان يثقّل الخطيب يديها وعنقها بالحليّ ذات الحجارة الكريمة[٤]. وشخصيّة العوّاد البليد الغشيم الذى يمكث ساعة منتظرا نهوض وجيه من النوم، يدوزن عوده ويغنّي "يا ليل"، والوقت ظهر[٥]... وشخصية الشيخ نسيب الاقطاعي المغرور،

---

(١) راجع سيرة المؤلف في الفلبين، حوالي ١٩٤٤ عندما عاد الى الكتابة، وكان في حالة مماثلة...

(٢) راجع مارون عبود "جدد وقدماء"، ص ٢٧١، حيث يقول المؤلف: "ان اسم المهزلة يدلّ على تقدير المؤلف لأبطالها: "حفنة ريح"... ازدراء ايما ازدراء".

(٣) راجع "حفنة ريح"، ص ٤٢، حيث ترغب ام ظريف وجيها على الزواج:
ام ظريف ـ (تتحدّاه) عايده ملاك. ما عيبها؟ كذب كل من نقل لك خبرا عنها.
وجيه ـ عيبها ان لها اما. اخترعوا طيارة بدون جناح، وقلم حبر بدون حبر.
لماذا لم يخترعوا زوجة بدون حماة؟

(٤) راجع ص ٤٧ حيث تقول ام ظريف لمدام زعرور ان وجيها مستعد للزواج، فتنهرها مدام زعرور:
ـ مستعد للزواج؟ بدون مصاغ؟ الموت اهون. لا خاتم (ترجع للنحيب) ولا اسوار!
ـ ولا كستاك ساعة
ـ ولا حلق (تنتحبان معا).. ويطول المشهد بين المرأتين في تعداد الحليّ والنحيب ونفخ الانوف!

(٥) راجع ص ٤٠، حيث يستفيق وجيه ويقرأ على العواد الابيات التي جاء لشرائها (والتي سنأتي على ذكرها) فيرفضها، لخلوّها من "النهود والعيون والخدود والشفاه واللعاب"... لانه يريد شعرا من القلب ـ هذا وحده عليه طلب!

الذى يستدعيه وجيه ليقنعه، بطرقه السيكولوجية، بأن يتنازل له عن وظيفته الجديدة بالجمرك(١). وهناك شخصية الاستاذ كعب المتحذلق في نطقه والذى يأتي بمخطوطته الى وجيه، فيكون مصيرها نارا لقهوة ام ظريف . والفتاتان الاميركيتان الغنيتان طالبتا الزواج ، وكيف يدفع وجيه بالشيخ نسيب والاستاذ كعب فيتفقا معهما على الزواج .

٤) بطل مسرحية "المنبوذ" جواد الصافي : شاب ثروى متعلّم، كان لشجاعته يلقب بـ"النمر"، يعيش في بيروت في جمود وقرفه يرفض ان يتكلم او يأكل او يرتدى ثيابه، لانه عاطل عن العمل ويائس من ايجاده بالطرق الشريفة .. ونلاحظ ان هذه الاوصاف تعكس الكثير من حالة المؤلف ، بعيد عودته الى لبنان ومباشرته في وضع "المنبوذ"(٢).

---

(١) راجع ص ٥٣ حيث يدور بين الشيخ نسيب ووجيه الحوار التالي :
ـ هل سمعت بأديب توظف في جمرك؟ امرؤ القيس . ابو العتاهية . حافظ ابراهيم . جرجي زيدان؟ هل تريد ان تدفن عبقريتك بين بالات الخام والعنبر كيس؟
ـ اسمح لي بسؤال . لماذا حضرتك راغب في هذه الوظيفة؟
ـ لان الله خلقني غيورا على المصلحة العامة .
ـ وأنا ؟ ...
ـ انت في عمرك . في نبوغك . غامر . هاجر . من اسس الهلال والمقتطف ؟ من جمع الثروات الكبرى ؟
ـ وحضرتك لم لا تهاجر ؟
ـ أن سافرنا كلنا .. من يبقى هنا لاستلام حوالات المهاجرين؟

(٢) راجع ما ورد في سيرته، من حديث ابنته ديانا ، عن الخيبة التي مني بها ، نتيجة الصدمة التي أصابته لدى اطلاعه على الواقع الاجتماعي المتداعي الذى لم يكن يتوقعه .. لاسيما وان انتماء بطله في نهاية المسرحية الى حزب نظامي يطابق حياة المؤلف الذى انتظم فعلا اواخر ١٩٥١ في الحزب السورى القومي الاجتماعي ، ولم تصدر "المنبوذ" الا في عام ١٩٥٣ .

وفهيمة، زوجة جواد، شريفة عاقلة، تلاطف زوجها لتخفف من ضيقه. وتصمد باباء حيال اغراء رفيقتها نجلاء، التي تعيش في بيروت غنية متنعمة في ممارسة الدعارة الوفيرة الربح ... هازئة من فقر فهيمة وتقشفها. ففي شخصية فهيمة صلابة وعمق لم تعهدهما، في السابق، في فتيات سعيد تقي الدين[(١)].

وعبّاس، والد جواد، ينتمي الى الجيل القديم[(٢)]. ما يزال يعيش في الضيعة. انه متألم من حالة ابنه، ومستعد للتضحية بكل شيء كيما يراه سعيدا، لكن الشقّة بينه وبين جواد عميقة لا يردمها سوى رفيق، سائق الاتوبيس من الضيعة، الذى يدعوه عباس "مجنونا"، لانه التحق بحزب سياسي وبسببه سجن وشرّد. رفيق يهدى جوادا، فيجد طريقه..

أما عارف، فهو ابن عم جواد. غير متعلم، يعمل موظفا في الشرطة ويتعامل مع مهرب دخان هو أنيس باشا[(٣)]، وهما مع نجلا يمثلون جبهة الفساد في المجتمع التي تعيش في بحبوحة مادية نتيجة تبذّلها في الطرق غير المشروعة.

---

(١) وقد يكون مردّ ذلك، الى ان المؤلف، لدى اعتناقه العقيدة القومية الاجتماعية وتبني مبادئها، ونشرها بالتالي في "المنبوذ"، انما تعرف، لاول مرة في حياته، بمبدأ تكافؤ المرأة والرجل، وبقدرتهما المتساوية في العطاء الاجتماعي ...

(٢) انه لا يشارك جوادا في احترام فهيمة، بل ينهرها عندما تبدى تفهّما لموقف زوجها قائلا: "اسكتي. متى كان للنساء رأى ؟" — راجع ص٢٢ — ويؤمن بتفوق يوسف بك الاجتماعي. ويدعو ابنه لالقاء قصيدة ترحيب بحضرته، لكسب رضاه، لعله يعطيه توصية فيتوظف..

(٣) وقد نال عارف درجة ترقية ومكافآت مالية نتيجة وشايته على صفقات تهريب دبّرها هو بنفسه.

الحوار :

عرف سعيد تقي الدين، منذ بدء تأليفه للمسرح، اهمية تطويع اللغة العربية لتصبح وسيلة صالحة للحوار المسرحي [١]، وقد راعى، في لغة الحوار، مطابقتها لمستوى الاشخاص، فهي فصيحة مع من يفترض ان يكون على جانب من العلم، وعامية مع البسطاء او الاميين، ولكنه، رغم محاولته، لم يستطع حلّ هذه المشكلة نهائيا .

ففي "لولا المحامي" نرى معظم الحوار فصيحا، الا ما دار منه على ألسن القرويين، هؤلاء فقط تكلموا العامية . غير ان المؤلف، اذ يتلافى هذا الأمر، يقع فيما هو أشد اساءة منه للحوار الجيد، عنيت المواقف الدراماتيكية المسهبة، حيث يفضي الشخص بكل ما يريد ان يقوله دفعة واحدة [٢] .

في "نخب العدو" تمكن سعيد من ضبط هذا الخطأ، اى ان عبارات حواره جاءت، الى حدّ ما، قصيرة، معصورة، معبّرة، وقليلة الحشو . غير ان المؤلف الذى كتب "نخب العدو" لمسرح عربي يجهل كل شيء عن ظروفه وامكانياته [٣]، اعتمد في

---

(١) راجع مقدمة "نخب العدو"، ص ١١، حيث يعترف سعيد بضرورة التفاعل بين الفصحى والعامية في لغة الحوار، وانه "من الجريمة ان نؤلف بالعامية لانه ليس عندنا لغة عامية شاملة .

(٢) وهو عيب ظاهر في "لولا المحامي" . راجع ص ٢٧ . الخطبة التي يلقيها خالد استنكارا لخيانة عزيز بك، وص ٤٣ ـ العظة الانسانية التي يلقيها رئيس العصابة على خالد، قبل انضمامه اليها، وكثير غيرهما، مما لا يخلو من الحشو والاسترسال في غير محله . وقد يكون من اسباب ذلك عدم نضج المؤلف، وتمرنه على الخطابة في جمعية "العروة الوثقى"، وهو عامذاك رئيسها ولولب حركتها ـ راجع سيرته في هذا البحث عام ١٩٢٣ـ١٩٢٤ .

(٣) كتب سعيد "لولا المحامي" ليمثلها مع زملائه طلاب الجامعة على مسرح الوست هول، اما "نخب العدو" و"حفنة ريح" و"المنبوذ"، فكتبها في ذهنه، للمسرح العربي عموما، كما صرح في مقدماته، وأدلى بوصاياه الفنية والعملية الى المخرج . وكان يخافه بسبب غياب المسرح العربي، ان تضيع جهوده وتحفظ مسرحياته في المكتبات بدل ان توضع قيد التمثيل .

حواره الفصحى المبسّطة، وتجنب العامية ما أمكن ...

اما فنّ الحوار البارع القصير المعبّر، والمعتدل من حيث المزج بين فصيحة وعامية، فقد ظفر منه سعيد بنصيب اكبر في مهزلة "حفنة ريح"، ثم "المنبوذ". وقد ساعد نمط الهزلية، وما يتطلبه من خفة وسرعة حركة، على تطبيق اصول الحوار المشار اليه، وكذلك الحال في "المنبوذ"، لولا ما تخلّل القسم الاخير من عظات عقائدية هي ليست من بضاعة الحوار المسرحي، او موضوعه، اذ تجعل الشخص يفضح موقفه، ويعلن نفسه واعظا مبشرا.

النكتة : ولتعزيز حواره، حتى يلائم النمط المسرحي الذى اختاره، استعان سعيد تقي الدين بعدد من العناصر والمؤثرات الذهنية واللفظية، اهمها النكتة ثم الشعر والغناء ...

والنكتة في مسرحيات سعيد عمل ارادى ومران، تدعمهما موهبة اصيلة. بدأت في "لولا المحامي" ضئيلة، انما طبيعية تعكس جانبا من الواقع القروى في لبنان، وترتكز هذه النكتة، التي اكثر استعمالها لدى سعيد فيما بعد، على التلاعب في اللفظ والالقاء وفعل ذلك في اختلال المعنى (١).

(١) راجع الفصل الثاني ص٣٠ اثناء الحوار بين عزيز بك واحد القرويين، حيث تتجلى النكتة الساخرة عن طريق ترداد الكلام او تتابعه بدون وقفات او فواصل، قصد تلاعب الصوت لمسخ المعنى، مثال ذلك :
القروى ـ يا سيدنا الثور الاصبح مات
عزيز بك ـ مات ! كيف مات ؟
ـ كيف مات؟ طوّل عمر سعادتك آنا بعرف كيف مات ! حكمو ملعون بعيد عن جناب سعادتك ومات.
هذا، وقد اخبرنا بعض الذين مثلوا في "لولا المحامي"، او اخرجوها مثال الدكاترة : قسطنطين زريق، جبرائيل جبور، ومتى عقراوى، بأن القاعة كانت تعصف بالتصفيق والضحك بعد هذا المشهد او امثاله...

استغل سعيد موهبته في التنكيت، بصورة اوسع في "نخب العدو"، لتلائم نمط "المسرحية الكوميدية" الذى اختاره لها. وهي تجمع بين الموقف الدراماتيكي وبين روح "الملهاة"، مع التشديد على العنصر الثاني.

ونكتة "نخب العدو"، شأنها شأن موسيقاها وشعرها، تنطلق من ثنائي "وسيم وراجي"، وبخاصة راجي البيروتي الذى يلزم صديقه وسيما، اولا في الضيعة حيث يضحك ساخرا من مظاهر التعصب الطائفي والجهل[1]، وثانيا في المهجر حيث يختبر مرارة الفشل في التجارة فيضحك ساخرا من نفسه[2]، ومن قوافل المهاجرين الذين يتهافتون على السفر، بعدة هزيلة، فيضحك من مستواهم الاجتماعي والفكرى[3]....

---

(١) راجع ص ٨٠، حيث يدور الحوار بين راجي ونبهان آغا، ولاحظ ترداد كلمة "آغا" والجو الذى تثيره:
راجي - لماذا انت اغا يا اغا ؟
- لأن ابي آغا .
- ولماذا أبوك آغا ؟
- لان اباه كان آغا ...
وعندما يسأل الاغا راجي عن ابيه فيجيبه: -"انتحر".. - ولماذا انتحر ؟
- في المدينة فتش عن المرأة، وفي الضيعة فتش عن الاغا!

(٢) راجع ص ١٢٤، ليلة رأس السنة في غرانيلا. وسيم وراجي مهددان بالافلاس، بعد عشر سنين من العمل. وسيم عقله في روايته التي اهمل تأليفها:
وسيم - ان روايتي ستتم. ان طيفها يناديني مستنجدا: "لماذا وأدتني يا أبي؟"
راجي - وان طيف ثروتي يتبعني كطفلة تقول لي: "لماذا دفنتني يا أبي ؟"
فاجيبها: كتاب "الاغاني": - كل مصائبنا منك. لماذا لم يحرقوك مع مكتبة الاسكندرية؟ (يقرأ): "دخل صعلوك على الامير جان فالجان فقال بونجور. قال الامير: "خذ بنطلوني وسترتي ورطلا من لحيتي" - هذا نموذج لما يدور بين وسيم وراجي من باب التفكهة والتخفيف من الضيق...

(٣) راجع ص ١٤٨، وجماعة المهاجرين مجتمعون برأس السنة في بيت وسيم وراجي، فيسأل احدهم شمدص جهجاه قبل رجوعه الى لبنان: -"هل ترجع حليقا ام تربي الشارب ؟"، يجيبه: - سأبقى حليقا. لا شوارب. فيغني الجميع:
"سافر بالشارب رجع بلاه
صار اسمو تشارلي شمدص جهجاه (اشارة الى تغيير المهاجرين أسماءهم). وفي ص ١٤٩، يسأل شمدص مهاجرا ثانيا: "ما اسم ابيك يا خليل لا سلم لك عليه؟.. فيجيبه: "اسمه ابو خليل"- (اشارة الى سذاجة بعض المهاجرين وهزال عدتهم).

ويلجأ المؤلف احيانا الى عنصر المفاجأة، كسبيل لنكتته في "نخب العدو"، وذلك للتخفيف من حدة التوتر في الموقف الدراماتيكي الجدى[١]، وأحيانا نـراه يكتفي بالدعابة البريئة، عن طريق التلاعب بالمعنى واللفظ، كوسيلة الى الاسترخاء الذهني[٢].

أما مهزلة "حفنة ريح"، فقد تفنّن سعيد في طرح أساليب النكات المختلفة لتوافق نمط المسرحية الذى اختاره، غايته القصوى ان يستثير ضحك المشاهديـن، وان أدى ذلك الى اهمال الحقائق وواقع الحياة، والانتقال من صعيد "المحتمل" الى صعيد "غير المحتمل". والبطل الاستاذ وجيه هو العقل المسيّر وراء حفنة مـن الشخصيات، أرادها المؤلف موتورة، ليتسنى له التلاعب بها والسخرية منها والتهكم عليها، مهما بدا سلوكه متكلفا او غير منطقي[٣].

---

(١) راجع ص ١١٠، حين يهجم الجنود على بيت وسيم للقبض عليه، ويخرج "السرجون" من الدهليز الذى اختبأ فيه وسيم، قابضا على ديك، فيما يكون وسيم قـد هرب! .

(٢) راجع ص ٩٢ـ٩٥ حيث يضع راجي على رأس زليخة برنيطة وسيم التي يرتديها لنظم الشعر، ويحملها عصاه، ويسقيها كاسا من العرق، على انه قهوة، ويحثها على نظم الشعر، فتقول (وقد لوّحت معها):
ـ طل القمر عا وادى الارز ...
ـ برافو زليخة. يا اميرة الشعر، هذا هو الادب! (ويقبلها)
ـ (تصفعه) هذا قلة ادب (وترمي البرنيطة والعصا من يدهـا)
(ونلاحظ كيف ان النكتة هنا قائمة على التلاعب باللفظ والمعنى.

(٣) راجع ص ٦٥ـ٦٨، حيث يتبسط المؤلف في حوار هزلي متكلف يدور بين وجيـه والمغترب نايف حيمور الذى يرغب الى وجيه ان ينشر له خبرا صحفيا عن رجوعه الـى الوطن، وكيف يعجز وجيه عن اختيار لقب يرضى به حيمور، فلا "امير" يعجبـه، ولا "شيخ" ولا "بك" ولا "مجاهد اكبر" ـ كلها القاب مبتذلة متداولة بكثرة.. (هزء بالالقاب الفارغة بكثير من التكلف "الفوق واقعي") ـ وكيف يردد حيمور، بعد كل اقتراح، كلمة "نوسنيور"، فيترك ترداد الكلمة صدى هزليا ينـاسـب الموقف..

ويكثر المؤلف من الاستعانة بعنصر المفاجأة، ليثير الجو الهزلي الساخر، من ذلك اكتشاف مدام زعرور بأن خطيب بنتها (وجيه) قد اشترى اخيرا المصاغ الذى وضعته كشرط للزواج لا مهرب منه[١]، وهي سلسلة من المفارقات، شاءها المؤلف تشهيرا بالامهات اللواتي يطلبن المستحيل من الخطيب ويعرقلن زواج بناتهن..

ومن نكات "حفنة ريح"، تلك القائمة على التحذلق او التقعّر اللفظي[٢].. اوان يضع على لسان كل شخص عبارة معينة يكثر تردادها[٣]...

---

(١) راجع ص ٧٢، ولاحظ الجو الساخر الناتج عن تأثير اعادة "يا ماما" نتيجة المفاجأة السارة:
مدام زعرور — (تفتح العلبة) يا ماما ! الماس يا ماما (تفتح علبة ثانية) يا ماما! بلاتين يا ماما (تفتح علبة ثالثة) يا ماما... ذهب ! .. ذهب عيار ٢٤...

(٢) راجع ص ٦١–٦٣، حيث يقول الاستاذ كعب لام ظريف ومدام زعرور: "نعمتا صباحا يا سيدتي التعرتسين. واني في غد الى بغداد ظاعن"، فتجيبه ام ظريف: "لا تؤاخذني لا اعرف فرنساوى !" هنا فقد التوازن بين الاسلوبين فاحدث ردّ فعل هزليا... وعندما تقول ام ظريف للاستاذ كعب: "فلقتني"، يجيبها: "يجوز ان يقال "فلقتني"، انما الاصح ان يقال "فججتني"... ويجوز ان نقول "مخطوطة"، انما الاصح "اخطوطة"..

(٣) كترداد حيمور "نوسنيور"، وترداد الاستاذ كعب، "يا بهجة العيد" كلما ادهشه امر، وهذا ما يعبر عنه الاميركيون "بالسطر" — راجع "حفنة ريح" ص١٠٧ — ولعل اقوى "سطر" في مهزلة "حفنة ريح"، يتردد على لسان العواد مشهدا بعد مشهد "صار لي نصف ساعة انتظر".. — ويوصي المؤلف المخرج بأن يحمّل العواد ساعة يحدق بها كلما نطق بسطره..

الشعر والموسيقى : ومن الامور التي عني بها سعيد في مسرحياته، عنصرا الشعر والموسيقى، باعتبارهما وسيلتين فعّالتين من وسائل ارضاء لجمهوره[(١)]. من هنا ان مسرحياته الاربع يتخللها الكثير من المواقف الشعرية والغنائية، بعضها قرادى، وبعضها شعر "مكسر" للتنكيت[(٢)]. ويكون المعنى احيانا من صلب موضوع المسرحية او معبرا عن مغزاها[(٣)]، ونلاحظ ان المؤلف كان شغوفا بتزيين مسرحياته بالشعر والموسيقى، بصرف النظر عن قيمتهما الفنية.

وفي "حفنة ريح" ينظم البطل اغنية تلخص فلسفته الحياتية الساخرة، وموقفه الخاص من حماقة البشر المكتسبة[(٤)]. وهي وان تكن أقل تشويها من سابقتها، الا

(١) راجع دراسة المؤلف عن الفن المسرحي في "لولا المحامي"، ص ٧ — ١٦، حيث يخبرنا عن تباين اذواق الشعوب في تجاوبهم للنكتة الواحدة، وكيف ان العربي الذى يطرب للقرادى والشعر والغناء، قلما يفهم او يقدر النكتة التي يقهقه لها الاوربي ...

(٢) راجع الفصل الثالث من "لولا المحامي"، والقصيدة "المكسرة" التي يدبر فيها سليم المؤامرة لقتل ابيه..

(٣) راجع "تخب العدو"، ص ١٦٤، عندما يرقص وسيم وسارة بثيابهما البدوية ليلة رأس السنة، بينما يغني لهما المهاجرون هذه الابيات المهلهلة الصيغة والتي ترمي الى تآلف القلوب بين اسرتيهما المتعاديتين :

بين دارى ودارك درب — توصل بابينا
في صدرى وصدرك حب — يغمر قلبينا
نهدم وراثة البغض — من عهد اجدادنا
ونحيا لبعضنا البعض — ونبني لأولادنا

(٤) راجع الاغنية في "حفنة ريح"، ص ٣٨، ندرج بعض ابياتها :

عاش تعسا من شكا الامه — وتناسى امد العيش القصير
صهر اللذة من اوجاعه — كل من يضحك منها ويسير

هذه الدنيا سراب — بطلها مثل الصحيح
هي حلم شارد — بين مهد وضريح
أسرفت في الصمت عن — اسرارها ما ان تبيح
كل ما تجنيه من اعصارها — حفنة ريح

ان الجهد يبدو عليها . والذى نرجحه ان المؤلف كان يعتبر تزيين مسرحياته بعنصرى الشعر والغناء، ضرورة لعمله الفني [1].

البناء الفني ـ الحبكة :

بعد ان استعرضنا مسرحيات سعيد تقي الدين، وتكلمنا على شخصياته، وحواره، وما تخلله من عناصر النكتة والشعر والغناء، ندخل في صلب هذه المسرحيات، في محاولة لنقد حبكاتها، من الوجهة الفنية .

ان مسرحيات سعيد لبنانية، تستمد مواضيعها وشخصياتها، وتفاصيل اجزاء حبكتها من واقع المجتمع اللبناني، بشطريه القروى والمدني، ويقوم الصراع من جانب ابطالها، ضد تقاليد وعادات قديمة، عاشها المؤلف وأحس بخطرها على سلامة مجتمعه، فأعلن ثورته عليها، غايته اصلاحها وتطهيرها .

ان تسلسل الحوادث والتعقيدات، في "لولا المحامي"، رغم مواقفها الدراماتيكية العنيفة، تظل ضمن المعقول، غير ان لنا مآخذ فنية عديدة على باكورة مسرحيات سعيد تقي الدين :

١ ـ البداية تصدم الواقع : في مطلع الفصل الاول ـ الساعة السادسة مساء ـ وليلى في البوية تنتظر ملاقاة خالد، من هجرة دامت ست سنين، وقد ضرب لها هذا الموعد في رسالة. انه لخطأ فادح ان يعود مهاجر شاب ترك قريته مدة الحرب، والا يكون

(١) يعترف سعيد في "نخب العدو"، ص ١٠٧، بالمشقة الذهنية التي كان يتكبدها في نظم الاشعار لمسرحياته.

اول وصوله الى بيته للاطمئنان على مصير أبويه واخوته. ثم كيف لمهاجر عائد بحرا من اميركا ان يحدد موعد وصوله الى قريته بهذه الدقة ؟

٢ـ كثرة المواقف والتعقيدات المبالغ فيها، وبخاصة حول البطل خالد[١].

٣ـ الحشو في المواقف الخطابية، وفي الشخصيات [٢].

٤ـ فقدان التوازن بين اجزاء الرواية [٣].

٥ـ التعطيل في وحدة الزمان والمكان[٤].

أما في "نخب العدو"، فقد تلافى سعيد معظم هذه الاخطاء الفنية[٥]. فبناء الحبكة يتطور، مشهدا مشهدا، وفصلا فصلا، بصورة طبيعية، ضمن المنطق والواقع،

---

(١) راجع في عرض الرواية، تقلب خالد في مواقفه، وتكييف نفسه بسرعة، من حياة مستقيمة الى ترؤس عصابة، فالانزواء جبنا باسم مستعار، فالاستسلام الى رجال الامن... كل ذلك وهو بريء.

(٢) راجع ما ورد عن ذلك في كلامنا على الشخصيات، وبخاصة ذكر زوج السيدة عفيفة مرارا، في حين لم يظهر اطلاقا على المسرح، ولا نطق بكلمة واحدة.

(٣) لاحظ تطوير الحدث المتصاعد نحو نقطة التحول في مدى ثلاثة فصول كاملة: الثاني والثالث والرابع، ثم تجمّع نقطة التحول والذروة والنهاية في الفصل الخامس.

(٤) لاحظ كيف ان المشهد الاول من الفصل الخامس يبدأ في القاهرة عندما يقرأ المحامي حبيب خبر محاكمة اخيه خالد بتهمة قتل عزيز بك. والمشهد الثاني محاكمة خالد في بيروت بعد عشرة ايام، وفيه الذروة وتبرءة خالد. والمشهد الثالث بعد اسبوع في بيروت. وتنتهي الرواية بكشف حبيب لاخيه عن هويته.

(٥) راجع سيرته في الفلبين، وما ورد فيها عن مواظبة سعيد، طوال سنوات صمته على مطالعة "الدرامة"، وكيف اتيح له خلال ذلك، الوقت الكافي لتعديل وتنقيح مسرحيته، لتأتي مطابقة للنمط الذى اختاره لها.

مراعيا وحدة الزمان والمكان[(١)]، ولا يفوت القارئ ملاحظة البناء الفني السليم الذى توفر لكل فصل على حدة، وبخاصة الفصل الاول، مرتكز المسرحية ومنطلقها نحو الحدث المتصاعد، فنقطة التحول، فالذروة والنهاية، فقد اطلعنا سعيد، عن طريق الحوار، بين شخصياته الرئيسية[(٢)]، على موضوع مسرحيته، وهو الصراع الطائفي في القرية اللبنانية، وفي نهاية الفصل الاول، مهّد الهرب للبطل، بعد قتله طعانا الحمصي دفاعا عن النفس، وشوّق القارئ وهيأه لترقب ماذا سيحدث للبطل، وهل سينجو نهائيا؟ ولم يغفل عن تقديم الدكتور نجيب، الذى خطط المؤلف بأن يتم الاصلاح على يديه، او عن طريقه، بصورة مباشرة او غير مباشرة، فجعله زائرا قريته الحبيبة بعد هجرة طويلة في غرانيلا، وجدّ متألم من مظاهر الاقتتال والبغض الهدامين، وحرص المؤلف على الا يلتقي الدكتور نجيب وسيما، تمهيدا لتنكره فيما بعد في غرانيلا .

لما كانت "نخب العدو" مسرحية كوميدية، فقد عزز المؤلف عنصر النكتة، وجعل تطور الحدث المتصاعد، في الفصل الثاني، يبرز ناحية مهمة عن واقع المهاجرين، وما يعانونه من كدّ وشقاء وخيبة، في كفاحهم وراء العيش . وقد فعل ذلك ليؤزم الموقف الدراماتيكي، تمهيدا لنقطة التحوّل لدى اصابة البطل بالعمى

---

(١) جعل المؤلف الفصل الاول في بيت وسيم بالضيعة، والفصل الثاني، بعد مرور عشر سنين في المهجر، والفصل الثالث في بيت وسيم الذى بدأت فيه الكوميديا .

(٢) واضح ان هذا المخطط الجيد والدقيق للفصل الاول من "نخب العدو"، يعلو كثيرا عما عرضنا للفصل الاول من "لولا المحامي" ــ وهذا الذى عنيناه لدى اشارتنا الى مثابرة سعيد طويلا على فن المسرحية، ودرسه والتمرن عليه، قبل وضع "نخب العدو".

ومعرفة الدكتور نجيب وهدى الحمصي ، حماته وعدوة امه اللدودة ، بهويته الحقيقية. وهنا يتسلم الدكتور نجيب زمام المسؤولية الاصلاحية التي اومأت اليها ، فيحتال على هدى المصرّة على قتل وسيم ، ويوهمها بأنه متواطئ معها ، وينشق وسيما ، وهو نائم ، السم المزعوم .. حتى اذا ادركت فظاعة فعلتها ، وانها قتلت صهرها ، جنّ جنونها ندما . واستفاق ضميرها ، وودت الانتحار تكفيرا عن جرمها ... فيبادر الدكتور نجيب الى انقاذ الموقف ، وتتطهر نفس هدى من تعصّبها الاعمى ، وترافق قافلة السلام عائدة الى لبنان.

وكان من المنتظر ، ان يكون في الذروة المفرحة ، وهي المصالحة النهائية بين العائلتين ، شفاء وسيم من عماه[١] ، لكن المؤلف شاء ان يردّ الفضل الى الدكتور نجيب ، فجعل اعجوبة الرؤية تنتج لدى السماع بنعيه ، ومعها النهاية السعيدة[٢].

وفّر سعيد ايضا ، لمهزلة "حفنة ريح" ، من الجهد والمران والوقت ، ما وفّره "لنخب العدو"[٣] . وعندما جعل "حفنة ريح" فصلا واحدا ، وضع نصب عينيه

---

(١) ونذكر قول الدكتور نجيب ، بعد معاينته وسيما المغمى عليه ، اثر تعرضه للعمى ، نتيجة غرق مركبه في العاصفة ، بانه يشفى من عماه ، على اثر فرح عظيم ، او حزن عظيم .

(٢) وهكذا ربط المؤلف المواقف الرئيسية الحساسة في "نخب العدو" بالدكتور نجيب ، رمز العقل والانسانية .

(٣) ان الظروف التي مهدت لكتابة "حفنة ريح" ، تطابق ما ورد من ذلك عن "نخب العدو" .. وراجع ص ١٠٠ من "حفنة ريح" ، حيث يخبرنا المؤلف جانبا عن ذلك بأن بطله وجيه ، احتكر المسرح طوال المهزلة . وانه ، وفقا لهذا الخطأ الفني الذى يتسبب في ملل النظارة ، مكث تسعة اشهر ، يفكر ويدرس ويشتغل ، حتى استطاع تنحية وجيه عن المسرح بحادثتين معقولتين .

تطبيق الاصول الفنية للمهزلة في مكان واحد ، وفترة زمنية واحدة، فلا يتوقف التمثيل او تتغير المشاهد، منذ اللحظة التي يرتفع فيها الستار حتى ينزل ... وفي انتقاده الساخر للمجتمع البيروتي اواسط القرن، جعل المؤلف الصراع بين بطله "السوبرمان" المهرج من جهة، والشخصيات الموتورة او الممسوخة من جهة ثانية، يسيرها ، بتفوقه، حسب رغبته مستعملا سلطته السحرية اللامنطقية عليها ، لتتنازل له عن كامل حقوقها ، راضية .

وفي تطوّر الحبكة، بعد عرض الموقف في الجزء الاول من المهزلة، اعتمد المؤلف على سرعة الحركة وغرابة الاحداث ، وزج الاشخاص، تباعا ، بخفة وبراعة، وكل واحد منهم يمثل نموذجا هزليا ممسوخا يختلف عن النموذج السابق له او اللاحق . وفي هذا العرض السريع ، والرشاقة في التقديم والتأخير ، وكذلك في ابراز نقائص الانسان، نتيجة قلة فهم، او بله، او سخف ، مثار للضحك والهزل[1] ...

---

(١) تبدأ "حفنة ريح" باردة بطيئة: البطل وجيه نائم او يتثاءب، والعواد البليد يدوزن عوده، و"طربوشه الخمري يغطي رأسه حتى اخمص قدميه" - (راجع وصف المؤلف) وام ظريف تعدل الغرفة بعصبية، وتعرض مشكلتها ... ثم لا تلبث المواقف الغريبة ان تتلاحق والازمة ان تشتد ، وترتفع حرارة المهزلة ... فأم ظريف سئمت الانتظار ، وهي تريد اجرة غرفتها المتراكمة، وكذلك اللحام النزق ... ومدام زعرور لا تزوج ابنتها "بدون مصاغ" .. تبكي وتشاركها ام ظريف في البكاء، ونفخ الانف بالمريول: مستحيل .. بدون مصاغ؟ الموت أهون! ويدخل الشيخ نسيب ، الوجيه، متباهيا بتعيينه في الجمرك - كل افراد عائلته موظفو دولة ... ويطل الاستاذ كعب المتحذلق في اللغة - "نعمتا صباحا يا سيدتي القعرتين" - وتجيبه ام ظريف ببلاهة: ما بعرف فرنساوى - فالحبكة سلسلة من المفارقات المتفاوتة من حيث عنصر النكتة، ولكن الفن في تنسيقها وتتابعها والتلاعب بها بحيث تترك اكبر الاثر الهزلي في نفس المشاهد ، حتى اذا بلغت الازمة اشدها ، عمد البطل الى اسلوبه الخارق "الفوق الواقعي" ، فأوهم اشخاصه ببدعته المزعومة، التي تعيدهم شبابا ، وانتصر عليهم جميعا ...

رب معترض بأن ذروة "حفنة ريح"، حيث تتجمّع الشخصيات كلها على المسرح، ويختلط الحابل بالنابل، قبيل النهاية والتصفية ـ ان هذه الذروة تتميز بالفوضى والمفاجآت غير المعقولة[١]، ولكن الحقيقة هي ان هذه الفوضى التي تنقلنا من صعيد "المحتمل"، الى صعيد "غير المحتمل"، هي من صلب الاصول الفنية للمهزلة[٢]، وان المؤلف رتبها عن قصد، لتطابق نمطه المسرحي بالذات.

اما التزام مبدأ "الفصل الواحد"، والمسرح البسيط، في "حفنة ريح"، ثم في "المنبوذ"، فليس عملا اعتباطيا غير مدروس، وانما قصد المؤلف من ورائه، على ما يخبرنا، تسهيل مهمة الاخراج والتداول الفعلي، من قبل الهواة في المعاهد والجمعيات الثقافية، المحدودة الامكانيات المادية والبشرية، فقد كان ضنينا بجهده المسرحي، ان ينتهي الى الحفظ[٣].

اما في "المنبوذ"، فيقدم المؤلف بطله، في مطلع المسرحية، انسانا يائسا صامتا، لا يبرح كرسيه، رغم ما يضطرم في نفسه من ثورة ونقمة على المجتمع الفاسد. انه رافض، لا يقاوم او يخرج من بيته لمواجهة القوى الرجعية ولا حيلة له سوى التفكير والبحث عن حل آخر لمشكلته المستعصية..

تتطور الحبكة بتقديم مواقف من التحدى وشخصيات فاسدة من شأنها ان تزيد الازمة تعقيدا وتوترا. ويستعين المؤلف بنوعين من المؤثرات: الاول ما ظهر منها

---

(١) راجع الكلام على "حفنة ريح" حيث تنتهي بزواج الاشخاص جميعا. ولعل اكثر هذه الزيجات سخرية وبعد احتمال، اقتناع الشيخ نسيب الاقطاعي المحافظ، والاستاذ كعب اللغوى المتحذلق في الزواج من الاميركيتين.. وهدية البطل وجيه لعروسه... لحما للشوى!

(٢) راجع ملتون ماركس، ص ٢٢٥.

(٣) راجع "حفنة ريح"، ص ١٠٥.

على المرسح [١]، والثانية ما سمعت اصواتها من الخارج [٢]. ولعلّ هذه الطريقة للبناء الفني في سياق الحدث المتصاعد يقصد منها تخفيف الضغط عن المسرح وتنويع المؤثرات والتحديات، وان تكن الغاية منها جميعا زيادة النقمة والتوتر في نفس البطل، تحضيرا لانفجاره في الذروة ..

ويظل جواد رافضا، يكبت ثورته الداخلية، مستلقيا على كرسيه، يتأمل التحديات التي تنصب عليه، حتى نقطة التحوّل، لدى زيارة "رفيق" الذى يدلّه على الحل لمشكلته التي بدت مستعصية، فينتمي جواد الى حزبه، ويمضيان معا، يبحثان عن المليون الضائع مثلهما ـ لقد وجد طريقه في الانتماء، وفي تحويل جهوده الفردية المبعثرة، الى نظامية موحدة [٣].

ان البناء الفني لحبكة "المنبوذ"، ناجح من حيث انه يطابق نمط "المسرحية الجدية" الذى اختاره المؤلف لها، وهي الوحيدة بين مسرحياته، حيث استعيض عن عنصر "النكتة"، لتعزيز الحوار وللتخفيف من حدة الموقف الدراماتيكي،

---

(١) راجع ص ٦ـ٩ وكيف يتسلطن عارف على ابن عمه جواد ويريه ساعته الذهبية الجديدة وشريطة الترقي، هازئا من فشله لأنه لا يتقن فنون التدجيل الضرورية في هذا العصر. وراجع ص ١٤ـ١٦. وزيارة نجلا صديقة فهيمة في الضيعة متألقة بثيابها الجميلة، وداعية فهيمة الى حياة الدعارة الوفيرة الربح ...

(٢) اصوات الحداء والرصاص ابتهاجا بعودة الزعيم الاقطاعي يوسف بك من رحلة مع زوجته الى اوربا .. وصوت نفض السجاد دليل ثرائهم مقابل الفقر الذى يهدد جوادا وعائلته ... وصوت بائع البوظة في المهرجان وطفلة جواد تشتهي اصبع بوظة وليس عنده الثمن .

(٣) يخيل الينا أن المؤلف يعاني في "المنبوذ" معاناة ذاتية من القلق والضياع والخيبة سيطرت عليه بعد عودته الى لبنان ـ راجع سيرته في تلك الفترة، وهي الفترة التي باشر فيها وضع المسرحية .

بالمؤثرات الخارجية التي اشرت اليها، وبسلوك شخصياته المنغمسة في الفساد والموغلة في تحدياتها وصراعها ضدّ البطل وبالتالي ضدّ جبهة الخير ..

وعلى الرغم من ان الحوادث والتعقيدات تتسلسل بصورة طبيعية بارعة، وتأتي الذروة والنهاية مرضيتين، نشعر معها ان المشكلة فعلا قد حلّت على أحسن وجه، الا ان اقحام موضوع حزبي عقائدى[1]، في صلب عمل مسرحي، خطر فني لا نعتقد ان سعيدا نجا منه، اذ لا يفوت الناقد ان يلاحظ شيئا من التصنع والافتعال، مردّهما عدم التحضير الكافي لهذا الانقلاب الجذرى في المسرحية، وتتابع الوقفات العقائدية بأسرع مما يمكن استيعابه في عمل مسرحي فني .

الخلاصة :

ثمة نظرية تقول: "يمكن النظر الى مجموعة مسرحيات المؤلف باعتبارها وحدة متكاملة، يعكس كل جزء منها ناحية من نواحي تطوره، كفنان او كانسان"[2].

انطلاقا من هذه النظرية، وفي محاولة لتطبيقها على مسرحيات سعيد تقي الدين نقول: ان مسرحيات سعيد السبع، المنشورة منها وغير المنشورة، تشكل وحدة متكاملة، سواء في الموضوع، او الشخصيات او الحوار، او الغاية .

---

(١) راجع: Bently Eric, Bernard Shaw, New York, 1947, p.104
حيث يخبرنا المؤلف، بان برنارد شو، على الرغم من كونه اشتراكيا فعّالا، لم يتطرق في مسرحياته الى معالجة موضوع "الاشتراكية"، باعتبارها، كالرأسمالية والقومية، غير صالحة، فنيا، للمسرح . اما متنفّس شو السياسي، فكان في مقالاته، وهو ما فعله سعيد ايضا . وقد يكون سبب ذلك عند سعيد، لكونه، ابان وضع "المنبوذ" غارقا في مسؤولياته الحزبية، ولعل من هنا عجزه عن تنقية عمله الفني، وفصله عن مبادئه القومية الاجتماعية .

(٢) راجع ملتون ماركس، ص ٢٨ .

فسعيد قبل كل شيء ذو حسّ مسرحي اصيل [١]، تلمسنا بذوره في باكورة أدبه "لولا المحامي"، التي، رغم المآخذ الفنية عليها، تظل عملا مسرحيا مشكورا لطالب لم يتجاوز العشرين من عمره ٠

ثم ان سعيدا لبناني، محبّ لوطنه، لكن حبه هذا، لم يعمه عن ملاحظة ما يشوّه مجتمعه من آفات، عاشها وتلمّس اخطارها، وتفاعلت في نفسه كانسان، حتى اذا صلب عوده وبدأ يكتب، تفاعل "الانسان" فيه "بالفنان"، فكانت مؤلفاته، وفي مقدمتها مسرحياته٠

وقد عملت حياة المؤلف في الفلبين بعض الربع قرن، وما رافقها من كفاح ومغامرة واختبار — عملت على فولذة شخصيته وتوسيع نظرته الى الحياة، ومكّنته من فنه درسا ومرانا، فجاء الانتاج الذى وضعه هناك، عنيت "نخب العدو"، و "حفنة ريح" افضل ما تركه في هذا المجال ٠٠٠ وعاد الى لبنان وقد حقق انتصارا ماديا وأدبيا، فصدمه ان المجتمع ما يزال يرزح بقيوده ذاتها، فاستبد به القلق وتاق للتعبير عما يصطرع في نفسه من خيبة وتمزّق، فكانت "المنبوذ"٠٠

فمسرحيات سعيد اذن، عبر ثلاثين سنة، مستوحاة من موضوعه الرئيسي الاول، وهو الصراع المتفاعل بين عناصر الخير والشر في مجتمعه اللبناني ٠ وقد ناضل لتنقية هذا المجتمع من العيوب المتفشية بين صفوفه، مستعملا لذلك الاصول الفنية

---

(١) راجع "جدد وقدماء"، ص٢٧١، وراجع فواد صروف، "مع الطليعة"، بيروت، ١٩٦٢، ص ١٤٢٠

الغربية المعروفة عنده، وانتقد ساخرا منكتا ٠٠ فمسرحيات سعيد ليست للمتعة وحسب، وانما تحمل رسالة اصلاحية اجتماعية، منبثقة من صميم حياتنا ، فهو اذ ينهال على المجتمع نقدا وتجريحا ، عن طريق الحوار الساخر او المثير للضحك والانشراح ، انما يرمي الى الاصلاح والتطهير٠

يبقى سؤال اخير : هل اخترقت مسرحيات سعيد تقي الدين حدودها المحلية ورسالتها الاصلاحية الاجتماعية، نحو الآفاق الانسانية الشاملة، وتعرّضت لأزمة الانسان المعاصر في صراعه مع رغباته ونزعاته الداخلية، او مع القوى الميتافيزيكية ؟

الحقيقة في رأينا ، ان مسرحيات سعيد لم تتعدّ الرسالة الاصلاحية الاجتماعية اللبنانية، وان خطوط شخصياته المحلية المألوفة، التي ارتسمت احيانا بشيء من القوة، لا يطل منها المؤلف ، الى اجواء انسانية، لذلك نعتقد ان اهميتها بحت تاريخية، نسبة الى مسرحيات عصره، ولعلّ لذلك اسبابا عديدة، منها توزيع جهود سعيد على اكثر من لون أدبي واحد ، وعدم تفرّغه الى الانتاج المسرحي ، وما نتج عن ذلك من تشتيت مواهبه المبدعة واتساع رقعة عطائه٠

ولا بد من التنويه، الى ان مسرحيات سعيد ، سدّت حاجة فنية آنية، اولا لجمعية "العروة الوثقى" في الجامعة الاميركية، ومن بعدها للمؤسسات والجمعيات اللبنانية والعربية، وهي ، فضلا عن ذلك، ذات قيمة لأنها تعكس جوانب من المجتمع اللبناني المعاصر ٠

٢ـ الاقصوصة :

في السياق الزمني الذى نسير عليه في كلامنا على انتاج سعيد تقي الدين، تأتي "الاقصوصة" في المرحلة الثانية، وقد ترك لنا ستا وثلاثين اقصوصة موزعة على أربع مجموعات، صدرت بين ١٩٤٦ـ١٩٥٤ (١) :

١) مجموعة "الثلج الاسود وقصص اخرى" (٢)، وهي احدى عشرة اقصوصة ، اسماؤها حسب تسلسلها في الكتاب، كما يلي :

١) "الثلج الاسود"، ٢) "حلم البولفار"، ٣) "الشيخ عجاج"، ٤) "التجارة شطارة"، ٥) "دون كارلوس"، ٦) "صورة ام فريد"، ٧) "حمار الصف" ، ٨) "حمود"، ٩) "شيخ القافلة"، ١٠) "الكتاب العظيم"، ١١) "الملك فرنندس".

٢) مجموعة "موجة نار" (٣)، وهو اسم الاقصوصة الاولى ، يليها على التوالي :
٢) "آلام الذكرى"، ٣) "لعنة كتاب"، ٤) "الدواة"، ٥) "الخطاب المبتور"، ٦) "البرهان القاطع"، ٧) "قهوة سوراط".

---

(١) اهمل سعيد كتابة الاقصوصة بعد ١٩٥٤، لكن عثرنا بين اوراقه غير المنشورة التي دونها بعد هجرته الثانية، على رؤوس اقلام مبعثرة، وعلى مواضيع لأقاصيص، معظمها مستوحى من بطولة القوميين الاجتماعيين خلال حوادث ١٩٥٦ ، و١٩٥٨. راجع تلك الاوراق في حوزة ابنته، وفيها يسمى الاشخاص بأسمائهم الحقيقية .

(٢) الحقها المؤلف "بنخب العدو"، مطبعة الكشاف ، بيروت ، ١٩٤٦، ص ٢١١ـ ٣٤١.

(٣) الحق المؤلف مجموعة "موجة نار"، "بحفنة ريح"، دار العلم للملايين، بيروت ، ١٩٤٨، ص ١١١ـ٢١٧.

٣) مجموعة "غابة الكافور"[١] وهي تسع اقاصيص: ١) "قفزة النهر"، ٢) "الصورتان"، ٣) "قصة غير عادية"، ٤) "القدم الناطقة"، ٥) "ضيعة الكلاب"، ٦) "الطابة الخضراء"، ٧) "ظل الصوت"، ٨) "غابة الكافور"، ٩) "والمرساة".

٤) مجموعة "ربيع الخريف"[٢] وهي ايضا: تسع اقاصيص: ١) "المرحوم"، ٢) "درمدس يتوب"، ٣) "ربيع الخريف"، ٤) "دروب موحشة"، ٥) "كنز الكوسموس"، ٦) "سمفوني"، ٧) "مذكرات صحفي"، ٨) "عقل النسوان"، ٩) "افاقة".

١. الموضوع:

لأقاصيص سعيد تقي الدين موضوع واحد، محوره الانسان اللبناني[٣]: اللبناني المقيم، في صراعه التقليدى ضدّ الاقطاعيتين، السياسية والدينية، او اللبناني المهاجر في صراعه للحصول على الثروة ــ سبب هجرته الاول . والواقع ان أقاصيص سعيد انعكاس لسيرة حياته، تطغى عليها فكرة الهجرة وما يرافقها من مغامرة وشقاء، تأرجحا

---

(١) اول انتاج قصصي للمؤلف بعد عودته الى لبنان، وقد صدرت عن دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥١.

(٢) صدرت "ربيع الخريف"، عن دار الشرق الجديد، بيروت، تموز ١٩٥٤.

(٣) باستثناء الاقاصيص الاربع التالية: ١) "الملك فرنندس"، تسخر من الفكرة الشيوعية، ٢) "قهوة سوراط"، تنتقد الطائفية، ٣) "كنز الكوسموس"، تحرّض العرب على عدم ائتمان اليهود او تصديق مزاعمهم، لانهم خونة، ولا يضمرون الولاء الا لقوميتهم وعصبيتهم . ٤) "درمدس يتوب"، تسخر من التصوّف وتعدّه رياء ونفاقا، وما براهما، الاله المزعوم، سوى فاسق متهتك .

بين الغنى والفقر ، النجاح والفشل[١]. ولعل هذه الصلات المتينة بين أقاصيص سعيد وشخصه، هي التي تمنحها هذه المميزات الفردية التي لا نجدها عند سواه[٢]، وفي مختلف مراحل حياته التي استوحى اقاصيصه منها ، تظلّ "القاف في صميمه، فهو باق فلاحا من لبنان ودرزيا من الشوف"[٣].

لكن الموضوع اللبناني العام، و"الدرزى الشوفي" على وجه التحديد ، تفاعل مع الموضوع "المهجرى"، في أقاصيص سعيد ، تفاعلا جذريا واسعا ، الى درجة انه بات من الصعب ، فصلهما الواحد عن الآخر ، وصارت معظم اقاصيصه متداخلة متشابكة، في الحادثة والمكان، بين لبنان والمهجر.

عرّف سعيد الاقصوصة "بحادثة غيرعادية محتملة الوقوع، تسرد بأسلوب

---

(١) لقد وضحت هذه الظاهرة في اقاصيص سعيد الى درجة ان بعضهم اطلق عليها اسم "أدب المهاجرين"، لأن مسرحها المهجر وابطالها لبنانيون هاجروا ... راجع سهيل ادريس، جريدة "بيروت المساء"، عدد ت ١ ١٩٤٦.

(٢) وذلك بفضل الخبرات الغنية المتنوعة التي حفلت بها حياته في مختلف مراحلها، وبخاصة في الفلبين، حيث اكتملت عدته الفنية لصقل موهبته القصصية - راجع سيرته في هذا البحث ، وراجع اوراقه غير المنشورة حيث يخبرنا انه شغف بالادب الاميركي المعاصر.

(٣) راجع كلمة توفيق يوسف عواد ، القيت من الاذاعة ضمن برنامج خاص بسعيد ، ونشرت في "الحياة"، ١٣ آذار ١٩٦٠ ويدعم هذا القول الاقاصيص الجيدة التي تصور نواحي متناقضة من الاخلاق الدرزية في الشوف. قصة "حمّود" مثلا تجسم البطولة والبأس، وتطوع البطل في المقاومة السرية مدة عشرين سنة. و "شيخ القافلة"، قصة المروءة والنخوة، وقوافل تهريب القمح بين حوران والشوف ابان الحرب الاولى ، كما وان "الشيخ عجاج" نموذج للمهاجر الاقطاعي الفاشل الذى يعيش حالما بعظمته الموهومة : "كيف حال جنابك سيدنا الشيخ !"، و "ضيعة الكلاب" تجسم التعصب الطائفي وما يجر من مواقف سوء تفاهم مصيرية.

جذاب، وتنتهي بمفاجأة حلوة، وان العنوان يجب ان يكون لغزا"[١]، انطلا قا من هذه الشروط ، ومما له علاقة بموضوع الاقصوصة نقول: ان سعيدا تقيد بشروطه، فجعل عناوينه أشبه بالالغاز[٢]، وحذّر كاتب الاقصوصة من ان يفضح عنوانه القصة[٣] أما أقاصيصه، فمعظمها حوادث "غير عادية محتملة الوقوع"، لكن الكاتب لا يتورّع أحيانا عن اجتياز نطاق "المحتمل" الى نطاق "غير المحتمل"، وتكون مهمّته عند ذاك ، الاستيلاء على انتباه القارئ، بأساليبه الفنية الاخرى[٤]، مما سنأتي على ذكره.

وغاية أقاصيص سعيد خيبة ومرارة. كلها فواجع وليس بينها واحدة تفرح القارئ او تأتي طبقا لما يشتهي او يتوقع[٥]، و"الثلج الاسود" عنوان اولى أقاصيصه

---

(١) راجع رسالة سعيد الى سهيل ادريس حول فن كتابة القصة، في معرض نقده لمجموعة "اشواق"، "حفنة ريح"، ص ٢٥١-٢٧٧. وكان قد سبق نشرها في "بيروت المساء"، عدد ٢٥ آب ١٩٤٧.

(٢) نذكر على سبيل المثال لا الحصر: "القدم الناطقة"، "ضيعة الكلاب"، "الثلج الاسود"، "موجة نار" وسواها كثير.

(٣) من امثلة ذلك انتقاد سعيد لاقصوصة "تذكار ثورة" لسهيل ادريس. فالعنوان الذى تبعه مشهد العكاز تحت ابطي الفتى، فضح الحكاية قبل قراءتها، من انها تدور حول فتى جرح في ثورة او كسرت رجله...

(٤) من اجود الامثلة على ذلك قصة "قفزة النهر"، قصة الحقد والشر بين اخوين لبنانيين، وكيف ان البطل، لفرط كرهه لأخيه "كبر عليه ان يموت قبله"، حتى اذا تحقق من موته، تلاشت القوة الخفية التي نجهلها، فانهارت الحياة في الجسد". ثم قول سعيد للطبيب الاميركي: "انا اعرف منك بطباع الجبليين في لبنان، الم تره كيف شرب ورفع ذراعيه وشد قبضتيه؟ ان سليمان حين علم ان عدوه - اى شقيقه - امسى في الضفة الثانية من النهر، قفز النهر من جديد ليخنق عدوه واخاه! !" فالقصة، مهما اعتصم المؤلف بنظرياته العلمية النفسية، تبقى "صعبة الاحتمال" لكن ريشته صورت "الانسان الشرير" في حذق وافتنان. راجع كلام جوزيف باسيلا حول الموضوع، جريدة "النهار"، عدد ٢٨ شباط، ١٩٦٠.

(٥) قد يكون من اسباب التجاء سعيد في اقاصيصه الى "النهاية الفاجعة"، ان من شروط عنصر المفاجأة الذى اعتمده في نهاياته: "كلما قويت المفاجأة وعنفت كلما كانت الغاية"، وهو اسلوب او. هنرى الذى تأثر سعيد به، كما سنرى - وراجع اوراقه غير المنشورة وفيها رؤوس اقلام منقولة عن القصاص الاميركي.

يصلح او يكاد، عنوانا لها جميعا [١]، تزرع ثلجا ناصعا فتحصد قمحا، تفتّ المسك فيطالعك القذر.. وهكذا ترى الطهر عند سعيد متوّجا بأبشع العهر وأرخصه، الجهل يحصل الثروة والسؤدد والعلم يتمرغ جوعا وذلا، والمعروف يلقى جزاء عند الناس اكلا للدين..

٢. الشخصيات:

الملاحظ ان سعيدا المسرحي سيّر ابطاله وحاورهم حسب منهجه وخطته، ولم يتدخل فارضا نفسه. اما سعيد القصاص فشخصيته تطغى على انتاجه القصصي، ولم نكن بحاجة الى ان يخبرنا عن اقاصيصه انه عاشها [٢]، لأن من السهل ان نتبيّن، بين ثنايا اقاصيصه، اجزاء حية من سيرته الحافلة بالمغامرات والمفاجآت والمتناقضات [٣]، فبديهي ان سعيدا انتزع من اختباراته الغنية وقوة ملاحظته، نماذج بشرية عديدة، لمّها من هنا وهناك ونسج منها شخصياته. فهي ليست خيالية، وانما حقيقية، تبرز أمامنا بقوة، تعيش وتفكر وتتكلم حسب النموذج الذى عينه

---

(١) تحكي "الثلج الاسود" قصة الطفلة الطاهرة التي اسرت لبّ الراوى، وهو صبي في لبنان، فلما تصدها الى مجاهل الفلبين، بالحاح من أبيه، بعد عشرين سنة، وجدها .. مومسا مبتذلة..

(٢) راجع مقدمة "غابة الكافور".

(٣) راجع اقاصيص "موجة نار"، "آلام الذكرى"، و "البرهان القاطع"، ومن الصعب جدا تفريقها عن المذكرات لاسيما وان معظم تفاصيلها وحوادثها اختبارات حقيقية صادفها المؤلف، ثم صاغها في قالب فني قصصي.

لها في الاقصوصة[١].

فسعيد تقي الدين، البطل وراء شخصياته، يفرض نفسه ويتدخل في كل شيء. ومعظم اقاصيصه يرويها "بضمير المتكلم"، وهو غالبا الراوى، وليس في استطاعة القارئ ان يعرف، ان كان يروى ذكريات ووقائع حقيقية شهدها، او قصة استوحاها من ثمة حادثة وركب اجزاءها وعناصرها، ذلك ان سعيدا يسمي الاشخاص بأسمائهم، فضلا عن براعته في التزاوج بين عناصر القصة واجزائها، مما يحيطها بهالة من الحقيقة والواقع[٢].

---

(١) اكثر ما يعزز شخصيات سعيد التصاقها بأوصاف وتفاصيل دقيقة من الحياة: من ذلك: شخصية جميل السغبيني في "موجة نار"، والتحليل الوصفي الدقيق لدى تحوله، بعد ثرائه، من شجاع مرح الى جبان كئيب... وشخصية آركوس في "آلام الذكرى" الذى كان يولم لاصحابه ويغني مع زوجته واولاده"، وكيف وقف "الراوى" على اطلال بيته، بعد ان احرقه اليابانيون، و"لم يبق من رماد تلك العائلة الا سن آركوس الذهبية!"، وتصوير شخصية "خزما" الخادمة الدرزية المتعصبة، في "الثلج الاسود" وكرهها للمسيحيين بانها، في صباح الاحد، اذ تقرع اجراس الكنائس، "تخفي رأسها تحت اللحاف، وتقذف شتائم تثقب اللحاف، وتنفذ من السقف، وتخرق قرميد البيت، ثم ترتطم بأصوات الاجراس في الفضاء فتتفجر قذائف قتالة"... وعن شخصية فرانسوا، صديقه المسيحي يقول المؤلف: "مسكين فرانسوا، لولا خزما لكان لي خلا وفيا.. "كيف كنت اهرب له الرغيف من بين حديد نافذتنا واستبدله باللوز الاخضر الذى استحله هو من بستان الرهبان" - هذه التفاصيل الدقيقة تجعل شخصيات سعيد تبدو حقيقية... وهو سؤال يظل مرتسما في ذهن القارئ.

(٢) راجع "آلام الذكرى"، حيث يستعرض الراوى مع صديقه "كيروز" البشراوى"، اهوال الحرب والدمار، فيخاطبه كيروز "بسعيد"، وتطابق الحوادث المطروحة للحالة النفسية المضطربة التي سيطرت على المؤلف في تلك الحقبة، من ثورة وسخرية وتضعضع ثقة بمصير الناس الطيبين. وراجع في "الثلج الاسود" حديث الراوى عن ابيه "محمود" عندما اسره العثمانيون ١٩١٦ ونخوة جاره سليم بك ملك من اهالي الحدث حيث سكن سعيد في تلك الحقبة - راجع سيرته في هذا البحث... اما في "الكتاب العظيم"، فشخصية الراوى تختلف عن شخصية المؤلف، فهو صاحب دكانة صغيرة في مانيلا، ناجح رغم ضآلة علمه، والبطل الحقيقي هو جاره "سامي حميدان" المتعلم الطموح، والفاشل في التجارة، وهذا بالحقيقة اقرب الى شخصية سعيد.

ويمكننا ان نقسم شخصيات اقاصيص سعيد الى قسمين رئيسيين، استلّ ابطاله منهما: الشخصية اللبنانية الجبلية، والشخصية اللبنانية المهاجرة.

١ـ الشخصية اللبنانية الجبلية ، هي في الاصل درزية من الشوف ، اسبغ عليها المؤلف كل ما عرفه في ابناء طائفته ومنطقته من شجاعة ونخوة وكرم، مع طاقة غريبة من القناعة وتحمّل الجوع باباء وصمت(١). وهناك الشخصية الجبلية اللبنانية التي تعيش تقاليدها وعاداتها الموروثة، جيلا عن جيل، الجيد منها والفاسد: كالتقاتل بين ابناء الطائفتين، او الزعامتين الاقطاعيتين، في القرية الواحدة، او كالتعبّد للارض والتفاني في خدمتها حتى اذا أدّى ذلك الى خيبة، وكحسن الضيافة للغرباء، وكمحبة العلم، وتهافت

---

(١) راجع "حمود"، نخب العدو ،ص ٢٨٢، قصة المجاهد البطل الذى امضى عشرين سنة محاربا متطوعا، ضد الفرنسيين في السويداء. وفي ثورة فلسطين.." ذلك الفتى العنترى، الهادئ الجبار، المتضع اللطيف السكوت، الذى يقبل ايدى المتقدمين بالسن، ويوزع التين واللوز على الصغار.." ـ وكيف ان الكل يتحدث عن بأسه ومروءته الا هو فيتحدث عن بطولة سواه. وفي طريق عودته الى بعقلين، يلتقي وحيده، فاذا هو متفرنج في ثيابه وسلوكه، مائع الاخلاق، وقد باع "القليعة" وبيت العائلة واشترى سيارة يشتغل عليها بين بيروت وزحلة، فيقفل حمود راجعا في تنكره، متحملا بصمت هول الصدمة.
وراجع "شيخ القافلة"، المصدر نفسه، ص ٢٩٣، وهو البطل ابو سليمان الذى دفعته نخوته اثناء الحرب الاولى ، الى تجنيد ثلاثين فتى من الشوف ، لتهريب الحنطة على دوابهم من حوران الى منطقته المهددة بالمجاعة، وكيف مرّ في عودته ليبيت ليلته عند صديقه "أبي حمد"، فلاحظ من غياب ام حمد والشمعدان الغضي هدية ابنه من المكسيك، وكذلك من الحاج ابي حمد عليه بالطعام دون المبادرة الى احضاره ـ لاحظ ان صديقه في عسر وليس عنده خبز (يخبرنا سعيد ان الحاح المضيف الدرزى على ضيفه بالاكل معناه عدم وجود الاكل، ولياقة الضيف تقضي بالتمنع والاعتذار) وكيف نسي ابو سلمان ما تكبده من شقاء وبرد ومخاطرة ، وتسلل مع دابته، في ظلام الليل، تاركا حمل الحنطة والعدس لابي حمد.. حتى اذا وصل الى بيته في بعقلين، اخبرته ام سلمان عن زيارة ام حمد لها، وكيف ساعدتها، فيما تيسر ، رافضة شراء الشمعدان او رهنه: "ولو.. الدنيا قرضة ووفا!"

الآباء على تعليم اولادهم، حتى ولو دفعوا حياتهم ثمنا [١]...

٢ـ <u>الشخصية اللبنانية المهاجرة</u>: وهي واضحة المعالم في اقاصيص سعيد، وتعكس اختباره في المرحلة الناضجة من حياته في الفلبين، وشخصياته اما عرفهم وعاشرهم، او تعامل معهم او سمع عنهم. اكثرهم رجال اعمال، من كل نوع. هناك شخصية الجبلي الذى هاجر بعدّة هزيلة، علما واختبارا، وشقي كثيرا وجاع، حتى اذا تهيأت له ظروف معينة واصاب ثروة طائلة، تعقّدت شخصيته وتراكمت الهموم عليه، وأصبح رهن كآبة وسوداء، "أحقا ان عذاب الاماني تبقى عذابا حتى تحقق فتفسد؟" [٢]، كأنما اللذة كلها في التطلع واللهاث، في الجهاد وبصق الدم على الطريق [٣].

---

(١) راجع "المرساة"، غابة الكافور ص ١١٩. قصة الجبلي الفقير خطار الشعراوى، واعتداده، سلفا، بابنه سمير الطفل ونبوغه، وكيف كان يحلم له بمستقبل باهر وبشهرة واسعة.. حتى اذا رفضت مدرسة القرية قبول سمير مجانا لسبب وجود ابيه قيد الحياة، لم يتوان الاب عن الانتحار، حتى يصبح ابنه يتيما فتقبله المدرسة، فكان "كالمرساة تغرق نفسها ليستقر سواها" ـ والجدير بالذكر ان سعيدا يعتبر "المرساة"، راجع "رياح في شراعي"، ص٢١٨ الاكبر نصيبا، بين اقاصيصه، من استحسان القراء. وراجع "المرحوم"، ربيع الخريف ص ٧، وتروى قصة الفلاح ابي توفيق حمد وتعبّده للارض، وعيشته الكادحة المتقشفة ليؤمن مستقبل وحيده توفيق.
ولاحظ عداء الناطور لابي توفيق حسدا وكراهية، وكيف يمضي يلفق عنه الاكاذيب لتشويه سمعته بين اهل القرية، ورغم النهاية الفاجعة، بسبب خذلان ابنه اياه من جهة، وعداء الناطور وتألب الناس عليه من جهة ثانية، يظل ابو توفيق صابرا صامدا، دون ان تخرج من فمه كلمة تجديف او كفر...

(٢) راجع "موجة نار"، حفنة ريح، ص ١٣٥.

(٣) راجع، المصدر نفسه ص١١٣، وتحكي قصة جميل السغبيني، القروى الساذج المعروف في بلدته بعلبك "بالمعّاز" والذى كان ايام فقره، متفائلا سعيدا مع زوجته وطفلته، حتى اذا تدفقت عليه الثروة بعد الحرب، تغيرت طباعه فصار كثير الحسابات يقتر على نفسه، ولا يجد في مظاهر الفخفخة المحيطة به الا التعاسة والغم والعبوس الدائم. فقرر ان يتبرع بكامل ثروته لعمل الخير، لعله يستعيد، مع الفقر، سعادته الاولى. وعندما احضر سكرتيره الشك للتوقيع، جبن جميل
= يتبع

وهناك شخصية المهاجر المتعلم الذى لا يستفيد من علمه ويظل فريسة اوهامه، منتهيا الى الانتحار[(١)]، او الذى يعمل ويجدّ ليحقق حلمه، حتى اذا اثرى طعنته صدمة في الصميم، فأصيب بمس في عقله، او عاد يعيش سلبيا خاملا[(٢)] ...

وهناك شخصية المهاجر المغامر الصلب، الذى مهما قست ظروفه وتقلبت احواله، بين الغنى والفقر، الحياة والموت، فهو لا ينهار، ويظل يرى، من خلال مصيبته، بصيص أمل[(٣)].

= يتابع-عن توقيعه، فتكوّرت اصابع يده اليمنى ويبست، ولم يستطع الطب شفاءه، فصارت حياته متقلصة يابسة، كيده.

وراجع "لعنة كتاب"، "حفنة ريح" ص ١٣٩، وتحكي قصة ابراهيم جوهر، صديق "الراوى" خمس عشرة سنة، والذى كان يشاركه الايمان بالمثل العليا التي تعلمها معا، والمجسدة في كتاب "مجاني الادب". وفيما المعارك حامية في مانيلا بين الاميركيين واليابانيين، والمؤلف قلق على مصير صديقه، يقبل ابراهيم مع رفيق له من الجيش الاميركي، علمه ان التجارة اصل كل شيء في هذا العصر .. ويصيبه التحول النفسي ذاته، فيتنكر للمثل التي ترعرع عليها، ويندفع يتاجر بمخلفات الجيش وباحتكار الادوية، ولكنه يفقد سعادته ومرحه، ولا تخلصه ثروته الخيالية من التعاسة فالموت.

(١) راجع "الكتاب العظيم"، نخب العدو، ص ٣٠٣. وبطلها الشيخ سامي حميدان الفاشل في تجارته بمانيلا، رغم علمه. وكيف انصرف عن تجارته الى وضع "الكتاب العظيم"، وارسله الى هوليبود، ثم ادعى ان شركة سينمائية ابتاعت كتابه بمبلغ ضخم، وراح يوزع التشيكات على الناس ليشركهم في سعادته. وتبين بعد انتحاره، بأن الشركة، في الواقع، اعادت له الرزمة ولم تقبلها كما ادعى.

(٢) راجع "دون كارلوس"، نخب العدو، ص ٢٤٤، وبطلها الملقب "دون كارلوس". جمع الثروة ورجع الى البلاد ليتزوج فتاته ــ حلم صباه ــ فاذا هي مشوهة الجسد والروح، زوجة لحام علج، فكرّ راجعا لينزوى في جزيرة نائية في الفلبين، وقد اصابه خبل وصار خاملا متوحشا يعيش مع زنجية مخيفة عيشة بدائية. ويتشبث بتذكار صغير يشده الى حياته الاولى، مجموعة مجلة "الضياء" التي كان يطالعها مع فتاته.

(٣) راجع "دروب موحشة"، ربيع الخريف، ص ٤٥، وبطلها هو المؤلف في جميع صفاته، الحقيقية من ثورة ومغامرة وطموح .. وازمات لا تنتهي الى اليأس والانتحار والجنون، بل ان الظروف تمهد له حلما جديدا .. ويخبرنا سعيد عن "دروب موحشة"، بانها ليست مذكرات، بل "حوادث جرت لي" ــ ونتثبت من صحة ذلك لدى المقارنة بينها وبين سيرة حياته في هذا البحث، الا ان الاسلوب الفني الذى صيغت به وتصنيف المؤلف اياها "كأقصوصة" ــ اولا في "لولا المحامي"، طبعة ثانية، ١٩٥٠، ثم ضمن مجموعته "ربيع الخريف"، دليل على انه يعتبرها اقصوصة، ولولا ذلك لكان ضمها الى مقالاته اللاحقة وفيها الكثير من المذكرات.

نخلص الى القول: ان شخصيات اقاصيص سعيد، كما لاحظنا من هذا العرض السريع، نماذج بشرية معقّدة، ينفذ اليها من خلال الحوادث والسلوك، وأبطاله الواقعيون هم ايضا غريبون، وهو يكتفي بأن يعرى لنا نوازعهم ودوافعهم العميقة التي تكمن وراء حركاتهم وسكناتهم، دون ان يلتزم موقفا معينا[١]. وأبطاله الذين ينطوون على هذه الازمات انسانيون رغم محليتهم او لبنانيتهم، في الوطن او المغترب[٢].

٠٣ الحبكـة :

وضع سعيد تقي الدين شروطه لحبكة الاقصوصة او بنائها الفني، نقتطف منها ما يلي[٣] :

---

(١) راجع " دون كارلوس "، نخب العدو، ص ٢٤٤، وكيف يحلل المؤلف اسباب العيشة البدائية المزرية التي انتهى اليها صديقه المتعلم، نتيجة صدمته من زواج حبيبته من اللحام .. لكنه – اى المؤلف – لا يبدى رأيه في هذه الحالة الشاذة التي أتاحت له المصادفة – وهي غرق مركبه قرب جزيرة دون كارلوس – فرصة الوقوف على اسرار فاجعته وتفاصيلها .
وراجع " افاقة "، ربيع الخريف، ص ١٢٥، قصة الخرافات الهدامة في القرية اللبنانية ورد الشلل في يدى ابي عصام الى سعدى النورية، " التي لا تنزل بالضيعة مصيبة الا وتكون سببها " – يعرض المؤلف الموقف الخرافي السلبي بوصف واقعي، حديثا نسائيا على العين، .. ويظل هو متنحيا لا نعرف رأيه .

(٢) راجع " ظل الصوت "، غابة الكافور، ص ٨٧، وهي مقابلة واقعية وعميقة بين الدرزى الجويّد أبي عباس، ناطور الضيعة، والمرابي الجشع البخيل حمدان بك، وكيف يتحول هذا الاخير، في لحظة انسانية صافية، الى طريق الصلاح، " جويّدا يثأر للناس من نفسه، بأن يقهر نفسه " – فالبطلان، رغم تناقضهما ومحليتهما، ينطويان على الكثير من العمق الانساني .
وراجع " المرساة "، غابة الكافور، ص ١١٩، وتأمل ذلك الاب القروى الفقير، الذى يذهب الى أبعد حدّ من نكران الذات، فينتحر ليوفّر لابنه " اليتيم " العلم المجاني.

(٣) راجع رسالة المؤلف الى سهيل ادريس حول مجموعته " اشواق "، وفيها يعرض مفهومه للاقصوصة الناجحة، " حفنة ريح "، (ص ٢٥٤–٢٧٠) وكان قد صدر لسعيد مجموعتا " الثلج الاسود " و " موجة نار ".

ـ البداية يجب ان تكون جذابة " تلصق عيني القارئ بالكلمات، فلا تستطيعان الزيغان عن الصفحة ".

ـ على القصاص ان يسرد حكايته بأسلوب متسلسل جميل، يعززه: ١) رشاقة الدّس ـ اى " دسّ الحوادث التي يريد ان يستغلها بين كثير من الحوادث بحيث ترسخ في عقل القارئ الباطن من غير ان ينتبه اليها، ليعود ينتشلها بقفزة. ٢) العناية بالتفاصيل ـ ضرورة مطابقتها للواقع، "عن طريق زج القارئ في واقعية الحوادث وجغرافية الحكاية، فينسى نفسه ويساق مع القصاص مصدقا روايته"..

ـ والنهاية المفاجئة الصاعقة.. " لتكن النهاية قنبلة تفجر بين عيني القارئ"، " فالنهاية الجيدة المفاجئة تنهض بالقصة من الجميل العادى الى الابداع".

هذه خلاصة الشروط التي حاول سعيد تطبيقها في حبكات أقاصيصه، فلنر الى أى حدّ وفق الى ذلك.

١) البداية ـ ان بدايات أقاصيص سعيد أشبه بالمقدمات الجذابة، تطرح جانبا من المشكلة المراد معالجتها، وتشوّق القارئ على لمتابعة قراءته، لمعرفة ماذا سيحدث[(١)]، وهو فنّ مارسه المؤلف بفهم منذ اول أقاصيصه "الثلج الاسود". حتى

---

(١) راجع " ربيع الخريف"، ربيع الخريف، ص٣٣، وتقديم المؤلف للكهل المتصابي حيث يقول: " من المضحك ان تسميه غراما، ومن الاعتداد قولي انها شهوة جنسية جمحت. فأنا فوق الخمسين، هادئ هادئ، أحب الدكتور شختوريان لأن مهارته نجحت في دس اسناني الاصطناعية بين الاسنان الطبيعية القليلة الباقية، وراض عن رامز عدنان الصيدلي فقد كان صادقا حين قال لي ان صبغة الشعر التي باعني اياها لا تحلّ..."
وراجع " مذكرات صحفي " في المجموعة نفسها " ربيع الخريف"، ص١٠٣، ومطلعها

== يتبع

آخرها "افاقة"، ولم يغب عن ذهنه هذا المبدأ الهام كشرط اول للحبكة الناجحـــة ، لكن الملاحظ ان البداية،في اول عهده بالاقصوصة، كانت أكثر استرسالا في الانشاء الوصفي التقليدى[1] ، وأقل اقتضابا من بداياته اللاحقات،كالتي اوردت مثالين عنها .

= تابع=كما يلي : "هذا كثير يا بني . تريد ان تعطيني نصف ليرا ، فأعطيك صحن فــول، ورغيفين، وبصلة، والملح ، وكل ما تقدر ان تبتلعه من الماء؟ وقد اغفل فتمــلأ جيبك بالمساويك : وفوق كل هذا تريد ان تسمع مني كيف صرت فوّالا ، وهجرت الصحافة..؟" بهذه البداية المختصرة وضع المؤلف قارئه في موقف مشــوق لمتابعة القراءة.

(١) راجع "الثلج الاسود"، نخب العدو ، ص ٢١١، وبدايتها رسم القرية المسيحية في لبنان، لينفذ منها الى فعل الطائفية الهدامة. لاحظ الفرق بينها وبــين البدايتين السابقتين من مجموعته الاخيرة : "تلك المنازل التي تطربشــت بالقرميد الاحمر الا تزال هناك ؟ اما تزال جالسة بين جنائن ساحل لبنــان ، كأنها قصدت الى تلك المغاني لأجل النزهة ، فاغوتها الخمائل، فضربت بينها "سيرانا" ؟ الا تزال منتشرة بين تلك البساتين؟ الا يزال اسمها "الحدث"؟ الا تزال طفلة صغيرة متعلقة بأذيال امها "بيروت"؟ أهي حتى اليوم تحتفــل بالكنائس وترن في آحادها الاجراس؟ الخ ..." ـ لاحظ الاسلوب الوصفــي الشعرى الذى لم نعد نلمحه في بدايات اقاصيص سعيد ، في انتاجه اللبنانــي المتأخر، كما بينا .

وراجع "البرهان القاطع"، حفنة ريح ، ص ١٩٣، حيث اراد المؤلف في بدايتها ان يرسم الضائقة الاقتصادية التي هيمنت على اهالي مانيلا ، ابان الحــرب الطاحنة بين الاميركان واليابانيين، فيبدأ المؤلف على هذا النحو: "بعــد السلام والكلام اسمعني تلك العبارة من جديد ، فامسكت بكلتا يدى قميصه من تحت عنقه وهززته هزا عنيفا رجرج نظارتيه وصحت : ـ انطق بهذه العبارة مرة ثانية تر نفسك مضطجعا على مخمل هذا الرصيف تعدّ نجوم السماء فــي هذه الظهيرة... ولقد كنت فظا قاسيا على مخاطبي ، ولكنها عبارة سمعتها من كل اليابانيين. اذ طفت الشوارع والمتاجر اطلب واتداول مع اصدقائي ومعارفي في شؤون تحصيل الرزق . وكانت كل محادثة تبتدئ او تنتهي بنفس العبارة : ـ "افتح خمارة" ـ كيف افتح خمارة وقد ولدت وشببت فــي بعقلين، تدوى في اذني كلمة "حرام". بلى ، حرام ان تقبض "فائظا" علــى دين، حرام ان ترمي بكسرة الخبز ، او تنفق من معاشات الحكومة او مــن دفعات المهاجرين. حرام ان تدخن سيكارة او تفوه بشتيمة ـ كل شيء حرام الا عبادة الله، وقهر النفس، وحراثة الارض...". فالبداية جذابة لكــن المؤلف تجنب في بداياته اللاحقة، كما لاحظنا ، هذا الاسترسال في الوصف.

وعن تسلسل الحبكة، فقد لجأ سعيد الى أسلوب جذاب سهل، وبرهن عن قدرته على حبك الحوادث وتصوير الاشخاص والحالات حبكا وتصويرا يتناسبان مع الواقع المحسوس(١)، وعلى رشاقته في دسّ الحوادث التي يريد ان يستغلها فيما بعد، بين كثير من الحوادث الاخرى، بحيث ترسخ في عقل القارئ الباطن من غير ان يتنبه اليها(٢)، ليعود ينتشلها بقفزة ـ تلك هي خاتمته المفاجئة التي يعوّل

---

(١) راجع كلامنا في هذا الفصل على شخصيات الاقصوصة وكيف جعل المؤلف الصور الواقعية المحسوسة ركيزة لرسم ملامح شخصياته. راجع في "الثلج الاسود"، كيف كان الراوى "يهرب لصديقه فرانسوا رغيف الخبز من بين حديد النافذة ويستبدله باللوز الاخضر الذى استحله هو من بستان الرهبان" ـ وراجع "آلام الذكرى"، كيف وقف الراوى على اطلال بيت صديقه آركوس الذى احرقها اليانيون: "ولم يبق من رماد تلك العائلة سوى سن آركوس الذهبية"..

(٢) راجع "الثلج الاسود"، وكيف اخبرنا الراوى عن حادثة أسر العثمانيين لأبيه، ان آخر ما يذكره، الطفلة الحلوة جميلة ابنة سليم بك ملك الذى دسّ في يد ابيه صرّة من الذهب ليستعين بها على رشوة العثمانيين ـ ومطالبة جميلة عمو محمود بالشوكولا ... حتى اذا كتب له ابوه، بعد عشرين سنة، يعلمه بأن جميلة تزوجت وتسكن الفلبين، وطالبه بزيارتها ورد فضل ابيها عليه، اسرع الى العنوان يحمل لفة من الشوكولا ... فوجدها مومسا .. فصورة جميلة الطاهرة المنطبعة في ذهن القارئ، استبدلت فجأة بنقيضتها، صورة فاسقة تتعاطى الدعارة، وهي صدمة هائلة، وخاصة لشاب درزى من الشوف .
وراجع، من الانتاج الاخير، "ربيع الخريف"، وكيف يصور الراوى، وهو كهل متصاب، دعابه الفكاهي على حساب امين الصندوق زميله في العمل فهد البحار، واصفا ما اشتهر عنه من البخل والميضعة، وارتعاده من التحدث الى النساء او معاشرتهن .. وان الكارثة كانت تحلّ به عندما تأتي زوجة المهندس موسى، لتقبض معاش زوجها المتغيب، فيعدّ لها المال متبرما مرتجف اليدين، وما ان تنصرف حتى يهرع فهد اليه (الراوى) كأنه نجا من حادثة اصطدام، فيصيبه من هزئه به ما هو اشد من الاصطدام .
وتنشأ علاقة غرامية بين الراوى وزوجة المهندس، وتسير الامور على احسن ما يكون، الى ان تضطره اعماله الى مغادرة المدينة لبضعة ايام، لكنه يرجع قبل الموعد المحدد، ويقصد بيت صاحبته فلا يجدها، فيتوجه الى السينما ... وعندما تنار الاضواء في فترة الاستراحة، يكتشف ان صاحبته برفقة فهد، ويدها في يده ! فالمؤلف، في دسّه الرشيق، ابعد عن ذهن القارئ كل امكانية لمغامرات غرامية يتورط فيها فهد، حتى اذا اطمأن الى سير الحوادث في الاتجاه المرسوم لها، فاجأ القارئ بسخرية لاذعة بما لم يكن يتوقعه، من ان فهدا يمارس مغامراته الغرامية ككل الرجال .

المؤلف عليها لرفع مستوى الاقصوصة، والتي يريدها، "قنبلة تفجّر بين عيني القارئ".

ويعزز حبكة الاقصوصة عند سعيد تأثير المصادفة على الاشخاص، والنكتة الساخرة التي كثيرا ما ترافق المفاجأة العنيفة، في الخاتمة[١].

وكذلك يعد سعيد في طليعة القصاصين العرب الذين عنوا بالتحليل النفسي كوسيلة لتفسير الظواهر الغريبة الطارئة اثناء تسلسل الحبكة[٢].. وتقوم طريقة سعيد

---

(١) راجع "البرهان القاطع"، "حفنة ريح"، ص ١٩٣، وكيف يرسم المؤلف الضائقة المالية في مانيلا وشدة اهتمام الراوى لايجاد شغل مع الجيش الاميركي المحتل. وبعد الكثير من المفاوضات، يوافق الماجور على منحه وظيفة شرط الاتيان بالبرهان القاطع على انه حقا من خريجي الجامعة الاميركية ببيروت، كما ادعى .. ويعجز الراوى عن تقديم ذلك البرهان، ويكاد ييأس .. حين نفاجأ في آخر السهرة بقهقهة الماجور وقوله للراوى: ـ "لقد ظفرت بالوظيفة، وهاك البرهان القاطع... الظاهر أننا تبادلنا المشمعين، فحين مددت يدى الى جيب المشمع وجدت هذه." ـ وأخرج تلك الملاعق الاربع التي كان الراوى قد استملكها من المطعم...
فالمؤلف دس بين الحوادث خبر شراء مشمع جديد له من الكانتين، واخبرنا انه والماجور من القياس نفسه، ليجعل فكرة تبادل المشمعين بينهما مصادفة محتملة، وليفاجأ بالنهاية البارعة المنكتة، التي ترتكز على شهرة خريجي الجامعة الاميركية في سرقة الملاعق من المطاعم.
وراجع "آلام الذكرى"، المصدر نفسه ص ١٣١، حيث يستعرض الراوى مع صديقه كيروز ذكريات الحرب المؤلمة، وهما واقفان على اطلال بيت آركوس، صديقهما المرح الذى احرقه اليابانيون. واذ يشرد كل منهما بأفكاره نفاجأ بكيروز ينطق بعد صمت طويل: "سعيد .. لو ان ماركوس حي!" ـ ويفرح الراوى لأن صديقه البشراوى، ابن ارز الرب فاه بهذه العبارة الشعرية الموحية التي عجز هو عن الافصاح بها، ويستفهم منه: "اجل يا مخيبر، لو ان آركوس حي؟" فتأتي النهاية المفاجئة المضحكة ـ "لو ان آركوس حي، لكنا ركبنا الليلة طاولة بوكر!!"
فالمؤلف دس بين الذكريات خبر اجتماع الرفقة في بيت آركوس للعب البوكر، لكنه ألحّ على نخوة مخيبر وطيبته فأوهم القارئ ان على لسانه حكمة عميقة من وحي الموقف الرهيب، فجاءت المفاجأة الساخرة المضحكة كقنبلة فجرت بين عينيه.

(٢) راجع "موجة نار"، حيث يعلل المؤلف سبب التقلص الذى أصاب يد جميل السغبيني، على انه الجبن ـ لكونه جبن عن توقيع التشك بكامل ثروته لعمل الخير.
وراجع "عقل النسوان"، "ربيع الخريف"، ص ١١٣، وكيف يعلل المؤلف جنون غسان، نتيجة لازمته النفسية والمالية، ولاضطراره الى بيع خاتم زوجته الثمين ـ وهو آخر ما يملك ـ لتسديد الديون المتراكمة، فيما زوجته في المستشفى تعاني سكرات الموت... وكيف عنفته على تبذيره، في شراء الخاتم، منذ عشرين سنة، ثم قالت: "لا بأس، قد نحتاج الى المال فنبيعه".

في السرد على ان يبدأ في المشهد الرئيسي ، ثم يعود الى الوراء مستعرضا الحوادث والمصادفات التي أدت الى تلك النهاية المرسومة . وفي انتاجه القصصي اللاحق ـ عنيت " غابة الكافور " و " ربيع الخريف " ، لوحظ تفنن المؤلف في الربط بين مطلع الاقصوصة وخاتمتها ، كأن يكرر العبارة نفسها في الاول وفي الاخير ، على انها خلاصة ما يرمي اليه(١) ، مع شيء من التغيير " او التفنن ، وهي صنعة حذقها سعيد .

يجمع الكثيرون بين الذين تكلموا على أدب سعيد تقي الدين ، بأن الاقصوصة عنده تمتاز على الوانه الأدبية الاخرى ، وان الابداع الذى قد يكون فاته في المسرح لم يفته فيها(٢) ، ورغم ان المرامي البعيدة لاقاصيص سعيد ذات قاسم مشترك هو الانسان

---

(١) راجع "غابة الكافور" ص ١٠٩ ، وبدايتها كما يلي : "لا . لا ياصديقي . نحن هنا ولن نبرح هذا المكان . لك ان تعجب كيف انطويت على نفسي وصار يخيفني ان ألقى الناس. أنبئني ما تريد . تغن بجمال هذه العشية ما شئت فلن تغريني بمغادرة المنزل" ... وبعد ان يكشف الراوى سرّ انطوائه على نفسه ، ويروى ظمأ القارئ الى معرفة اللغز الذى يحوم في رأسه ، ينهي اقصوصته كما بدأها ، بفارق العبارة الاخيرة : " لا ، لا يا صديقي ، نحن هنا ولن نبرح هذا المكان . تغن بجمال العشية ما شئت فلن تغريني بزيارة ضاحية المدينة . لقد انطفأت سيكارتك من جديد . اشعلها . علبة الكبريت الى يمينك . " ، وهو فنّ حذقه سعيد كما نلاحظ . وراجع " المرحوم " ، ربيع الخريف ، ص ٧ ، يبدأها المؤلف كما يلي : " من عادة اهل الشوف في لبنان ان يذكروا الميت الا بخشوع ، فهو على شفاههم " المرحوم " قبل اسمه . وهم ، فيما يصلون على جثته ، قبل دفنها ، يعددون مزاياه ويبتهلون : رحمه الله " .
وبعد ان يحكي قصة ابي توفيق حمد المزارع الطيب المتعبد لارضه ، وفعل المصادفات وحقد الناطور عليه في تشويه سمعته بين اهل القرية ، يختم الاقصوصة كما يلي : " من عادة اهل الشوف في لبنان ان لا يذكروا الميت الا بخشوع ، فهو على شفاههم " المرحوم " قبل اسمه . اما صاحب " كرم الهدهد " فهو ان ذكروه : ابو توفيق حمد الساقي ، وما هو ب "المرحوم " .
وراجع " المرساة " ، غابة الكافور ، ص ١٢٠ ، التي تبدأ برسالة وتنتهي برسالة .

(٢) راجع سهيل ادريس ، " البناء " ، ١٤/ ٥/ ١٩٦٠ ، ونذير العظمة ، " البناء " ، ١٠/ ٢٠/ ٦٠ ، وجبرائيل جبور ، " البناء " ، ٢٠/ ٣/ ١٩٦٠ ، وجوزيف باسيلا ، " النهار " ، ٢٨/ ٢/ ١٩٦٨ .

اللبناني ، المقيم والمغترب، فان القارئ لا يشعر بالتكرار، او باجترار الافكار او النماذج البشرية وانما يدهشه من الكاتب سعة خياله، وهذا التناسق بين عناصر القصة، من فكرتها الرئيسية، الى حوادثها وأبطالها ، وبنائها الفني ، وغناها الانساني ، وقدرة المؤلف على استعادة التفاصيل الدقيقة وتناول الموضوعات من زوايا مختلفة، وسبكها في أطر جديدة وحبك متقنة، ومن هنا استحق ان يعد بين المجيدين ممن عنوا بالاقصوصة العربية في هذا العصر(١).

ويقوم نجاح سعيد في الاقصوصة على ركيزتين: الاولى موهبته الشخصية الاصيلة، والثانية دراسته للاداب الغربية وسعة اطلاعه عليها ، وبخاصة الادب الاميركي الحديث(٢).

ولا يفوت الناقد ان يلاحظ بوضوح تأثر سعيد تقي الدين، في اقاصيصه ،

---

(١) راجع توفيق يوسف عواد ، "الحياة"، ١٣/ ٣/ ١٩٦٠ وقد سمّى سعيدا "مارد القصة". وراجع سعيد عقل، "الجريدة"، ١٨/ ٢/ ١٩٦٠ وقوله: "قصصه قصص المستوى، مبنية بثقة اشبه بهيكله الواثق" ـ اما سعيد تقي الدين نفسه، فيخبرنا ، بأسلوبه المتأرجح بين الجدّ والهزل، في "رياح في شراعي"، ص١٧، ان الاقصوصة لم يكتبها في العربية سواه، وان اكثر اقاصيصه عالمية خالدة.

(٢) راجع في هذا البحث ، الكلام على دروسه في الجامعة الاميركية ١٩٢٣ـ١٩٢٥، من كتالوج الجامعة الرسمي . وراجع "الدفشة الكافة" (مخطوطة) . ملحق "أنا والتنين"، كولمبيا ، ١٩٥٩، وفيها يقول سعيد : "اغرمت باللغة الاميركية، عنفها ، نقاوتها ، عافيتها ، فكاهتها ، وفورانها ... طالعت من صحفهم ومجلاتهم القناطير. افهمهم كما افهم اهالي بعقلين". ويؤيد قول سعيد ايضا ما جاء في اوراقه غير المنشورة من رؤوس اقلام وعبارات بالانكليزية، كان المؤلف يدوّنها للافادة منها في أقاصيصه، وفيها ذكر للقصاص الاميركي او. هنري الذى لمعت شهرته كقصاص في مطلع القرن، وصدر معظم انتاجه سنة ١٩١٠ ـ هذا وقد اخبرتنا ديانا تقي الدين بأن اباها كان شديد الاعجاب باو. هنري وكثير المطالعة لاقاصيصه.

باو· هنري احد اشهر "كتاب الاقصوصة في اللغة الانكليزية"[1]، ومن اوجه الشبه العديدة التي لفتت انتباهنا ،ان سعيدا ،كالقصاص الاميركي الثائر ، استوحى اقاصيصه من حياته الغنية الاختبار، والكثيرة التقلب بين الغنى والفقر ، والنجاح والفشل، وان هذه الاقاصيص تميزت بكونها عنيفة وجديدة، تعتمد النكات الساخرة والمفاجآت غير المرتقبة، ولا سيما في النهايات "الفاجعة"[2]، هذا فضلا عما استوقفنا من شبه بين الكاتبين، سواء في المزاج او في طريقة الكتابة، فسعيد يشبه او· هنري بقدرته على التقاط الصور والانطباعات وتصويرها بدقة· وكان يستوحي اقاصيصه من مشهد قصير مؤثر ، ويسجل افكاره وملاحظاته على ورقة، ويبني منها أقاصيصه··· فضلا عن حبه للمغامرة ولعشرة الغرباء والرعاع، ليوحوا اليه بأفكار انسانية ينسج منها أقاصيصه[3]

---

(١) راجع مقدمة : Porter, W.S., The Complete Works of O. Henry, Garden City Publishing Co., N.Y., 1937.

(٢) راجع المصدر نفسه، حيث يخبرنا بورتر ، بان الابداع في اقاصيص او· هنري قائم على نكتة غير الاعتيادية والمفاجآت غير المرتقبة وفي اسلوبه العنيف الجديد وثورته على الانماط والاطر القديمة ـ ونهاياته "الفاجعة"··

وراجع : Jennings, Al, Through The Shadows With O. Henry, H.K. Fly Co., N.Y., 1921, p.315

حيث يخبرنا المؤلف ان حياة او· هنري حفلت بالمغامرات وكانت تفزا، بين الغنى والفقر ، النجاح والخيبة···"

(٣) راجع المصدر الاخير، ص ٢٩٠ـ٢٩٥· فهذه الاوصاف التي ورد ذكرها لدى الكلام على سيرة المؤلف او اقصوصته، تطابق ما اورده جينغز عن صديقه او·هنري الذى كانت له "القدرة على التقاط الصور والانطباعات وتصويرها بدقة" ص ٢٩٠ ، "وكان مشهد قصير مؤثر ، يوحي اليه باقصوصة"، ص ٢٩٢، واذا خطرت له فكرة، سجلها على ورقة"، ص ٢٩٤، وانه كان يحب عشرة الغرباء والرعاع ليوحوا اليه بأفكار انسانية ينسج منها اقاصيصه"، ص ٢٩٥ ـ وراجع "رياح في شراعي"، ص ٨ حيث يقول سعيد معبرا عن هذا المعنى : "خذ كل كاتدرائيات الدنيا وروائع فنانيها، وابقني قريبا من هذا البويجي ، اتحدث اليه وأتلمس خفايا نفسه· الدنيا كلها هذا الانسان الحي ، وما سواه لا يهمني·"

يؤخذ على اقصوصة سعيد عدم انطلاقها خارج الاطار اللبناني، الى آفاق أخرى، تعبيرا عن قضايا العصر، ككارثة فلسطين، ومأساة التمزّق التي خلفتها[١].

ومما يذكر ايضا، ان سعيدا الذى أكثر في مسرحياته من التعرّض لنقد الحياة الاجتماعية ومشكلاتها، قلّ ان لمس موضوع المرأة في أقاصيصه. ومن الغريب أن تكون مجموعاته القصصية الأربع مهداة الى نساء، اعترافا منه لهن، بالادوار الفعّالة التي لعبنها في حياته المنتجة[٢]، وألا تلقى المرأة من المؤلف، في مشارف أقاصيصه العناية التي كان يضمرها لها.

وينتقد سعيد، الذى برهن عن طول باعه في الفن القصصي، انه قصّر جهوده على الاقصوصة ولم يتعدّها الى القصة الطويلة. ولعلّ من اسباب ذلك، انه كان قصير النفس[٣] في الكتابة. ولكن، لو أتيح له فسحة من العمر، ولم يغب وهو في أوج انتاجه، ربما كان تحوّل الى مرحلة القصة.

لكن الذى يجدر ذكره، ان سعيد تقي الدين قد اوجد لنفسه شخصية قصصية واضحة المعالم، فمع ان اقاصيصه تعالج موضوعات جد انسانية، فقد ظلت بعيدة عن الميوعة العاطفية والوعظ الخلقي والتبذل.

---

(١) والواقع ان سعيدا كتب الكثير عن فلسطين، انما ليس ضمن الاطار القصصي الفني، باستثناء اقصوصة "كتر الكوسموس" ربيع الخريف، ص ٧٧، كما اوردنا.

(٢) اهدى سعيد "نخب العدو"، و"حفنة ريح"، وضمنهما مجموعتا "الثلج الاسود"، و"موجة نار" الى زوجته بياتريس، وأهدى مجموعة "غابة الكافور" الى وحيدته ديانا، ومجموعة "ربيع الخريف"، الى امه.

(٣) راجع "سيداتي سادتي"، ص ٨ حيث يعترف سعيد بأنه قصير النفس، وهي من الخصائص التي أشرنا الى وجودها في بواكير كتاباته.

٣ــ المقالــة :

بعد صدور مسرحية "المنبوذ" ١٩٥٣، ثم اقاصيص "ربيع الخريف" ١٩٥٤، أهمل سعيد تقي الدين كل انتاج مسرحي وقصصي، وتحوّل نهائيا عنهما، الى كتابة "المقالة"، وهي تسمية مطاطة نطلقها، تجاوزا، هنا، على الفنون الادبية خارج نطاقي المسرحية والاقصوصة، وهي الخطب والمقالات الأدبية والسياسية والاجتماعية، والمذكرات، والرسائل، والخواطر الحكمية وما اليها.

انطلاقا من هذا التعريف، صدر لسعيد في "المقالة" بين ١٩٥٥ــ ١٩٦١ ستة كتب، ندرجها فيما يلي، حسب تسلسلها الزمني:

١) "سيداتي سادتي"[1]: مجموعة خطب، عددها ست عشرة، ألقيت في مناسبات مختلفة في لبنان، بين ١٩٤٨ــ١٩٥٤[2]، وهي، بمعظمها، حرب على

---

(١) صدر "سيداتي سادتي" عن دار الشرق الجديد، بيروت، كانون الثاني، ١٩٥٥. استهل المؤلف الكتاب بمقدمة تحدث فيها عن أصول الخطابة وشروط نجاح الخطيب، مستلهما، على حدّ قوله في ص٦، "اختباراته الشخصية"... وقدم لكل خطاب بكلمة عن المناسبة التي ألقي فيها، وبتعليق طريف. ويبدو واضحا ان مجموعة "سيداتي سادتي"، مشبعة بروح القومية الاجتماعية، خصوصا متى ذكرنا ان الفترة التي القيت فيها هذه الخطب هي الفترة التي استهوته فيها مبادئ الحزب فدرسها وتبناها.

(٢) ما عدا الخطبة الاخيرة بعنوان "بنو بكر وبنو شيبان"، والتي القاها سعيد في المأدبة التقليدية لصفه المتخرج من الجامعة ١٩٢٥، كما ورد في هذا البحث. ويذكر الكاتب في (ص١٥١)، انه الحق هذه الخطبة بخطبه الجديدة من سبيل "الزهو بنجاح مدرسي لم أقو بعد على التفلت من مجد ذكرياته".

الاقطاعية والطائفية والفردية والانانية والاتكالية[١]، وقد كان دأب سعيد، منذ بدء انتاجه، محاربتها والطعن بها، حتى اذا وجد علاجاتها مبثوثة في مبادىء الحزب القومي الاجتماعي، لم يتردّد عن تبنّيها، ومن ثم التبشير بها[٢].

٢) "تبلّغوا وبلّغوا"[٣]: كتاب مكرّس كله لقضية الحزب السوري القومي الاجتماعي: عقيدته، دستوره، مبادئه الخ[٤]..، وحول الظروف والاسباب التي حملت المؤلف على اعتناق مبادىء الحزب[٥]، او الردّ على التهم التي وجهت الى

---

(١) راجع "حدثني الكاهن الذى عرّفه"، ص٧٣، الخطاب الوحيد الذى يخرج عن الموضوع الرئيسي للمجموعة، وهو "تسجيل لحديث الكاهن الذى عرّف انطون سعادة قبل اعدامه فجر ٨ تموز ١٩٤٩.

(٢) راجع ص٦، حيث يعرّف سعيد الخطابة بانها "اقناع او اقتلاع"، والخطيب الناجح هو الذى "يمحو من افكار مستمعيه ما يودّ ان يقتلع"، او هو الذى "يغرز في اذهانهم ما يرغب ان يبشّر به"_ وهذه، باختصار، المسؤولية التي اخذها سعيد على عاتقه في كتاب "سيداتي سادتي": اقتلاع الطائفية والاقطاعية والفردية والانحلال الخلقي، والاستعاضة عنها بالتسامح والايمان والوطنية والبطولة.

(٣) وهو اسلوب "الامر" الذى توجّه فيه الرسائل في الحزب السوري القومي الاجتماعي. راجع "تبلغوا وبلغوا"، ص١٧٤. وقد صدر كتاب "تبلغوا وبلغوا" عن دار الجيل الجديد، بيروت، تموز، ١٩٥٥.

(٤) راجع فهرس الكتاب ص١_٢، وفيه تسعة وثلاثون موضوعا، لم يخرج واحد منها عن الموضوع الرئيس للكتاب. وراجع ص٦٤، حيث يخبرنا سعيد بأنه نشر معظم هذه المقالات، او "الدروس والاجوبة"، في الصحف التالية: "النهار"، "كل شيء"، "الاحد"، بين سنتي ١٩٥١_١٩٥٥، اولا لكونه مسؤولا عن منفذية بيروت، وثانيا كعميد للاذاعة في الحزب، وتجدر الاشارة الى ان سعيدا صدّر كتابه بقصيدة للشاعر ادونيس، وزين الغلاف الخارجي بطائفة من اقوال انطون سعادة حول النهضة القومية وأبعادها.

(٥) راجع ص٥، "اريد ان انشق فوح دمي"، وص٩، "ما لك وللاحزاب"، وص ١٤، "مدرستان"، ص ١٦، "ثورة في التفكير"، ص١٣٠، "حكاية دخولي الحزب".. وص٤٩، "هذا مذهبي".. راجع ص٣٩، حيث يصف المؤلف ماذا قالت العقيدة لمعتنقيها: "اطلب القوة في نفسك، وانتظم مع رفقائك. قالت له: اعط. نفسي انه كل شيء لانه المجتمع..

== يتبع

الحزب ، وبخاصة بين سنتي ١٩٤٩–١٩٥٥، وتبرئة ساحته امام الرأى العام[١].

٣) "غبار البحيرة": مجموعة مقالات ، معظمها قصير[٢]، تتناول عددا كبيرا من المواضيع المتفاوتة معنى وهدفا . بعض هذه المقالات على جانب من الرصانة والجدّة ، قيل في عزيز غاب[٣]، او مقدمة لكتاب اولديوان شعر[٤]، وبعضها ساخر

= تابع=وقالت له ولاؤك الاول والاخير لامتك ومصالحها . انت لاشيء وحدك والمجتمع كل شيء معك ، فشعر انه كل شيء لانه المجتمع. قالت له: كن شجاعا ، واغسل نفسك من ادران التفكير الحقير واوهام الطائفية والاقطاعية وعلم الغيب . ما استهوته بالخبز، ولا بممتلكات سواه، ولا اوغرت صدره على جيرانه فلم تغر بهيميته. بل قالت له: كلكم مواطنون متساوون — رجالا ونساء — حقا في الكسب وواجبا في الانتاج . لم تحتقر المادة ولم تؤله الروح ، لأن الحياة كما نفهمها وكما هي ، مادة وروح . هذه هي المدرحية". — هذا واحد من عشرات النماذج للمقالة الحزبية في "تبلغوا وبلغوا".

(١) على سبيل المثال لا الحصر، راجع ص ٨٠، "يرسم الاجانب"، ص ١٢٥، "لو اننا نؤمن بالاغتيال"، وراجع ص ١٢٩ حيث يرد سعيد عن سؤال حول طمع الحزب في احداث انقلاب لتسلّم الحكم : "ان الانقلاب الذى نعمل له هو الانقلاب الخلاق في نفس المواطن. واستلام الحكم في الشام ، خلال السنوات الاخيرة كان ابدا في مقدورنا، لو ان غايتنا كانت استلام الحكم بالعنف . ان حركتنا هي في جوهرها حركة تثقيفية هادئة تكون نتيجتها وعيا يسيّر الحكم نحو خير البلاد وقوتها، ولم نستهدف ابدا ترجمة القوة الى وظائف ولا منافع".

(٢) صدر "غبار البحيرة"، عن دار الشرق الجديد ، بيروت ، ١٩٥٦، اى بعد مرور خمس سنين على انتظام المؤلف في الحزب. عدد مقالات الكتاب اثنتان وأربعون، وعدد صفحاته ١٥٧ — أى ان معدّل طول المقالة الواحدة يتراوح بين نصف صفحة وثلاث صفحات ، وهي مزيج غريب من المواضيع والاهتمامات الادبية والحياتية البعيدة عن قضايا الحزب. معظمها كان قد سبق نشره بين ١٩٥١ — ١٩٥٥ في الصحف البيروتية، وبخاصة : "النهار"، "الاحد"، و"كل شيء"، وذلك شأن الكتابين الآخرين اللذين صدرا في الحقبة نفسها ، وضما مجموعة مقالات ، صنّفها سعيد نفسه، عنيت "تبلغوا وبلغوا"، و"غدا نقفل المدينة".

(٣) راجع ص ١٢ "فواد حمزة شريف غاب"، وص ١١٦ "لماذا لم اقف على قبر صديقي" وص ٢٢٠، "عبد الحميد كرامي".

(٤) راجع ص ٩٤، "جعبة الصياد"، وص ٥٣، "بشرة أم شامة"، وهي مقدمة لكتاب الدكتور جورج حنا "المرأة جسد وروح".

او مشحون بالنكات المبتدعة والمداعبات الظريفة[١]. والحقيقة ان النكتة الساخرة تغلب على مجموعة مقالات "غبار البحيرة". فالكتاب مهرجان من الفكاهة والسخرية[٢].

---

(١) راجع ص ٥، "افضل الاساليب لقطع دابر الضيوف"، وص ٢٦، "وحقائق جديدة عن زحلة"، وص ٣٤، "على كرسي رشدى معلوف"، وص ٧٣، "اقتحام صيدا من قاعدة بيروت"، وص ٣١، "السمين"، وص ١٤٦، "رسائل الى اسكندر الرياشي"، وغيرها ...

(٢) راجع، على سبيل المثال، ص ٢٦ ـ ٢٧، وتنكيت سعيد على زحلة واسراف اهلها في الغلو: "اكتشف الزحليون موردا للرزق جديدا حين انقطع الحلاقون عن رمي قصاصات الشعر وصاروا يبيعونها حبالا، وحين سألت احدهم لم لا تستخدم الطائرات مدينتهم اجاب "هذا عصر السرعة. حين نريد ان نتعجل الوصول الى مكان ما نركب بغلا زحلاويا". ورأيت رجلا يفتش عن كميون حمولته عشرة اطنان فسألته لماذا يتحرى كميونا كذا ضخامته. اجاب: "أريد ان انقل شيئا من بيت البريد. واصلني تنك من ابني في اميركا". ولما استغربت كثيرة الحقول المزروعة قنبزا، استغرب احدهم استغرابي وصاح "حضرتك اطرش؟ الا تسمع تغريد الحساسين؟".

وراجع ص ٣٤، "على كرسي رشدى معلوف"، والنكتة اللاذعة: "لن يكتشف رشدى معلوف امر تحريرى هذه الشقة الاحين يقتعد كرسيه غدا فيجدها مكسورة. فان حنق فسيهدئ روعه صاحب الجريدة بقوله: لا بأس فالذى جلس على كرسيك "معلوف" آخر.. عجيب امر هذه الكراسي كيف تضيق على جلاسها كلما تقدموا في العمر.. وفي يقيني ان لبنان مصيبته من هذه الكراسي ... قد يحدث ان يلبط الانسان كرسيا من تحت الجالس عليها. هذه النكتة اسمها انقلاب. وان اعتق لعبة في الكراسي هي ان تقدّم كرسيا لصديق فان همّ ان يجلس عليها ابعدتها عنه فوقع. اسأل طلّاب الوظائف لماذا يشكون الالم في مؤخراتهم!".

وراجع ص ١٣٥، وتنكيت سعيد الذى ينتهي ساخرا: "لي في بيروت صديقان.. شاءت الصدف ان يستأجر احدهما شقة في بناية الثاني.. وذات يوم ركبت خادمة المستأجر المصعد الكهربائي المخصّص للمستأجرين فقامت قيامة المالك.. ولم يحد صديقاى صديقين.. "واصدرت انا مرسوما عينت نفسي قاضيا، واصدرت حكما لم اقدر ان انفذه فلم اغضب ولم اشعر بضآلة شأني، بل تملّق كبريائي أني ارتفعت الى صعيد منظمة الامم اذان مقرراتنا ـ نحن الاثنين ـ غير قابلة التنفيذ!"

٤) "غدا نقفل المدينة"(١) : مجموعة مقالات ومذكرات وخواطر ، يبلغ عددها الواحدة والعشرين، ويتراوح الزمن الذى كتبت فيه بين ١٩٢٥، وسعيد على ظهر المركب الذى حمله الى الفلبين(٢)، وبعض اختباراته الطريفة خلال هجرته الاولى تلك(٣)، واخيرا بعد عودته الى لبنان ١٩٤٨، وحتى ١٩٥٦ موعد صدور الكتاب(٤).

مجموعة مقالات "غدا نقفل المدينة"، يغلب عليها الطابع الأدبي(٥).

---

(١) صدر "غدا نقفل المدينة" عن دار الشرق الجديد ، بيروت ، نيسان، ١٩٥٦.

(٢) راجع ص ١٥٢، "سفرى الى الفلبين"، وهي سبع عشرة صفحة تمثل اسلوب سعيد في تلك المرحلة من حياته. تصف ، على شكل مذكرات : سفرته البحرية، وخواطره وانطباعاته عن رفقة السفر ، وما يدور بينهم من احاديث... مثال ذلك وصف مفتش الجمرك في بور سعيد : "افتحوا تلك الحقيبة.. لعله ظنّ بها حشيشا ، ولكنه وجد ، بدل الحشيش... احذية!.. واجال نظره في جيوبي المنتفخة وصاح : "ذلك الفتى يهرب ذهبا فتشوه"ــ هل تحققت انني لم اهرب ذهبا ، بل اني هارب من أجل الذهب ؟ "

(٣) راجع ص ٦٥ "يوم طوقنا القصر الجمهورى في الفلبين"، وص ٣٧، "غريب بلابسطبورزو"، وص ٤٤، "زلزال الفلبين"، ومقالات هذه المرحلة حتى الموحش منها حافلة بالنكتة، من ذلك راجع ص ٥٢، وحديث المؤلف عن مسلمي الفلبين: "المورزو" لا يفهمون من الاسلام شيئا، ويعلقون في منازلهم صورة محمد رشاد على انه لا يزال خليفة المسلمين.. وهم حين يقسمون يصيحون "لا آله" فقط.. ويبلغ الهوس ببعضهم احيانا، فيعكف يرتل آيات القرآن من غير ان يفهمها. ثم يحلق شعر رأسه وحاجبيه ويستل سيفه مهاجما ايا لقيه فيقتله، موقنا انه بفعلته هذه سيدخل الجنة." ــ واحيانا يكتب شيوخهم الادعية والرقى للنساء اللواتي هجرهن رجالهن، من ذلك مثلا : "هذه فلانة زوجة فلان غاب عنها زوجها منذ سنوات. ان رجع كان به والا فللقرد..." او بهذا المعنى وأفصح !"...

(٤) راجع ص ٨١، "مقدمة لمذكرات فوزى القاوقجي"، وص ٧٩، "الى صلاح لبكي : بعد قراءة "سأم".

(٥) تقع "مقدمة لمذكرات فوزى القاوقجي" في اربعين صفحة، وهي اشبه بأدب السيرة، او هكذا يسميها المؤلف. نقتطف منها هذه العبارات الختامية للتمثيل على أسلوبه فيها : "سأل اطباءه (القاوقجي) هل هذه الادوية تشفي ؟" ، اجابوا : لا ، بل هي تطرد الاوجاع. قال : اذن ، فانا لا اريدها" ، ورمى بها وبالاوجاع. و"عملنا خمس ست معارك" يلفظها كسكير يردد : "وشربنا كم كأس" ــ... وكانت غلطته الكبرى انه ما اراد الموت فلم تعترف بعظمته امة لا تكرم الاحياء".
وعدا الانتاج الادبي الطاغي على "غدا نقفل المدينة"، بث المؤلف ستا من مقالاته الجديدة المشبعة بالافكار والمبادئ القومية الاجتماعية، منها : ص ٧٢، "وانبلج الفجر" لذكرى مولد انطون سعادة في اول مارس ١٩٠٤، وص ١٢٩، "الى سعادة"، لذكرى اعدامه في ٨ تموز ١٩٤٩.

٥) "رياح في شراعي"[١]: مجموعة مقالات، عددها خمس عشرة[٢]، وهي تسجيل لانطباعاته واختباراته الحياتية، وبخاصة ما كان منها حول نشاطه في الحزب[٣].

وثمة فصل مسهب يتناول مذكراته في الفلبين، وفي سجن سانتياغو على وجه التحديد، سوى ان هذه الاختبارات سجّلت ونشرت في الحقبة نفسها، ١٩٥٦ـ ١٩٥٨. وتجدر الاشارة الى ان الطابع الهزلي الساخر يطغى على القسم الاكبر من الكتاب، حتى الموحش منه[٤]، وان الكاتب يقدم لكل مقالة ببضع "رفّات جناح" يودعها زبدة فلسفاته.

---

(١) صدر "رياح في شراعي"، عن دار المجاني، بيروت، ١٩٦٠، بعد وفاة سعيد تقي الدين. وقد اطلعنا بين اوراق سعيد غير المنشورة على مراسلات تفيد ان "دار المجاني" كانت تسترشد بتوجيهات المؤلف وبملاحظاته الفنية والمطبعية.

(٢) كتب سعيد مقالات "رياح في شراعي" قبل سفره الى المكسيك في ٩ أيلول ١٩٥٨، باستثناء المقال "رياح في شراعي" الذى استهلّ به الكتاب واطلق عنوانه عليه ـ هذا المقال فقط بدأه سعيد يوم غادر بيروت الى المكسيك، واختتمه هناك في ١٨ ك ٢ ١٩٥٩ ـ راجع ص ٥.

(٣) كان قد سبق لسعيد ان نشر هذه المقالات في صحف بيروت، بعد صدور كتابيه الاخيرين ١٩٥٦ ـ راجع ص ٢٦ "في ظل الدولة البوليسية"، ص ١٣٠، "معلمتي"، ص ١٧٨، "نحيا الالام ولا نتفرج عليها"، وص ١٩١، "١٩٥٧ تطع.. طفت.. منها على.. الزمن".

(٤) راجع ص ٤٢ "دروب موحشة" ـ وهي اطول مقالة في الكتاب تقع في ست وثمانين صفحة وتحكي اخبار السجن ومآسيه واهواله على ايدى اليابانيين، باسلوب واقعي هزلي... من ذلك قوله ص ١٠٧: "ومرة جاء آمر سجن طيب فأخرجنا للتمارين. ما يعرف في "المزّة" بـ"التنفس". وصفّونا وكلنا لابس القميص والكلسون فقط للقيام بالحركات الرياضية. وكنت قد خف وزني نحو عشرين كيلو وزال بطني، فلما اعطى المدرب الامر وتغفزنا، هبط كلسوني الى الارض وتزلزل السجن بضحكات السجناء.. ولأول مرة رأيت يابانيا يضحك اذ سمعت تهقهة المدرب. وعدنا الى التمرين فما عدت ترى من رفقائي الا كلاسين تقع على الارض وتسمع رعد الضحك..".
وراجع ص ١٦٠، حيث يتحدث المؤلف في "حياتي الثانية" وكيف يحلّق اثناءها في عالمه الخيالي الخاص: "على ذكر الموت، فكثيرا ما اموت في هذه الجلسات الصباحية، ولكنني ابدا احضر المأتم واتقبل التعازى. اجمل ما قرأت في هذا الموضوع كان على اثر استشهادى في تل ابيب بعد ان تزنّرت بعدة قنابل هيدروجينية واولعتها في يوم عيد استقلال "اسرائيل"، وكنت هناك متنكرا باثواب سفير الاروغواى قاعدا بين بن غوريون والجنرال ديان. اقول لك انني سمعت شيئا من الشعر الرفيع في ذلك المأتم، وان كان بعض الشعراء اسرفوا بالرمزية بحيث لم ادر ان كانوا يرثونني ام يرثون عبد الرحمن عزام"...

٦) "انا والتنين"(١): مجموعة مقالات كتبها سعيد في المكسيك وكولمبيا، بعد سفره، وهي آخر ما كتب قبل وفاته(٢).

القسم الاهم من هذه المقالات مذكرات المؤلف عما يسميه "صيف الدم" (١٩٥٨)، وفيها يكشف النقاب عن أسرار كثيرة، ويحلّل شخصيات سياسية بارزة من خلال تجربته الشخصية ونظرته الخاصة. فالسنوات العشر الاخيرة كانت حافلة بالنضال، مما اضفى على رؤاه البصيرة نحو الحياة الوانا خاصة ومفاهيم معينة، نراه يلقي اضواء عليها في "انا والتنين"(٣). من هنا في رأينا قيمة الكتاب، لأنه يمثل المرحلة الاخيرة والاكثر هدوءا من أدبه(٤).

---

(١) صدر "انا والتنين" عن دار المجاني، بيروت، ١٩٦١.

(٢) وقد عثرنا بين اوراق سعيد غير المنشورة على مقالات كتب عليها بخطه: "تابع انا والتنين"، لكن الكتاب صدر قبل وصول اوراق سعيد من كولمبيا. من هذه المقالات:
١) "الدفشة الكافة"ـ معلومات سياسية عن موقفه من الاميركان (غير كاملة)
٢) مقال يبرّئ فيه غسان جديد من اغتيال عدنان المالكي
٣) آراء سياسية متفرقة تقع في ٢٤ صفحة بخطه الكبير (غير كاملة)
٤) "زنجية سليمان" ـ اقصوصة (غير كاملة).

(٣) راجع "انا والتنين"، ص ٦ وقول المؤلف: "لقد استلت الايام من اختباراتي علقمها. وتعلمت ان البغض حقارة تدمر حاملها. وان عنابر الحقد جهنم تلتهب لتلتهم خازنها. وبلادنا تعيش عصر البشاعة. فيا ايها المدعي انك تفانيت في خدمة بلادك اغسل عن قلمك كل كلمة نابية، كل عبارة قد تفتح جرحا"...

(٤) راجع ص ٦٧، وقول المؤلف في ختام مقدمته: "هذه الاحاديث اكتبها لانفض عن نفسي وعن لساني ذكريات اختباراتها. انا واثق انها ستغوص في نفس قارئها، وستثبت على الدهر تاريخا. فالصدق معدن لا يتلبسه الصدأ"... "للذين يتحدون الدهر اقول: ليس الهام ان تصرع التنين، بل الهام ان تصارعه".
فسعيد هنا يسجل امرين: الاول تأكيده من صدق احاديثه، ومن انها "ستثبت على الدهر تاريخا"، والثاني اعترافه الضمني، بانه، في نضاله الطويل مع الحياة، كان ابدا يتصدى لمصارعة التنين وتحدياته، لكنه لم يقو على صرعه.

بعد ان استعرضنا الكتب الستة التي صدرت لسعيد تقي الدين بين ١٩٥٥_١٩٦١، وضمت مجموعات مقالاته في فنونها المختلفة، من سياسية وأدبية واجتماعية، سنحاول تعريف هذه الفنون، مع تقديم نماذج منها وتعيين قيمتها ضمن اطار انتاجه العام.

١) المقالة السياسية : وهي عند سعيد نوعان : خاص وعام. فالخاص يتّسم بلون واحد، ويدور حول ما له علاقة مباشرة او غير مباشرة بالحزب السوري القومي الاجتماعي (١)، ويشكل ثروة أدبية حزبية معتبرة.

اما المقالات السياسية العامة فتتراوح بين محلية وطنية، كمقالات "صيف الدم" وتحليل الكاتب لسياسيي لبنان (٢)، ووطنية عامة كمشكلة فلسطين وملابساتها على الصعيدين العربي والدولي، وبخاصة انتقاد سياسة اميركا وبريطانيا منها (٣).

ان مقالات سعيد السياسية الخاصة، سواء منها الخطب او الرسائل او الردود المباشرة عن اسئلة معينة، تأخذ على العموم الطابع التوجيهي الجدى

---

(١) اقتصر كتاب "تبلغوا وبلغوا" على المقالات الحزبية الصرفة، فيما وزعت بعض المقالات الاخرى من هذا النوع على باقي مجموعاته، كما سبقت الاشارة.

(٢) راجع معظم مقالات كتابه الاخير "انا والتنين"، وبخاصة: "استخارة"، ص ٥٦_٦٩، "اشكر عدوك"، ص ٧٧_١١٣، "قضيب الزعرور"، ص ١١٣_١٢٥، "خلينا نشوفك"، ص ١٨٤_٢٠٩. وكذلك، "١٩٥٧.. قطع طفت منها على الزمن"، رياح في شراعي، ص ١٩١_٢٠٦.

(٣) راجع "صديقي ماك آرثر"، غدا نقفل المدينة، ص ٣١_٣٧، و"انتم الشيوعيون"، رياح في شراعي، ص ٢٠٦_٢٣٥.

العنيف[١]، اما مقالاته السياسية العامة، فتميل الى التحليل والمصارحة، مع براعة في العرض والانتقال من موضوع الى آخر[٢].

---

(١) مثال ذلك راجع رسالة سعيد الى احد اصدقاء عائلته في بعقلين، بلغه انه عاتب عليه لدخوله الحزب، "غدا نقفل المدينة"ص ١٢٧: "اني من اجلكم خطوت هذه الخطوة. امامنا معاقل يجب ان ننسفها. نريد ان نصهر نفوسنا بالعقيدة القومية التي صهرت الاقطاع والطائفية. نريد ان نعيش في بيت لم تحجز مقاعد المخمل فيه على عائلة. وكراسي الخيزران على عائلة، فيما بقي افراد سائر العائلات وقوفا او خارج الدار". - وفيه الواقعية التي يخاطب فيها ترويا بسيطا..

وراجع "تبلغوا وبلغوا"، ص ٢١: "هذه النون المتقعّرة بين الفين، صميم "الانا" - هذه الذات التي عبدتها وطالما ازدهيت بها، والتي من صلب العقيدة القومية الاجتماعية واول شروطها ان تذوب وان تفنى، حقا انها امحت؟ ... ثم يقول: "الجواب بسيط ليس فيه اضطراب ولا تناقض، بل ان فيه حقيقة وعمقا. ان الواحد منا يحيي نفسه اذ يذكيها وينكرها. ان اشهى لقمة تأكلها هي لقمة تطعمها لسواك. ان الامومة التي جوهرت نفس امك وامي، ورفعتهما ووسمتهما بطابع الالوهية، ان هي الا انكار الذات وتذويبها وافناؤها، وبالتالي احياؤها".

وراجع "انا والتنين"، ص ٢٣٢، وفيه يحدد سعيد موقفه من الحزب بأسلوب تحليلي واضح: "في النفس البشرية قلق دائم، هو التوق الى شيء افضل، حين يصفى وينبل هذا التوق، يتخطى الحدود الشخصية الانانية، الى شيء أعم، قومي او انساني او لاهوتي، او خليط من كل هذا. ونحن في بلادنا، يحدو بنا هذا التوق الى الحلم بشيء... حسب اختباري، ان سعادة، كسواه من القادة، وفّر لك هذا الحلم - الرؤيا - ولكنه تفرّد بأنه اذ رفع لك الهدف، اشغل يديك وعقلك وقلبك. فانت اذ تحلم تعمل... الهدف يلوح في الافق، ويداك على مجذافين تشعر انك بهما تقترب من الهدف".

(٢) راجع "رياح في شراعي"، ص ١٩٢، حيث يتحدث عام (١٩٥٧)، عن انتخابات الرئاسة، وموقف شمعون منها: "فالرئيس، وقد نما في السياسة اللبنانية، يضرب حسابه على الطريقة اللبنانية - احمد الاسعد ضدّنا، لا بأس كاظم الخليل معنا. رشيد كرامي معاد؟ نرضيه. اذن طرابلس معنا. .. بيروت؟ نقوّى سامي الصلح وجميل عكاوى، مع جهود استثنائية هنا وهناك، يمشي الحال. عربيا؟ السعودية، ربحناها وكذلك الاردن. والعراق دائما تؤيدنا. فما علينا اذن ان كانت مصر وسوريا معارضتين. هما مع روسيا ونحن مع الغرب. جدّدوا، جدّدنا".

وراجع المصدر نفسه، ص ١٩٥، ولاحظ، لدى الكلام على سياسة لبنان الداخلية، براعة المؤلف في الانتقال من موضوع الى آخر، وكيف يحلل شخصية وزير الخارجية

= يتبع

ومن خصائص أدبه السياسي الجرأة والموضوعية وقوة الحدس، والاثارة الساخرة، وهي مزايا نجدها في انتاج سعيد بفنونه جميعا، لكنها تبرز بقوة في مقالاته السياسية، وتشكل الدعائم التي يقوم عليها هذا اللون[١]، فهو لا يكتفي بأن يحوّل باطن السياسة ظاهرا واضحا مثيرا، ولكنه يستبق وقوع الاحداث[٢]. وقد يتّهم سعيد، لفرط عنفه،

= تابع = يومذاك، الدكتور شارل مالك: "الشيوعية ؟ الموجة التي اشرأبت طغت. الصحافة الادب ؟ اقلب الصفحة. لنتحدث عن موضوع آخر. السياسة الخارجية؟ خذ نفسا. هذه تحتاج الى كم سطر. حين نشير الى السياسة الخارجية ينفر امامنا اسم ضخم: شارل مالك. والناس فيه اثنان. قلة تعتقد ان بينه وبين الخالق ورقة سيكارة، وكثرة تقول انه عبد لاميركا يخدم مصالحها على حساب مصلحة بلاده، وانه متنكر لكل شيء عربي" ــ بهذه الصراحة يمضي سعيد محللا موقف وزير الخارجية، وسبب تدهور شعبيته، على الصعيد العربي، منتهيا الى القول: "اما انه صنيعة الاميركان، وانه لا يشتغل لمصلحة بلاده فهذا افتراء كاذب. ان ولاءه للبنان اولا وآخرا".

(١) راجع "انا والتنين"، قضيب الزعرور، ص ١١٣، الباشا والحكم ص ١٥٧، وخلينا نشوفك ص ١٨٤، وفيها يحلل المؤلف الشخصيات اللبنانية "كمال جنبلاط، فؤاد شهاب، كميل شمعون وشارل مالك وسواهم"، بجرأة وصراحة وسخرية لا نعرفها لسواه من الكتاب في هذا الباب. من هنا ان هذه المقالات أشبه بوثائق تاريخية.

وراجع المصدر نفسه، "المجنون ينشق رائحة العمران"، ص ١٢٥، وفيها يتحدّث عن اختباراته مع خريجي الجامعة، ويسمي الاشخاص بأسمائهم، ويفضح دسائسهم ومناوئتهم اياه، بجرأة وسخرية مثيرة.

(٢) حول قوة حدس سعيد ورؤاه، راجع المصدر نفسه، ص ١٦٧، وقد كتب قبل تسع سنين: "ان ربع قرن من صراع مع اليهود والانكليز في فلسطين اقنع مواطنينا هناك، ان الجهد الوطني معناه الفتك والتخريب... فالمشرد الفلسطيني اليوم، وأمس، وغدا، مستعد لاعمال الفداء، ان اقنعته ان بهذا املا لتحرير فلسطين او لانزال العقاب بمن خان فلسطين".

ومن رؤاه حول السياسة المحلية، راجع "رياح في شراعي"، ص ١٩٤، حيث يتنبأ عام ١٩٥٧، عن رئيس الجمهورية المقبل: "كلما قلبت نظري لا ارى الا أحد شخصين: احدهما يلبس بزة عسكرية اسمه اللواء فؤاد شهاب يأتي في ازمة داخلية ليحكم بضعة اشهر او سنة (وفي مطلع ١٩٥٩ اكتب لك مقالا ثانيا) والآخر هو مدني اسمه فؤاد شهاب يأتي رئيس جمهورية لست سنين".

بالتحيز ، لكن القارئ العادل لا بدّ وأن يعترف له، في كثير من المواقف، بالموضوعية والتجرد، ولاسيما في المرحلة الاخيرة من انتاجه[(١)].

٢) المقالة الاجتماعية الادبية[(٢)]: وهي، كانتاجه جميعا، حاصل تجربته الشخصية[(٣)] يحمّلها من الصدق او الهزل، العمق او السطحية، توافقا لحسّه الادبي وما يتطلبه الموقف، فالمقالة الادبية عند سعيد، ترتدى ثوب الجدية والوقار[(٤)]، بينما يرتفع صوته في المقالات الاجتماعية منتقدا ساخرا، في سلسلة من الاثارة والضحك

---

(١) راجع "انا والتنين"، ص١٤١-١٤٦، حيث يتحدث سعيد عن اميل بستاني الذى قهره في انتخابات الخريجين ١٩٥٣، ثم عاد فانتصر على مرشح الحزب الدكتور جورج صليبي عام ١٩٥٥. فبعد ان يتبسط في اساليب النكاية والقوة التي شهرها اميل ضده، ينتهي الى القول: "هذا العداء الذى انتهى الى محبة هو من اجمل ما حصدت في جمعية المتخرجين... ففي اختباراتي مع اميل بستاني تعلمت جمال المرح والتسامح وتناسي العتاب والحقد. هذا الرجل يطرد البغضاء من قلبك اذ تعلم انها غير موجودة في قلبه".
وراجع المصدر نفسه، ص٢٠٩-٢٢٧، حيث يحلل سعيد، ولأول مرة، الاسباب التي أدت الى سوء التفاهم، بينه وبين أعز اصدقائه - غسان جديد، معترفا ان "تسعين بالمئة من تباعدنا كان الكره الطبيعي يسببه الملل" من طول العشرة... "والعشرة بالمئة حسد نزل بي وبه".

(٢) والافضل تسميتها "بغير السياسية"، نظرا لتطرّقها الى مواضيع حياتيه عامة، من اجتماعية او ادبية، او هزلية ساخرة. ومنها ما كتب على شكل يوميات او خطب او رسائل وما الى ذلك.

(٣) فالهواجس والعواطف التي تراكمت في مخيلته، خلال مراحل حياته جميعا، وسفراته ومغامراته والمصائب التي نزلت به... كل ذلك وما يثيره من تأملات في الحياة وشؤونها، تبصر له آثارا بارزة في مقالاته.

(٤) راجع قول سعيد في تأبين صديقه غسان جديد، "رياح في شراعي"، ص٢٣٨ : "ليست العظمة دجاجة تنقد الدودة بمنقارها. انها العقاب يرفع الافعى بمخالبه. انها الجلى تطحن الصغارة حتى بظلّ كبرها. انها الرؤيا لاتسعها التصاميم. الرجل الكبير لا ينتهي بمأتم. والسؤال الكبير لا تجيبه الكلمات".

والتنكيت[١].

وأحيانا كثيرة لا تنطوى مقالته الاجتماعية على اية رسالة ، وانما يكتفي بالتنكيت وبعث الانشراح في نفس القارئ[٢].. ويلاحظ ان بعض مقالاته، وبخاصة رسائله،

---

(١) راجع "جمال الفوضى"، غبار البحيرة، ص ٥٦ : "ما الذى يبقى في لبنان ان زالت عنه هذه الفوضى؟ .. تريد ان تأخذ تاكسي فتقصد الى موقف سيارات وتدخل في احداها وتقول للسائق "برج ابو حيدر"، فيجيب : "معذرة يا استاذ نحن نشتغل على خط ضهور الشوير". فتنزل وتسأله عن موقف سيارات "برج ابو حيدر"... وقبل ان تنتقي التاكسي تسمع صياحا ومشاتمة، وتعلم بزهو انك موضوع منازعة عشرة من السواقين، وأن ركوبك سيارة احدهم حادثة لها اهمية، فتطرب وتنشرح وتقعد في السيارة كأنك ترأس موكب الفاتحين.."

وتنزل امام الفرن، فتسأل الفران عن بيت صديقك، فيجيبك انه يجهل هذا الامر.

– وكيف تجهل هذا الامر؟ أليس هذا فرن الصبّاغ؟

– لا يا أفندى. هذا فرن الدّباغ. فرن الصبّاغ هناك حيث يبيعون الخبز مخلوطا بالتراب. امشي الى يمينك، ثم خذ شمالك. خمسين خطوة بالنازل. تجد الفرن المذكور.

وتكون في بيتك ساهرا اذ تنفجر الابواب عن جيوش الجيران جاءوا لقضاء السهرة. وفيما ضيفك يدوى كرصاص العيد متنقلا من موضوع الى موضوع: كيف اضعنا فلسطين، وأسباب كساد الحمضيات، واصل علة اختلافنا مع سوريا، وبعض طرائف المرحوم ابيه... وفيما انت تخنق التثاؤب الذى يتمطّى بين أنفك وبلعومك... أحزر ماذا؟ ينقطع المجرى الكهربائي، فتسود العتمة ويثور اللغط... وتنطلق الخادمة الى الدكان، واذ يناول صاحب الدكان الشموع للخادمة، تلتطم اصابعه بجغرافيتها فيهتزّ... ثم تكتشف ان الفواكه التي تشتريها الخادمة من الدكان صارت أفخر طعما..."

بهذه السلسلة من النكات الواقعية الهزلية يرصّع سعيد مقالاته الاجتماعية. ولعلّ هذا ما يضفي على مقالته، تلك الشحنة من الحيوية والاثارة، فاذا انت مقتف اثره بنشاط يسوقك الى حيث يريد.. غايته ان يدلك، عن طريق الضحك، وبدون وعظ، الى العبرة فالاصلاح.

(٢) راجع "اقتحام صيدا من قاعدة بيروت"، غبار البحيرة، ص ٧٣، وهي من أطرف الامثلة على ما نعني، تروى مغامرة المؤلف (وهو ضخم الجسم) في سيارة تيولينو صغيرة، مع جبران حايك، في نزهة الى صيدا. انظر كيف يصف السيارة التي "تفركش" بها ! : "لماذا تركتها على الباب؟ الم يكن أسلم لي وأليق بك ان تدخل بها الى الصالون وتضعها تحت الكنباية؟".. فكان صاحبها شعر بالشبهة الكبرى تجول في خاطرى، فأكد: "لا. ليس الأمر ما تتوهم. ثمنها شيء لا يذكر وقد اشتريتها بالتقسيط. شرف".

-- يتبع

غاية في هذا الفن، مع اضافة عنصر السخرية اللاذعة(١).

أما مذكرات سعيد، فيشيع فيها الحنين، كما تتخللها بعض النفحات العاطفية(٢)، وبخاصة ما كان له صلة بوطنه وأهله. وتتميز هذه المذكرات أيضا

= تابع= وشرفت داخل السيارة بالتقسيط. غريب كيف يتقمص الاحياء!؟ هذا الفتي الكيس اللطيف استحال خلف مقود السيارة الى فارس يتسلطن، له عبوسة موسوليني. يأمرني أن أغلق الباب. وشددت الباب بكلتا قبضتي وبأسناني... وتطلع جبران حايك نحوى بشيء من عطف الابوة وتواضع الكبير: "مرتاح؟" قلت: "جدا لكنني اختنق." فابتسم ـ عالما يهزأ بجاهل ـ وبايماءة يده انفتح سقف السيارة، فاذا الدنيا شمس وربيع واذا يكتفي خارج السيارة ـ هناك في الاعالي، واذا بسلطان المواصلات ينهرني: "راقب الطريق".

وترددت السيارة، وتقاعست، وتلكأت، وحارت وحاورت، وسعلت واجفلت وهمست، وتبهنست وصهلت، وأرعدت، ثم ترجرجت وزلزلت وراحت تنهب شجاعتي نهبا.

(١) من أطرف ذلك مجموعة رسائل كان سعيد يتبادلها مع اسكندر الرياشي، صديق ابيه القديم. لاحظ الاسلوب المفكك الذى يخاطبه فيه، وهو، على الزعم، تقليد ساخر لأسلوب الرياشي في "الصحافي التائه": "غبار البحيرة"، ص ١٥٥: "ومهما يكن من الامر فحرب وأعلناها عليكم ... لذلك حين التقينا بكم منذ ايام عبسنا بوجهكم، والعبوس بوجهكم هو شيء غير هين. اوكما تقولون: ليس هين أبدا مطلقاتماما. كما انه ليس هين أن تعبسوا بوجه ثلاثين الف ليرة اليوم، او بوجه حسناء ... منذ ثلاثين سنة."... وقوله ص ١٥٧: "لقد خطرتم على بالنا كثيرا هذه الايام، وليس السبب وحده عتبنا عليكم لانكم لم ترسلوا لنا نسخة من كتابكم العالمي "نعيش مع الالهة"، وليس السبب ان جاء موسم الزيتون فلم نرسل لكم، كالعادة، تنكة زيت. فعذرنا ان الزيتونات التي تنتج الزيت قد بعناها."... "انما خطرتم على بالنا بسبب انتخابات المتن، التي لا يمكن لمرشح او ناخب، او مفتاح انتخابي، او محراك انتخابات، ان يفتكر، أو يحلم، او يتكلم عن مقعد شاغر في قضاء المتن بدون ان يدخلكم في حسابه".

(٢) راجع "رياح في شراعي"، ص ١٨٣، "لقد احببتك، ولكنني كنت جبانا مجرما، فلم أهمسها في اذنك، مع اني عرفت انك تشتهين ان تسمعيها." ... و "لقد كنت كريمة جوادة، فاعطيتني كل شيء وكنت بخيلا انانيا، فحرمتك حتى من أغنية الحب." .. "لقد بدأنا وأنت سلعة أنعم بلمسها، وانتهينا فاذا أنت في قلبي ذخيرة وزوادة وصلاة."...

== يتبع

بالحكمة والواقعية الساخرة[١]. ويلاحظ ان سعيدا، في القسم الأخير من هـــذه المذكرات، أى بعد هجرته الثانية، يهادن الثورة والسخرية، ويصل الى مرحلة مـن الاستقرار والهدوء وصفاء الرؤيا[٢].

= تابع= وراجع كيف يعبّر عن حنينه بعد هجرته الاخيرة، "انا والتنين"، ص ٩: "للمرة الاولى افقت، في غربتي، باكرا جدا، ولم اتثاءب ولم أتمطّ.. بل وثبت الى تدمي في رعشة الفجر، كطفل يستعجل صباح العيد... للّمحة الاولى، وقد سمعـت صياح الديك، خلت اني أرى جدتي بمنديلها الابيض الحائل، تحوم حولنا فـي "العلية" في بعقلين، ونحن نتأهب الى الخروج لصيد العصافير.. لكنهـــا لحظة وانخطفت...".

وراجع المصدر نفسه، ص ١٣: وكيف يصف الخادمة السوداء في كولمبيا وقـد استأذنته بفتح الراديو: "وشعّت الموسيقى اذ انصرفت أقرأ... تفقّـــدت الخادمة، فاذا هي ترقص وحدها في العتمة... ما أشبهني بها. هـــذه الغربة، انها عتمة، وانا وحيد أرقص على انغام جاءت من البعيد البعيد!".

(١) راجع "رياح في شراعي"، ص ٥٩، حيث يتحدّث بواقعية وبسخرية عـن بطش اليابانيين، ويوم قتلوا فيليب كنعان رفيقهم في لعب البوكر، وكيف نقل جثمانـه على مركب صغير الى بلدة زوجته: "فما كان من أقرباء زوجة الفقيد الذيـــن رافقوا الجثمان الا ان جلسوا فلعبوا "بوكر" على التابوت، وفي جوفه الجثّـــة. وأخال فيليب أخذ على خاطره من تلك اللعبة انه كان داخل التابوت لاحوله!"
وراجع قول سعيد في المصدر نفسه، ص ٤٣: "..لان الحياة، وقد اخصبـت في نفسي تجاربها وأهوالها ومخاطرها، نعيمها وجهنمها، ما تركت في نفسـي الا الهزء بنفسي وبكل ما مر بي، وبكلّ من مر بي. لا. لا يا قارئي. أنت لـن تتعلم مني شيئاً، اللهمّ اذا أعتبرت ان السخرية حكمة لانها تفلسف الحيـــاة قوة أذ هي تستخفّ بكل قوة....".

(٢) راجع "انا والتنين"، ص ٣٩، واستغراب سعيد حتى الاشمئزاز من دعـــوة مليونير لبناني في المكسيك، على ان يوافيه الى فبركته، بدل ان يرسـل لـــه السيارة. ويقول سعيد بهدوء، معلّقا على هذا الحادث الذى كان في الماضي يثير نقمته وغضبه: "غير ان الحياة شفتني من كثير من المشيخات، فانا اليـوم، دائما، اترك للآخرين، في هامش المعاملة، خانة فسيحة للأعذار".
وراجع المصدر نفسه، ص ٦: "أتألم ان ليس في استطاعتي ان أصف خنوع من أراد ان يهوى ليقبل يد كبير فارتطم جبينه بتلك اليد، قبل ان ارتطمت شفتاه ... وذلك الذى حين سمع "خمسة آلاف ليرة" فتح فمه فسقطت الـى الارض تركيبة أسنانه العليا... ويا لحظّ ذلك الصل، اما حسبته ابتعد ايقظتني لسعة منه. انه تسلل الى عبّي".
وراجع المصدر نفسه، ص ٣٠، حيث يذكر بالخير أصحاب البنك العربي ثـمّ بنك انترا، ومدهما اياه بالمال، رغم معرفتهما بانه ملاحق، ومن غير عمـــل، وعرضة للقتل، فيقول: "ان سلوك مثل هؤلاء هو الذى ابعدني عن بلادى. في سبيل دفع هذا الدين، تقديرا لهذا التقدير، استطيب هذا العيش، وهذه الغربة.

بقي ان نشير الى لون ادبي خاص، عبّر به سعيد عن زبدة فلسفاته الحياتيـــة، الحكميّة او الساخرة، وأسماه "رفّات جناح"، توّج بها اقاصيص "ربيع الخريف" ومقالات "رياح في شراعي". وقد أثقلت رفّات سعيد البسيطة في ظاهرها، ببلاغة في المعنى[١].

ان ا "المقالة" عند سعيد تقي الدين، كما نلاحظ، عنيت بشؤون حياتنـــا الاجتماعية كافة، وبمختلف مآسي تطاعاتها، فحاولت ان تعرّيها من زيفها وان تعرّضهـا للنقد الايجابي. وهو، وان يكن عالج المشكلات الآنية، منطلقا من زمان ومكان بلاده، ومن صميم واقعها، فانه كثيرا ما يتخطّى الآنيّ الى المطلق. فمقالته، بشكلها الفوضويّ اللا تسلسلي غير المتقيّد بنظام خاص، كثيرا ما تحمل في ثناياها وتعرّجاتها ايمـاءات، يقصد بها ما هو أبعد من الظرف الذى هي بصدده[٢].

---

(١) راجع "ربيع الخريف"، ص٦: "أنفع علاج لتطهير الاخلاق ان يخلو الرجل نصـف ساعة مع جثة "ميت" وص ٢٤: "لو فصّل الناس اثوابهم على مقياس عقولهـم لا اجسادهم، لظهر الرجال بالبناطلين القصيرة، ولرأينا النساء كما نشتهي ان نراهنّ" وص ١١٢: "مصيبتنا في الناضجين انهم نضجوا حتى تهرّأوا".
وراجع "رياح في شراعي"، ص ١٢٩: فرح الحمار حين ربطوه في اسطبل الحصان، فأكل في معلف الجواد ولبس سرجه، ثم شاء ان يظهر فرحه فنهق ولم يصهـل". وكذلك ص ١١: "في الشارع أعمى يدير ارغونا ويكسب مالا اكسب! سأشترى ارغونا وسعدانا ولكن بي عاهة: لست أعمى".

(٢) راجع جان داية، سعيد تقي الدين الاديب، بيروت، ١٩٦٩، ص ١٧٨، ٨٥و ١٢٤. ويتميز اسلوب سعيد، وبخاصة في مقالته، بالحيوية الزاخرة وبالقفز بغير نظام.. ففيما هو يسرد عليك حوادث معينة، ويرى ان الضرورة الفنية تقضي بالتوقف هنا، او بالرجوع الى مسألة معينة، نراه ببساطة يعترض.. "ذكرني لاروى لك ماذا حصـل بعدئذ".. او "نحن ما نزال في السجن"، او اذا استرسل في الكلام، توقف فجـأة ليسأل القارئ: "شردنا؟ لنعد اذن الى بيت صائب سلام..." او اذا كـان يعالج مشكلة سياسية ميؤوسا منها، انتهى بهذا التعبير: "عبثا نفلح البحر"... ونلاحظ مثلا كيف انه في مقالته "حياتي الثانية"، رياح في شراعي، ص ١٦٠: استطاع ان يمزج بين المحلي والمطلق، متحدثا عن نفسه، فيما هو يحتسي قهـوة الصباح: "مجنون؟ اقول لك لولا "حياتي الثانية" في شطحات الصباح لكنـت أجن في النهار ألف مرة".

الخاتمـــة :

لقد تضمّن بحثنا عن سعيد تقي الدين قسمين رئيسيين : حياته وانتاجه؛

مهّدنا للقسم الاول بلمحة تاريخية عن بيئة سعيد وعائلته، ثم استعرضنـــا المراحل الكبرى لحياته : طفولته وتحصيله الابتدائي، ثم تحصيله الثانوى فالعالـــي، مدة ثماني سنين في الجامعة الاميركية ببيروت ،حيث اختار طريق الكتابة نهجـــا لحياته. وكانت "لولا المحامي"، منطلقه الاول.

سجّلت ١٩٢٥ تحوّلا جذريا في حياة سعيد تقي الدين، فهاجر الـــى الفلبين حيث تقلّص ظل الكاتب، واستطال ظل رجل الاعمال، فاذا هو تاجر مغامر، يتقلّب بين الغنى والفقر، ويتعرّض للحروب والاهوال، واذا حياته شريط من الخبرات الغنية المتناقضة. وبعد هجره الكتابة نيفا وعشر سنين، عاد اليها، وكان نصيبه مـــن النجاح أوفر.

ورجع الى لبنان ١٩٤٨، فكانت السنوات العشر التالية أخصب سنّي عمره، وأوسعها نشاطا، سواء في رئاسة "جمعية خريجي الجامعة"، لجهة بناء النـــادى وتحرير "الكلية"، أو لدى انتظامه في "الحزب السورى القومي الاجتماعي"، ١٩٥١وما تسبّب في تطعيم ادبه بمبادئ الحزب، ثم في اهماله "المسرحية" و "الاقصوصـــة"، وانصرافه، نهائيا عنهما، الى أدب "المقالة".

وفي المرحلة الاخيرة من حياة سعيد تقي الدين تسوء حاله وتتأزم أوضاعه : الصحية والاقتصادية والسياسية، وتصبح حياته في خطر، فيهاجر ١٩٥٨ الى المكسيك فكولمبيا، ويموت مطلع ١٩٦٠.

وفي القسم الثاني من البحث عن انتاج سعيد تقي الدين تناولنا، تباعا ، الفنون الادبية الثلاثة التي عني بها، فبدأنا " بالمسرحية "، وانتقلنا منها الى "الاقصوصة "، وانتهينا الى "المقالة".

لاحظنا، اولا، ان مسرحيات سعيد هي ثورة على الاقطاعيتين: السياسية والطائفية ، في محاولة لتطهير المجتمع اللبناني منهما، ومن العادات والتقاليد السخيفة المسيطرة على عقول الناس. فسعيد تقي الدين المسرحي مصلح اجتماعي ، ومسرحياته ترتكز على النكتة البارعة بفنونها، وهو ، اذ يسيّر شخصياته، حسب النمط الذى اختاره لكل مسرحية ، يوكد همّه على ارضاء الجمهور، عن طريق الضحك والانشراح ، توصّلا الى الغاية الاصلاحية والتطهير.

وفي كلامنا على أقاصيص سعيد تقي الدين وجدنا انه قد طغت عليها فكرة الهجرة وما يرافقها من مغامرة وكفاح وشقاء، تأرجحا بين الغنى والفقر، النجاح والخيبة. فالصلات المتينة ، بين أقاصيص سعيد وشخصه هي التي تمنحها طابعا خاصا ومميّزات فردية. والملاحظ ان سعيدا المسرحي سيّر أبطاله وحاورهم حسب منهجه، ولم يتدخّل فارضا نفسه، اما سعيد القصّاص فظلّه العريض منبسط على كل قصّة ، وهو البطل وراء شخصياته يفرض نفسه عليها .

ورغم ان القاسم المشترك لأقاصيصه هو الانسان اللبناني ، المقيم والمغترب ، فان القارئ لا يشعر بالتكرار، او باجترار الافكار او النماذج البشرية، وانما يدهشه من الكاتب سعة خياله، وهذا التناسق بين عناصر القصة، من فكرتها الرئيسية، الى حوادثها وأبطالها، وبنائها الفني ، وغناها الانساني ، وقدرة المؤلف على استعادة

التفاصيل الدقيقة وتناول الموضوعات من زوايا مختلفة، وسبكها في أطر جديدة وحبك متقنة. ومن هنا استحق ان يعدّ بين المجيدين ممن عنوا بالاقصوصة العربية في هذا العصر.

ولدى الحديث عن "المقالة"، تناولنا الفنون الادبية خارج نطاقي المسرحية والاقصوصة، وهي الخطب والمقالات الادبية والسياسية والاجتماعية، فضلا عن المذكرات والرسائل والخواطر. وقد قسّمنا المقالات الى قسمين رئيسيين: "المقالة السياسية"، وتدور حول ما له علاقة بالحزب السورى القومي الاجتماعي، وتشكل ثروة ادبية حزبية معتبرة، أو حول السياسة المحلّية وتحليل الكاتب لسياسيي لبنان، او لقضية فلسطين وملابساتها على الصعيدين العربي والدولي.

وتأخذ مقالات سعيد السياسية الطابع التوجيهي الجدى العنيف، كما تميل الى التحليل والمصارحة والجرأة، وقوة الحدس والاثارة الساخرة، وهي مزايا نجدها في انتاج سعيد بفنونه جميعا، لكنها تبرز بقوة في مقالاته السياسية وتشكّل الدعائم التي يقوم عليها هذا اللون.

أما المقالة الادبية عند سعيد، فترتدى ثوب الجدّية والوقار، بينما يجلجل صوته في المقالات الاجتماعية منتقدا ساخرا، في سلسلة من الاثارة والتنكيت. واحيانا كثيرة لا تنطوى مقالته على أية رسالة، وانما يكتفي بالدعابة والتنكيت وبعث الانشراح في نفس القارئ.

ويلاحظ ان مذكرات سعيد، يشيع فيها الحنين، وبخاصة ما كان له صلة بوطنه وأهله، وفي القسم الاخير منها، أى بعد هجرته الثانية، يهادن الثورة

الصاخبة والسخرية اللاذعة ، ويصل الى مرحلة من الاستقرار والهدوء وصفاء الرؤيا .

اذا كانت حياة الاديب وأعماله، وحدة لا تتجزأ، فان اعمال سعيد تقي الدين انعكاسات لطرافة شخصيته، وطرافته هي حاصل اصالته الفنية تفاعلت مع ثقافته، وتجربته الحياتية الغنية . وما اسلوبه سوى تعبير صادق عن تلك الطرافة . فلو وضعنا نصّا لـه بين عشرات النصوص لسواه، لما صعب علينا الاهتداء اليه، لان اسلوبه، كشخصه، فيض من الحياة المارحة بالقيم، أبرزها كما يزعم أحدهم[١] الصراحة الجريئة، والثقة بالنفس الكريمة . ويعتقد نسيم نصران هاتين الصفتين جمعتا في أدبه، كأبرع ما يكون الادب معبرا عن الذات . ومن هنا ما يقوله خليل رامز سركيس: ان سعيدا هو بدع نفسه معنى ومبنى ، أعطى ادبنا النفس الشخصي ، فسواء الف المسرحية، او الاقصوصة، او المقالة لم يسعه الا ان يكون هو نفسه فيها كلها ، من حيث الطابع الخاص والطرافة المتجددة بتجدد المواضيع[٢].

ومن سمات الطرافة الشخصية التي يتحلّى بها ادب سعيد تقي الدين روح الرجولة – تلك التي كانها هو : كرجل أعمال، كرجل حزب ، او "كرجل" بحصر المعنى ، الى درجة ان زعم بعضهم ان ادبه أدب الرجولة العالية[٣].

ثم ان النكتة الساخرة – العمود الفقرى لأسلوب سعيد تقي الدين – هي صورة عن حالته النفسية ، ضاحكة الثغر دامعة القلب ، يلتقطها خطفا ، ويلقيها باحكام ،

---

(١) راجع نسيم نصر، جريدة "البناء"، عدد ١٠/ ٢/ ١٩٦١.
(٢) راجع خليل رامز سركيس، "الرسالة المخلصية"، نيسان ، ١٩٦٠.
(٣) راجع كسروان لبكي ، "لوسوار"، عدد ١٩/ ٢/ ١٩٦٠.

فتنفجر حيث شاء ان تنفجر. فنكاته، كما يصفها بعضهم: "لا تخطيء الهدف الهزلي الظاهر ولا الهدف الجدى المستتر وراءه"[١]. وسخرية سعيد ليست استهزاء بالحقيقة او شماتة بها او تهريجا عليها . وقد بالغ أحدهم اذ زعم انها "جسر من الضحك ، البهاء ، (الحقيقة) في عالم انساني ، يرافقك الكاتب اليه ببساطة وابتسام، لا يخفيان جهد الكشف والدم الذى أهرقه ثمنا لتجربة انسانية حقيقية"[٢]. ورغم هذا المهرجان الفكاهي الذى يصخب به انتاج سعيد ، فنكتته تظل مهذبة نظيفة.

وأسلوب سعيد كما لاحظنا ، يمتاز بالجمل القصيرة المكتنزة، وباستنباط التعابير والتشابيه الجديدة. ويعتقد الكثيرون ممن كتبوا عن ادبه انه مبدع لا مقلّد[٣]. ومن خصائص ادبه، ايضا ، الحركة المستمرة والمضمون الغوضوى، والاثارة الساخرة، وكلها عناصر تتحدى ذهن القاريء وتدفع عنه النعاس، فيقتفي اثر المؤلف ، جريا ، نحو ذلك الافضل الذى يريد ان ترفل بلاده فيه، الى درجة ان يزعم بعضهم ان مؤلفات سعيد جميعا تحمل شعارا واحدا ، "من هنا طريق الأفضل"[٤].

لم يتح بعد ، لانتاج سعيد تقي الدين، من غربلة النقاد والدارسين، ما يكفي لفصل قمحه عن زؤانه . ومردّ ذلك، في رأينا ، الى الظروف السياسية التي أحاطت به، فضلا عن قرب العهد بانتاجه. مع هذا ، فثمة من يرى ان سعيدا "أحد الافذاذ

---

(١) راجع جورج صيدح ، "الحياة"، عدد ١٢ /٣ /١٩٦٠.
(٢) راجع نذير العظمة، "البناء"، عدد ١٠ /٢ /١٩٦١.
(٣) راجع خليل رامز سركيس، نسيم نصر، نذير العظمة، وكذلك راجع سعيد عقل ونزار قباني ، غلاف "غابة الكافور".
(٤) راجع كامل المقدم، "النهار"، عدد ١٨ /٢ /١٩٦٠.

الذين يتسم أدبهم بالطابع الكوني"[١]، وانه قد يصبح "مدرسة"[٢]، و"ان ثروته تدخل تاريخنا الادبي من الباب الواسع"[٣].

ومهما بدت هذه الاحكام انفعالية او مبالغا فيها، فمما لا ريب فيه ان سعيد تقي الدين أعطى ادبنا العربي المعاصر، الطابع الشخصي الطريف، والتنويع في الانتاج، بين مسرحية واقصوصة ومقالة. وهو بالتالي شاهد عصره، لان ادبه يعكس بصدق، جوانب من الحياة الاجتماعية والفكرية، في لبنان، والصراع القائم بين مختلف التيارات السياسية في هذا القرن.

---

(١) راجع رشدى معلوف "الجريدة"، عدد ١٩/ ٢/ ١٩٦٠.
(٢) راجع سعيد عقل، "بيروت"، عدد ١٠/ ٢/ ١٩٦١. وراجع جان داية، ص ١٢٤.
(٣) راجع سعيد عقل.

المصـادر والمـراجـع

١ـ اعمـال سعيد تقي الدين :

أ . المنشـورة :

١. لولا المحامي ، (مسرحية، طبعة ثانية) ، دار الاحد، بيروت ، ١٩٥٠ .

٢. نخب العـدو ، (مسرحية) (في مجموعة أقاصيص "الثلج الأسود") ، مطابع الكشاف ، بيروت ، ١٩٤٦ .

٣. حفنة ريح ، (مهزلة) (ومجموعة أقاصيص "موجة نار") ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٤٨ .

٤. غابة الكافور ، (مجموعة قصص) ، دار العلم للملايين، بيروت ، ١٩٥١ .

٥. المنبـوذ ، (مسرحية) ، بيروت ، ١٩٥٣ .

٦. ربيع الخريف ، (مجموعة قصص) ، دار الشرق الجديد ، بيروت ، ١٩٥٤ .

٧. سيداتي سادتي ، (مجموعة خطب) ، دار الشرق الجديد ، بيروت ، ١٩٥٥ .

٨. تبلغوا وبلغوا ، (مقالات) ، دار الجيل الجديد ، بيروت ، ١٩٥٥ .

٩. غبار البحيرة ، (مقالات) ، دار الشرق الجديد ، بيروت ١٩٥٦ .

١٠. غدا نقفل المدينة ، (مقالات) ، دار الشرق الجديد ، بيروت ، ١٩٥٦ .

١١. رياح في شراعي ، (مقالات) ، دار المجاني ، بيروت ، ١٩٦٠ .

١٢. انا والتنين ، (مقالات) ، دار المجاني ، بيروت ، ١٩٦١ .

ب . غير المنشورة :

١. الدرب الموحشة ـ ملهاة في ٥٧ صفحة ، (١٩٤٤) .

٢. ملهاة بدون عنوان وغير كاملة ، ١١ صفحة ، (١٩٤٤؟) .

٣. اقدام عارية ، مخطط ورؤوس اقلام لمسرحية ، حوالي ٢٠ صفحة ، (١٩٥٤؟) .

٤. مقالات كتب سعيد عليها (ملحق "انا والتنين") ، ١٩٥٩ـ١٩٦٠ .
   أـ "الدفشة الكافة" ، غير كاملة ، عن علاقته بالاميركان والانكليز .
   بـ عن تبرئة غسان جديد من تهمته بمقتل عدنان المالكي .
   جـ "زنجية سليمان" ـ غير كاملة عن حياة المهاجرين .
   دـ خواطر متفرقة ، في ٢٤ صفحة .

٥. مقالات قديمة (فكاهية) :
   أـ "والعود مصطفى" ، بعيد رجوعه الى لبنان (١٩٤٨) .
   بـ "حقائق علمية عن السيارة" ، غير كاملة .
   جـ "انتخبوا الاستاذ شمدص جهجاه" ـ (تنكيت على المرشحين للنيابة) .

٦٠ رؤوس اقلام متفرقة، بالانكليزية والعربية، تقع في ثلاثة دفاتر، (١٩٥١ــ ١٩٦٠؟) ٠

٧٠ ست قصائد، معظمها غير كامل، كتب عليها (للحفظ) ٠

٨٠ رسائل: الى ديانا، غسان تويني، عجاج المهتار، خالد قطمي وفايز مكارم٠

٢ــ الدوريـــات:

١٠ الاحد (جريدة)
الاعداد: ١٠/٣٠ و٦/١١/١٩٥٠٠
الاعداد: ٦/٢٤ و١٧، ٢٤، ١٠/٣١ و٢٢/١١/١٩٥١٠

٢٠ الاسبوع العربي (مجلة)
عدد ٨/٢/١٩٦٥٠

٣٠ البرق (جريدة)
العددان: ٦/١٣ و٢٠/٧/١٩٢١٠

٤٠ البناء (جريدة)
الاعداد: ٨/٥/١٩٥٩، ١٩/٢، ٢٠/٣، ١٤، ٢٣/٩/١٩٦٠٠
الاعداد: و١٠/٢، ١٠، ١٤، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠/١١/١٩٦١٠

٥٠ بيروت (جريدة)
الاعداد: ٤/٧، ١، ١٥، ٣٠/١٠/١٩٤٦٠
و١٢/١/١٩٤٧، ١٠/٢/١٩٦١٠

٦٠ بيروت المساء (جريدة)
الاعداد: ٢٥/٨، ١٥/٩، ٢٠/١٠، ١، ١٢/١٢/١٩٤٧٠
الاعداد: ٥، ١٢، ١٩/١، ٢/٢، ٨، ١٥، ٢٢/٣، ٥/٤، ٢٤، ٣١/٥، ٧، ٢١، ٢٨، ٢٣/٨، ٦/٩، ١١/١٠، ١٣/١٢/١٩٤٨٠
الاعداد: ٢١/٢، ٢٨/٣، ٢، ٢٣/٥، ٢٧/٦، ١٨/٧، ٢٤/١٠، ٢٨/١١/١٩٤٩٠
الاعداد: ٣، ٢٣/١ و٢٠/٣/١٩٥٠٠
العدد: ١٨/٢/١٩٦٠٠

٧٠ التلغراف (جريدة)
العدد: ٢٢/٢/١٩٦٠٠

٠٨ الجريدة (جريدة)
العددان : ١٢، ١٣/ ٣/ ١٩٦٠٠

٠٩ الحياة (جريدة)
الاعداد: ١٢، ١٣/ ٣/ ١٩٦٠ و ١٨، ١٩/ ٢/ ١٩٦١٠

٠١٠ الراصد (جريدة)
العددان: ٢٥/ ٢/ ١٩٦٠ و ١١/ ٤/ ١٩٦٨٠

٠١١ الرسالة المخلصية (مجلة)
العدد نيسان، ١٩٦٠٠

٠١٢ الرواد (جريدة)
عدد ١٤/ ٤/ ١٩٦٠٠

٠١٣ الزهـور (مجلة ، القاهرة)
الاعداد: ١٤/ ٥/ ١٩١٢، ٢٥/ ٨/ ١٩١٣٠

٠١٤ السنابل (مجلة)
الاعداد: آذار، نيسان وأيار، ١٩٢٥٠

٠١٥ صدى لبنان (جريدة)
الاعداد: ١٧/ ١١/ ١٩٥١، ٤، ٨، ١٢/ ١٢/ ١٩٥٢٠
الاعداد: ٩، ١٠/ ٢/ ١٩٦١٠

٠١٦ صوت المرأة (مجلة)
عدد تشرين الثاني ١٩٥٤٠

٠١٧ العروة الوثقى (مجلة مخطوطة)
العددان : تشرين الثاني ١٩٢٣، وحزيران ١٩٢٤٠

٠١٨ العروة الوثقى (مجلة)
عدد حزيران ١٩٣٦٠

٠١٩ الكليـة (مجلة)
العددان : شباط ونيسان، ١٩٢٥٠

٠٢٠ الكليـة (مجلة انكليزية)
الاعداد : نيسان ١٩٤٩ ـ آب ١٩٥٢٠

٠٢١ كل شيء (جريدة)
الاعداد: ١٨/ ٣، ٣/ ٩/ ١٩٤٨، ١٨/ ٢/ ١٩٦٠٠

٠٢٢ لسان الحال (جريدة)
الاعداد: ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ٢١/ ٢/ ١٩٦٠٠

٢٣. لوسوار (جريدة فرنسية)
عدد ١٩/٢/١٩٦٠.

٢٤. النـاس (جريدة)
الاعداد: ٢١/٢/١٩٦٠، ١٧/٢/١٩٦١.

٢٥. النهـار (جريدة)
الاعداد: ١٧/٨/١٩٥٢ و ١٨، ٢٣، ٢٨/ ٢، ٩/ ٣/١٩٦٠.
الاعداد: ٨، ٩، ١٠، ١٢، ١٩/ ٢/١٩٦١ و ١٤/ ١/١٩٦٥،
و ٢٨/٢/١٩٦٨.

٣ـ السـجلات:

أ. سجل عائلة "تقي الدين".

ب. سجلات الجامعة الاميركية:
١ـ دائرة تسجيل الطلاب، ١٨٩٠ـ١٩٢٥.
٢ـ "كتالوغات" الدروس، ١٩٢١ـ ١٩٢٥.

ج. سجلات جمعية خريجي الجامعة الاميركية ونادى الخريجين، ١٩٤٩ـ١٩٥٣.

د. سجلات وزارة الخارجية اللبنانيـة ، ١٩٤٦.

هـ. سجلات مدرسة "الحكمة"، ١٨٩٨ـ ١٩٠١.

٤ـ المقابلات الشخصية

وقد عرفنا كل شخص لدى ورود اسمه اول مرة في هذا البحث:

١ـ ابوانطون، باسمة
٢ـ ادريس، سهيل
٣ـ اسمر، ميشال
٤ـ بيبي، أنيس
٥ـ تقي الدين، بهيجة عطا الله
٦ـ تقي الدين، بياتريس
٧ـ تقي الدين، حافظ
٨ـ تقي الدين، خليل
٩ـ تقي الدين، ديانا

١٠- تقي الدين، زهية عبد الملك (ام سعيد)
١١- تقي الدين، نايفة
١٢- تقي الدين، وسيم
١٣- جارودى، سعد الدين
١٤- جبور، جبرائيل
١٥- جريديني، فواد
١٦- حداد، فريد
١٧- حلبي، حسني
١٨- حمادة، رياض
١٩- حمادة، سعيد
٢٠- حمود، محمد يوسف
٢١- خضر، امين
٢٢- خورى، منير
٢٣- دبغي، اميل
٢٤- زريق، قسطنطين
٢٥- زين الدين، فريد
٢٦- سماحة، ميشال
٢٧- شقير، محمد
٢٨- صروف، فواد
٢٩- الصلح، تقي الدين
٣٠- طابوريان، اندريه
٣١- عبد المسيح، جورج
٣٢- عقراوى، متى
٣٣- علم الدين، خليل
٣٤- عواد، بطرس
٣٥- الغريب، انطون
٣٦- مدور، فريد
٣٧- المقدم، أسعد
٣٨- المهتار، عجاج
٣٩- المشنوق، عبد الله
٤٠- المعلوف، رياض
٤١- ناصيف، انيس
٤٢- نجار، عبد الله
٤٣- النصولي، أنيس
٤٤- نويهض، عجاج
٤٥- ولي الدين، ادما محمد
٤٦- يزبك، يوسف ابراهيم

٥ـ المراجع العربيـة :

١٠ تقي الدين، احمد، (ديوان شعر) بيروت، ١٩٦٧.

٢٠ حتي، فيليب، لبنان في التاريخ، ترجمة انيس فريحة، دار الثقافـة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين، بيروت، نيويورك، ١٩٥٩.

٣٠ ــــــ، مهاجرة السوريين واستعمارهم بين العهد الفينيقـي والعهد الحاضر، القاهرة، ١٩١٧.

٤٠ الحلوى، حسيب، الادب الفرنسي في عصره الذهبي، دار الثقافـة، بيروت، ١٩٥٢.

٥٠ الخورى، بشاره خليل، حقائق لبنانية، منشورات "اوراق لبنانية"، بيروت، ١٩٦٠.

٦٠ داية، جان، سعيد تقي الدين الاديب، بيروت، شباط، ١٩٦٩.

٧٠ رزوق، فرج رزوق، الياس ابو شبكة وشعره، رسالة مقدمة للماجستير فـي الاداب من الجامعة الاميركية، بيروت، ١٩٥٥.

٨٠ الشدياق، طنوس، اخبار الاعيان في جبل لبنان، بيروت، ١٩٥٩.

٩٠ صروف، فواد، مع الطليعة، بيروت، ١٩٦٢.

١٠٠ عبود، مارون، جدد وقدماء، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٤.

١١٠ ــــــ، روّاد النهضة الحديثة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٦.

١٢٠ ماركس، ملتون، المسرحية، كيف ندرسها ونتذوقها، ترجمة فريد مدور، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين، بيروت، نيويورك، ١٩٦٥.

١٣٠ المعلوف، عيسى اسكندر، تاريخ الامير بشير الشهابي الكبير، مطبعة زحلة الفتاة، زحلة، ١٩١٤.

١٤٠ ــــــ، تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني، جونية، ١٩٣٤.

١٥٠ ــــــ، الاخبار المدوّنة والمروية في انساب الاسر الشرقية، ١٤ مجلدا مخطوطا، في حوزة رياض المعلوف نجل المؤلف، زحلة.

١٦٠ المقدسي، أنيس الخورى، الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث، منشورات الجامعة الاميركية، بيروت، ١٩٥٢.

١٧٠ مكارم، سامي نسيب، الشعر العربي في لبنان بين الحربين العالميتـين، اطروحة مقدمة للماجستير في الاداب من الجامعة الاميركية، بـيروت، ١٩٥٢.

١٨. مكرزل، سلوم، تاريخ التجارة السورية في المهاجر الاميركية، المطبعة السورية الاميركية، نيويورك، ١٩٢١.

١٩. نجم، الدكتور محمد يوسف، فن المقالة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٧.

٢٠. ــــــــ، القصة في الادب العربي الحديث، منشورات المكتبة الاهلية، بيروت، (طبعة ثانية) ١٩٦١.

٢١. ــــــــ، المسرحية في الادب العربي الحديث، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٦.

٢٢. اليازجي، كمال، رواد النهضة الادبية في لبنان الحديث، صيدا، مكتبة رأس بيروت، المطبعة الخلصية، ١٩٦٢.

٦ـ المراجـع الانكلـيزية :

1. Bently, Eric, Bernard Shaw, N.Y., New Directions Books, 1947.

2. Bergson, Henry, Laughter, Meredith, george, " An Essay On Comedy", N.Y., Doubleday & Co., 1956.

3. Cooper, Lane, An Aristotlian Theory Of Comedy, With An Adaptation Of The Poetics, N.Y., Harcourt, Brace & Co., 1922.

4. Churchill, C.H., The Druzes & The Maronites Under The Turkish Rule, 1840-1860, London, 1862.

5. Dobree', Bonamy, Restoration Comedy 1660-1720, England, Oxford University Press, 1938.

6. Hawi, Khalil, Khalil Gibran, His Background, Character and Works, Beirut, A.U.B., Publication Of The Faculty Of Arts And Sciences, Oriental Series, 1963.

7. Henry, O., The Four Million, London, Hodder & Staughton, 1906.

8. Hourany, Albert, Arabic Thought In The Liberal Age, Oxford, Great Britain, 1962.

9. Jennings, Al., Through The Shadows With O.Henry, N.Y., H.K. Fly Co., 1921.

10. Kaufman, R.J., G.B.Shaw, (A Collection Of Critical Essays), Englewood Cliffs, N.J., Prentice - Hall, Inc., 1965.

11. Mayne, Fred., The Wit & Satire Of Bernard Shaw , N.Y., St. Martins Press, 1967.

12. Meredith, George, An Essay On Comedy, N.Y., Doubleday & Co. 1956.

13. Naimy, Nadeem, Mikhail Naimy , An Introduction , Ph. D. , Beirut, A.U.B. , Department Of Arabic, 1967.

14. Pearson, Hesketh, G.B.S. A Postscript, N.Y., Harper & Brothers, 1950.

15. Porter, W.S., The Complete Works Of O.Henry , N.Y., Garden City Publishing Co., 1937.

16. Purdom, C.B. , A Guide To The Plays Of Bernard Shaw , 36 Essex St. WC2, London, Methuen and Co. Ltd., 1963.

17. Salibi, Kamal, S., Maronite Historians Of Medieval Lebanon , Beirut, 1959.

18. Smith, John, Harrington, The Gay Couple In Restoration Comedy, Harvard University Press, 1948.

19. Wimsatt, W.K.Jr., English Stage Comedy, N.Y. , Columbia University Press, 1954.

20. "Comedy", Encyclopaedia Britanica , v.6,p.128-130 , and "Drama" Encyclopaedia Britanica, v.7, p.627-651, U.S.A., Encyclopaedia Britanica, INC. William Benton, Publisher, 1963.

خلاصـــة

لأطروحة : "سعيد تقي الدين: حياته وانتاجه"

هذه دراسة عن سعيد تقي الدين (١٩٠٤ـ١٩٦٠) غايتها الالمام بجوانب حياته، رجلا وأديبا.

جاء هذا البحث في فصلين رئيسيين: ١ـ حياته، ٢ـ انتاجه.

قسمت الفصل الاول الى ستة أقسام، تحدثت في القسم الاول عن الجو الذى ولد فيه سعيد تقي الدين ـ عنيت "بعقلين"، الشوف في مطلع القرن، وأسـرة "تقي الدين" الدرزية العريقة، لما لذلك من جذور عميقة في أدبه. وتحدثت فـي القسم الثاني عن طفولة سعيد وتحصيله الابتدائي، متنقلا بين مدارس تبشيرية وخاصة، ومنتهيا الى الجامعة الاميركية حيث أمضى ثماني سنين اتيح خلالها لشخصيته الادبيـة ان تستكمل تكوينها، وبتأثير عمه أمين تقي الدين عليه، فضلا عن نشاطه في جمعيـة "العروة الوثقى"، اختار طريق الادب، وكان منطلقه الاول "لولا المحامي".

في القسم الثالث تحدثت عن هجرته الاولى ١٩٢٥، الى الفلبين، برفقة عمه الدكتور نجيب، وكيف فتحت هذه الهجرة صفحة جديدة في حياته، وحوّلته عن الكتابة الى التجارة والمغامرة، وهي مرحلة غنية الاختبار لم يوافه الحظ فيها الا بعد ١٩٤٥، حيث جنى الثروة المطلوبة، وعاد الى التأليف.

وتحدثت في القسم الرابع عن رجوع سعيد مع اسرته الى لبنان ١٩٤٨، وعـن انصرافه اولا الى نشاط رئاسة "جمعية متخرجي الجامعة"، وما رافقها من بناء النـادى وتحرير "الكلية"، ثم انتظامه في "الحزب السورى القومي الاجتماعي"، ١٩٥١، واضطلاعه بمسؤوليات حزبية كبيرة، وتحوّل جهوده في الانتاج، من المسرحية والاقصوصة الى أدب المقالة، وتطعم هذا الانتاج، السنوات الثماني الاخيرة بمبادئ الحزب، والدفاع عـن قضاياه. وتشكل هذه المرحلة، الحقبة الاشدّ عنفا وصراعا في حياة سعيد تقي الديـن، ناضل خلالها على جبهات عدة، وانتهى الى المرض والافلاس، فضلا عن الخطر الـذى

كان يهدّد حياته ـ كل ذلك وهو ماض في الكتابة، فصدر له ستة كتب. وبحلول صيف ١٩٥٨ وبتأزم الاوضاع حوله، اضطر الى مغادرة لبنان وهو القسم الاخير من حياته وقد تناول هجرته الثانية الى المكسيك، ايلول ١٩٥٨، حيث للحزب منفذية قوية، لكن القدر لم يمهله، فمات بسكتة قلبية في جزيرة سان اندرس بكولمبيا ١٥ شباط ١٩٦٠.

لقد تمهّلت في رسم المراحل الكبرى لحياة سعيد تقي الدين، لما لها من تأثير مباشر على تطوير انتاجه، فضلا عن الصلات المتينة التي تربط ما بين شخصه وأدبه، فأدبه انعكاسات صادقة لحياته الحافلة بالمتناقضات والمغامرات والمفاجآت.

وفي الفصل الثاني من هذا البحث تناولت انتاج سعيد تقي الدين وقد صدر له اثنا عشر مصنفا قسمتها الى ثلاثة أقسام، وسلكت في تناولها مبدأ التسلسل الزمني لتاريخ وضعها، فبدأت بالتحدث عن المسرحية، وانتقلت الى الاقصوصة، وانتهيت الى المقالة.

استعرضت، في القسم الاول، مسرحيات سعيد الاربع المنشورة، ثم حللت شخصياتها، حوارها، وبناءها الفني، وما يعززها من عنصر النكتة، ووجدت ان مسرحيات سعيد ثورة على المجتمع اللبناني في محاولة لتطهيره من الاقطاعيتين السياسية والدينية، ومن العادات والتقاليد السخيفة المسيطرة عليه.

وفي الكلام على أقاصيص سعيد تقي الدين، في مجموعاتها الاربع، تطرّقت الى تحليل موضوعها الرئيسي وشخصياتها وبناء حبكتها، معتمدة الاسس التي وضعها سعيد نفسه في نقد الاقصوصة. وتوصلت الى ان أقصوصة سعيد ترتفع في مستواها الفني عن مسرحيته، والى انه متأثر بالقصاص الاميركي او. هنري. فهو مثله ثائر، استوحى أقاصيصه من حياته العنيفة المغامرة، بين الغنى والفقر، النجاح والخيبة. ويطغى على أقصوصة سعيد اللون اللبناني، فأبطاله واحد من اثنين، اما درزي من الشوف، او مهاجر تعرّض لألوان البؤس والشقاء.

وفي القسم الاخير من انتاج سعيد تقي الدين تناولت "المقالة"، وعنيت بها

الفنون الأدبية التي عني بها، خارج نطاقي المسرحية والأقصوصة، وهي ثروة أدبية تقع في ستة كتب منشورة. وقد قسمتها الى قسمين: المقالة السياسية، وتدور حول ما له علاقة بالحزب السورى القومي الاجتماعي، او بالسياسة المحلية اللبنانية، او العربية الدولية، وبخاصة قضية فلسطين وملابساتها، على الصعيدين الوطني والدولي. ويتميز انتاج سعيد السياسي بالجدية والعنف والنكتة الساخرة.

ويضم القسم الثاني المقالات غير السياسية، وهي الادبية والاجتماعية او الفكاهية التي لا يراد منها سوى التنكيت والدعابة. فالمقالة الأدبية ترتدى ثوب الجدية والوقار، في حين تعصف المقالات الاجتماعية بالنقد الساخر، اما المقالات الفكاهية فمهرجان للضحك. ومقالة سعيد هذه تتميز بالاسلوب الفوضوى اللامتسلسل والنكتة البارعة من كل نوع.

وتجدر الاشارة الى امرين: الاول، هو ان تركيزنا في الكلام على انتاج سعيد تقي الدين، انصبّ على الاعمال المنشورة، اما اعماله غير المنشورة، فقد اكتفينا بتعريفها، وبالافادة من موضوعها وجوّها العام، اعتقادا منا، بأن سعيدا، لو كان راضيا نهائيا عنها، لكان عني بنشرها.

والامر الثاني هو انه نظرا لندرة المراجع عن حياة سعيد تقي الدين، في مراحلها المختلفة، بين لبنان والمهجر، اضطررنا اللجوء الى المراجع البشرية، في مقابلات مع بعض الذين رافقوا سعيدا او زاملوه، وقابلنا بين احاديثهم عنه، وما ورد عن لسانه هو، في محاولة موضوعية لاستقصاء الحقيقة، ما استطعنا الى ذلك سبيلا.

حسب ما تحمّلنا من مسؤولية ومشقة، انه السبيل الى سلامة البحث الذى نحن بصدده.
